منبر الإسلام

السنة (٥٨) العدد (١١) ـ ذو القعدة ١٤٢٠ هـ
فبراير ٢٠٠٠م

نتيجة مسابقة
الحج والعمرة

غير مخصص للبيع

وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فجٍ عميق

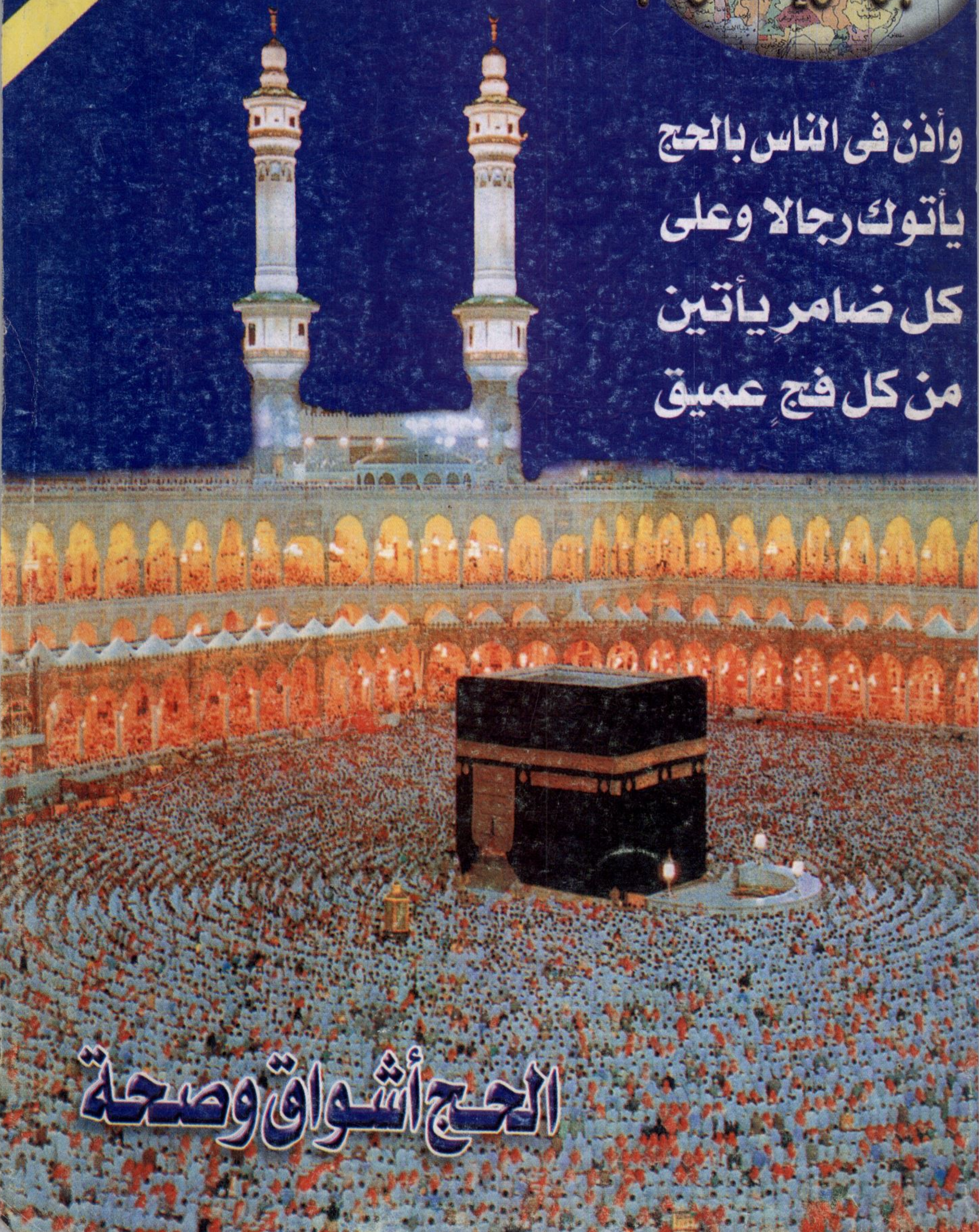

الحج أشواق وصحة

من محتويات العدد

* نظرات فى آيات الحج
د. محمد سيد طنطاوى
* ضرورات لا حقوق «حديث الشهر»
د. عبدالصبور مرزوق
* الأقليات الإسلامية وتحديات الحوار بين الحضارات
د. عبدالله الأشعل
* الحج عبر التاريخ
د. محمد عبدالفتاح عليان
* مكة بلد البيت الحرام
السيد أحمد أبو الفضل
* أول دليل صحى للحجاج
د. سوسن الغزالى
* فى محراب العربية لغة القرآن
د. محمد أبو الأنوار
* فتوح مصر وأخبارها
د. محمد بهى الدين سالم
* سفر الأزواج بين الإذن والمنع
المستشار حسن حسن منصور

غلاف الشهر

ملايين المسلمين يطوفون حول الكعبة مكبرين مهللين، معظمين البيت الحرام وقلوبهم قبل حناجرهم تهتف لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ١٣ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى - «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٣٥٤١٦٢٧ - ٣٥٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: **عبد الصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: **صوفى أبو طالب**

الدكتور: **أحمد كمال أبو المجد**

الدكتور: **أحمد هيكل**

كلمة التحرير

عزيزى القارئ :

يصدر هذا العدد من مجلة «منبر الإسلام» والمسلمون فى أنحاء العالم تهفو قلوبهم إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج الركن الخامس من أركان الإسلام ينتهزون هذه الفرصة التى تحمل معانيها ربط هذا الدين الإسلامى برسالة أبى الأنبياء إبراهيم فى محاربة الوثنية وتطهير عقيدة التوحيد من رجس الشرك.

«لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك..» هذه العقيدة هى نقلة كبيرة من ظلام الجاهلية الأولى إلى نور الإسلام حيث التطوير والتغيير فى حياة المسلمين الذى جعلهم يرتقون بالمجتمعات الإنسانية من انحطاط االجاهلية والشرك وعبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد الأحد.

وفى ظل هذه العقيدة السمحة عقيدة التوحيد كانت وحدة الأمة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وهذه العبادات الإسلامية تدل دلالة واضحة على هذا المعنى، والحج يصور هذه الوحدة الإنسانية فى وضوح لا يحتاج إلى بيان أو شرح.

حديث الشهر

أ.د. عبدالصبور مرزوق

أعظم ما امتازت به شريعة الإسلام فى تكريمها للإنسان ـ ولم تشاركها فيه لا قوانين وضعية ولا تشريعات ـ سماوية هو ارتقاؤها بالإنسان إلى أن أسجدت له الملائكة على نحو ما تحدث به القرآن فى قوله: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين﴾ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ إلا إبليس﴾(١).

ضرورات لاحقوق

تكريم الإنسان ودوره القدرى فى عمارة الأرض

وموجبات هذا التميز للإنسان هو أن الحق تبارك وتعالى قد اختاره من بين جميع خلقه ليكون خليفة عن الله فى الأرض يعمرها ويحميها من الفساد، ويستثمر ما هُيىء له فيها من المعاش والمهاد ليمكِّن فيها لكلمات الله من الحق والعدل والخير والإصلاح.

ولذا لم يكن تمييزه بالشكل أو اللون أو طبيعة التكوين وإنما كان بالعلم الذى ميزه الله به حتى على الملائكة فسجدوا له كما تحدثت بذلك آيات القرآن: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون﴾ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علَّمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم..﴾** (٢).

❖❖❖

والتمييز بالعلم ـ دون غيره ـ يضع أمام البشرية جميعها معيارا حضاريا قدمه الإسلام ليكون ـ وحده ـ معيار التمييز والتفاضل بين الأفراد والشعوب لأنه سبيل الارتقاء والتقدم، ودليل النهوض للأمم والشعوب.

❖❖❖

وتكريم الإنسان وتمييزه يقابله واجب كبير وخطير هو أن ينهض هذا الإنسان بالدور القدرى المنوط به فى عمارة الأرض وهداية الخلق والتمكن بقيم الحق والعدل.

ومن ثم كان القيام بهذا الدور هو مناط «الخيرية بين الناس» كما صرحت به الآية فى مخاطبة أمة الرسول الخاتم **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**(٣).

فليست «الخيرية» بالعرق والجنس كما تزعم أسطورة بنى إسرائيل فى أنهم «شعب الله المختار» ولكنها خيرية دور ورسالة، ومن أجل هذا كانت «حقوق الإنسان» فى منظور الإسلام فوق الشعارات وفوق الكلمات الجوفاء، وإنما جعلها الإسلام ضرورات وفروضا لا يحق للإنسان أن يفرط فيها أو يتنازل عنها، فإن فعل لقى من الله أشد العقاب.

❖❖❖

وعلى سبيل المثال فإن حق الحياة الذى هو الأساس الذى تتعلق به الحقوق جميعها فرض على الإنسان أن يحميه ولا يفرط فيه. فإن فقده بسبب ضرورة أخرى دفاعا عن النفس أو العرض أو المال أو الوطن ارتفعت منزلته عند الله إلى مكانة الشهيد ومقام «الشهادة».

أما إذا دمر الإنسان بنفسه هذا الحق «بالانتحار» فقد ارتكب جريمة عظمى يظل يعذب بها فى النار خالدا فيها.

وهذه قسمة حضارية فى ارتقاء الإسلام بحق الحياة لم تعرف فى أى تشريع غيره وضعى أو سماوى.

شريعة الإسلام كرمت الإنسان إلى أن أسجدت له الملائكة

ومثل حق الحياة حق الحرية والكرامة الذى لا يصح ـ فى منظور الإسلام ـ أن يعيش بدونه، ولا يحق له التفريط فيه بقبول الإذلال والامتهان أيا كانت الظروف.

فإن فعل وقبل الإذلال والامتهان والاستضعاف وفرط فى كبريائه كان ظالما لنفسه وكان مأواه جهنم، وهذا ما تحدثت به الآية الكريمة **﴿إنَّ الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا﴾ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم..﴾**(٤).

وهكذا كل حقوق الإنسان ارتقى بها الإسلام

إلى مرتبة الضرورات ضمانا لتلازمها معه حتى يظل دائما هو النموذج المؤهل للاستخلاف عن الله فى الأرض والقادر دائما على أداء الدور القدرى المنوط به وبالأمة المسلمة.

❖❖❖

ولعل إلقاء نظرة على النماذج البشرية من الصحابة الذين ربوا فى المدرسة النبوية، والذين استوعبوا جوهر الإسلام وحقيقة معطياته فأصبحوا - وكما كان الرسول ﷺ قرآنا يمشى على الأرض كانوا هم كذلك - وكلهم خلقه القرآن.

وانظر إلى بعض صحابة عصر النبوة وعصور الراشدين فأنت واجد فيهم ذلك النموذج المؤهل والممثل لحالة «الاستخلاف» عن الله فى الأرض.

الخليفة أبو بكر رضي الله عنه غداة ولايته للخلافة يقابله عمر - رضى الله عنهما - فيسأله: إلى أين؟ فيقول: إلى السوق أبيع وأشترى كما كنت أفعل.. هكذا بتلقائية جميلة ونبيلة لم يغير منها أنه اليوم خليفة رسول الله وولى أمر الأمة.. ولو لم يره عمر مؤكدا له أن الوضع قد تغير وما يصح لولى أمر الأمة أن يشغل نفسه عن رعايتها بالبحث عن الرزق وأن له أن ترتب له دراهم تكفيه وتغنيه.. لما حاد عن السوق.

❖❖❖

هذا الخليفة نفسه هو الذى لخص عقد استخلافه أو العقد الاجتماعى بينه وبين الرعية بكلماته الباقية: «**إنى وُلّيت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فقومونى. أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فيكم فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم**».

وهو نفسه أبو بكر - الذى كان ماضيا إلى السوق ليبيع ويشترى غداة ولى الخلافة - نراه فى مواجهة المرتدين أسدا هصورا يأخذ القرار الحازم فى حربهم ويحمى بذلك الدولة والأمة من الفتنة والضياع يقول: «لو منعونى حقا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، وليكون بهذا من ذلك النموذج الذى قال القرآن عن مثله»: ﴿**الذين إن مكّنّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾(٥).

❖❖❖

أما ذلك المهيب الذى تفر الشياطين من وجهه إذا جمعتهم به الطريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فهو أقدر الصحابة على استلهام روح القرآن، وهو الملهم الذى كانت تنزل الآيات مؤيدة لما يرى على نحو ما حدث فى أمر «أسرى بدر» وأمر «الحجاب» لنساء النبى وغيرهما.

عمر هذا رضي الله عنه حين خطب فى الناس غداة ولايته الإمارة وقال: «فإن رأيتم فىّ اعوجاجا فقومونى..» فيقوم إليه رجل من الصحابة مقسما والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقوَّمناه بسيوفنا، فما غضب عمر ولا ورمت أنفه وإنما قال: الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوّم اعوجاج عمر بسيفه.

هذه النماذج: نموذج الأمير ونموذج الرجل من الرعية كلاهما شاهد إثبات على طبيعة الرجال الذين عرفوا حقوقهم وعرفوا واجباتهم فحفظوها وعملوا بموجبها. ومن ثم كانوا نعم المثل الرفيعة لما يصنعه الحفاظ الإنسان على حقوقه من ملامح كبار فى الشخصية تستطيع به أن تقوم بالدور المنوط بالإنسان فى صناعة الحياة وصيانتها من الجور الذى استبد بفرد أو إن سلب خصائصها

وهبط إلى مهاوى الضياع والانحطاط.

وإلقاء نظرة ـ ولو عابرة ـ على مسار التاريخ والحضارة يكشف عن بشاعة الخسارة التى خسرتها الإنسانية بانحطاط المسلمين. ورحم الله شيخنا الجليل أبا الحسن الندوى فيما سجله عن حجم هذه الخسارة فى كتابه الشهير الذى يحمل هذا العنوان «عودا على بدء مع حقوق الإنسان».

❖❖❖

وقبل أن نشير إلى أعظم الحقوق بعد حق الحياة ـ وأعنى حق الحرية ـ أذكر بأن الحق سبحانه استأثر بأنه المالك للموت وهو المانح للحياة بما يعنى أن على الإنسان الفاقه لدينه ألا يخشى الموت بل إنه يكون أقوى منه وأجرأ عليه لأن خالقه أكد له أنه **﴿هو الذى يحيى ويميت﴾** وأكد له أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها ورزقها، ومن ثم فعلى المسلم الحق أن يجهر بكلمة الحق فى وجه السلطان الجائر ويعتبر جهره بالحق أفضل الجهاد عند الله.

❖❖❖

أما عن حق الحرية فأجمل وأعظم مافى الإسلام ـ بعدا وارتقاء وسبقا ـ من كل الشعارات والادعاءات.. أعظم مافى الإسلام أنه لم يجعل الحرية منحة من ملك كان أو سلطان، وإنما جعلها جزءا مكملا للحياة ولصيقا بها حتى ليمكن أن نقول إن جملة «أنت حى» تحمل فى مضمونها جملة «أنت حر» وهذا ما فطن إليه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فى مقولته الباقية لوالى مصر عمرو بن العاص يوم غدا ولده فضرب ابن أحد أقباط مصر ـ كما هو معروف ـ فإذا عمر يستدعيه وابنه ويعطى لابن القبطى المصرى السوط آمرا له أن يضرب ابن عمرو ثم يقول لعمرو: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ بل ويهدد عمرا بأن يضربه هو نفسه بالسوط على صلعته، لأن حرية الإنسان ـ أيا كان الإنسان ـ هى من أمر الله الذى خلق الناس وفطرهم أحرارا. ومن الظلم الظالم أن يستعبدوا.

ارتقى الإسلام بكل حقوق الإنسان إلى مرتبة الضرورات

❖❖❖

وأمر الحرية ـ كما أشرت ـ ليس شعارا ولكنه ملكة غالية وعزيزة إذا بقيت فى النفس منحتها كل أسباب العظمة والإباء والارتقاء فيمضى صاحبها قادرا على الإبداع والابتكار غير مكبوت الخاطر ولا مدمر النفس فيصنع ويصنع وتتنامى طاقاته وقدراته فى كل اتجاه.

أما حين تستلب الحرية بجور الحاكم، أو ظلم القادر، أو وطأة الحاجة فما أشقاه وما أتعسه وما أكثر عثراته على طريق السقوط.

الهوامش

١ ـ سورة ص من الآية ٧١ إلى ٧٤.
٢ ـ سورة البقرة من ٣٠ إلى ٣٣.
٣ ـ آل عمران: الآية ١١٠.
٤ ـ النساء: الآيات ٩٧ ، ٩٩.
٥ ـ سورة الحج: الآية ٤١.

للحديث بقية

صلة الرحم

شعر/ عمر موسى البرعى

للرَّحم حقٌّ يقتضيه وفاء ... قد جاء فيه من السماء قضاء
والله قدسه وعظم سرَّهُ ... وبه تكرر فى الكتاب نداء
وهو الرحيم بخلقه وبملكه ... وبأمره يترحم الرحماء
أوصى الرسول به وأكد وصله ... إن الرسول طهارة ونقاء

***

الرزق من وصل القرابة واسع ... والعمر فيه زيادة ونماء
والأمُّ أجدر بالوصول لحقها ... لرضائها يتنافس الأبناء
هى رحمة هى نعمة هى نفحة ... هى منةٌ يسعى لها السعداء
إن الذى يصل القرابة مكرمٌ ... وبفضله يتحدث الكرماء
ولِواصل الرحم الثواب مضاعفا ... وله بجنات النعيم جزاء
فصلوا القرابة وانعموا بجزائها ... فبوصلها تُسْتدفع الأرزاء
وصلوا القريب يصلكم الله الذى ... منه تفيض عليكم النَّعْماء
وانسوا إساءتكم فَقُربُ تسامحٍ ... تُمْحى به وبفضله البغضاء
وتسابقوا للصُّلحِ فهو مبرَّةٌ ... لمنالِها يتسابق العقلاء
واسعوا إلى نبذ الخصام تراحما ... إنَّ الخصامَ دُجْنَةٌ سوْداء

***

شيدوا البناء على المحبة يرتفع ... فبدون حُبٍّ لا يقومُ بناء
لولا المحبة ما استقام ترابطٌ ... كلاَّ ولا ساد الحياة بقاء

القرآن الكريم وعلومه

• وأتموا الحج والعمـــرة لله

نظرات فى
آيات من سورة
البقرة

وأتموا الحج والعمرة لله

لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا
اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ
مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ
أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا
اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ
وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ
أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) سورة البقرة

الحج جهاد لتهذيب النفس وحماية الأمة من الداخل عن طريق تجميع أبنائها على اختلاف ديارهم فى مكان واحد ليشهدوا منافع لهم، وليتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

والحج فى اللغة: القصد يقال حج فلان الشىء: إذا قصده مرة بعد أخرى.

وفى الشرع: القصد لزيارة بيت الله الحرام فى وقت مخصوص بأفعال مخصوصة، وبكيفية مخصوصة، بينتها الشريعة الإسلامية.

والعمرة فى اللغة: الزيارة.

وفى الشرع: زيارة بيت الله الحرام للتقرب إليه، وقد بين النبى ﷺ أركانها وشروطها وكيفيتها.

وقد كانت شعيرة الحج والعمرة معروفتين عند العرب قبل الإسلام، ولكن بأفعال وبكيفية فيها الكثير من الأباطيل والأوهام، فجاءت شريعة الإسلام فوضعت لهما أفضل الأحكام، وأمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسلمين أن يسيروا فى أدائهما على الطريقة التى سار عليها

فقال: **«خذوا عنى مناسككم».**

وقد اختلف العلماء فى المقصود من الإتمام فى قوله تعالى: **«وأتموا الحج والعمرة لله»** فبعضهم يرى أن المراد بإتمامهما: إقامتهما وانشاؤهما فيكون المعنى" أقيموا الحج والعمرة لله: أى أدوهما وائتوا بهما.

وأصحاب هذا الرأى يرون أن العمرة واجبة كالحج، لأن الله ـ تعالى ـ أمر بهما معا، ولأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة».

ويرى كثير من الصحابة والتابعين والفقهاء كالأحناف والمالكية ـ أن المراد بإتمامهما : الإتيان بهما تامين بمناسكهما المشروعة لوجه الله ـ وأن على المسلم إذا شرع فيهما أو فى أحدهما أن يتمه ويأتى به كاملا، كما فعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه فى عمرة القضاء.

فيكون المعنى: ائتوا بالحج والعمرة كاملى الأركان والشروط والآداب خالصين لوجه الله تعالى.

فالأمر على هذا الرأى منصب على الإتمام لا على أصل الأداء.

وأصحابه يرون أن العمرة ليست واجبة كالحج لعدم قيام الدليل على وجوبها، وليس فى الآية ما يفيد الوجوب، بل فيها ما يفيد وجوب الإتمام إن شرع فيهما أو فى أحدهما. وفرضية الحج إنما ثبتت بقوله ـ تعالى ـ: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا». وأيضا، فإن أركان العمرة وأفعالها تدخل فى ثنايا أفعال الحج وأركانه، ولذلك ورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: **«دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة»** إلى غير ذلك من الأدلة التى ساقها كل فريق لتدعيم رأيه.

ومجمل القول أن فرضية الحج مجمع عليها بين العلماء، وأما فرضية العمرة ففيها خلاف، انتصر كثير من العلماء فيه للرأى القائل بأنها ليست فرضا كالحج، بل هى سنة.

وقد كانت فرضية الحج فى السنة التاسعة من الهجرة على أرجح الروايات. ويرى بعض العلماء أن الحج قد فرض قبل ذلك، إلا أن تنفيذه لم يتم إلا فى السنة التاسعة عندما أرسل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا بكر أميرا على الحج، وكان ذلك تمهيدا لحجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنة عشر.

وقد أمر ـ سبحانه ـ بإتمام الحج والعمرة لله دون غيره لأن العرب كانت تقصد الحج للاجتماع والتظاهر، والتفاخر، وقضاء الحوائج، وحضور الأسواق، دون أن يكون لله ـ تعالى ـ فيه حظ يقصد، ولا قربة تعتقد، فأمر ـ سبحانه ـ المسلمين أن ينزهوا عباداتهم ـ وخصوصا الحج ـ عن الأقوال السيئة، والأفعال القبيحة، وأن يقصدوا بأداء ما كلفهم الله به الإخلاص والطاعة له ـ سبحانه.

وبعد أن أمر الله ـ تعالى ـ عباده بأن يتموا الحج والعمرة له، أردف ذلك ببيان ما يجب عليهم عمله فيما لو حال حائل بينهم وبين إتمامهما فقال: «فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى» والإحصار والحصر فى اللغة: بمعنى الحبس والمنع والتضييق سواء أكان بسبب عدو أو مرض أو جور سلطان أو ما يشبه ذلك. قال ـ تعالى ـ فى شأن قتال المشركين: **«فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا**

المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم» سورة التوبة: آية ٥. أى: ضيقوا عليهم المنافذ. ويقال للذى لا يبوح بسره: حصر؛ لأنه حبس نفسه عن البوح بسره.

ويرى بعض علماء اللغة أن الإحصار يكون الحبس والمنع فيه لا من ذات الشخص، بل بسبب أمر خارجى كالعدو ونحوه.

«والهدى» ـ بتخفيف الياء وتشديدها ـ مصدر بمعنى المفعول، أى: المهدى والمراد به ما يهدى إلى بيت الله الحرام من الإبل والبقرة والشاة ليذبح تقربا إلى الله ـ تعالى ـ و«**استيسر**» هنا بمعنى يسر وتيسر أى: ما أمكن تحصيله من الهدى بدون مشقة أو تعب. والمعنى: أتموا ـ أيها المؤمنون ـ الحج والعمرة لله متى قدرتم على ذلك، فإن «أحصرتم» أى، منعتم بعد الإحرام من الوصول إلى البيت الحرام بسبب عدو أو مرض أو نحوهما، فعليكم إذا أردتم التحلل من الإحرام أن تذبحوا ما تيسر لكم من الهدى.

وبعض العلماء ـ كالشافعية والمالكية ـ يرون أن المراد بالإحصار فى الآية ما كان بسبب عدو، كما حدث للمسلمين فى صلح الحديبية، أما إذا كان الإحصار بسبب مرض، فإن الحاج أو المعتمر يبقى على إحرامه حتى يبرأ من مرضه ثم يذهب إلى البيت فيطوف به سبعا، ويسعى بين الصفا والمروة، وبهذا يتحلل من عمرته أو حجه، ولا يتحلل بالذبح، إذ التحلل بالذبح عندهم لا يكون إلا فى حالة الإحصار بسبب العدو. أما الأحناف فيرون أن الإحصار سواء أكان بسبب عدو أو مرض أو ما يشبههما فإنه يسيغ التحلل بالذبح، إذ الآية عندهم تعم كل منع، وعلى من أحصر أن يقضى الحج أو العمرة فيما بعد.

وفى هذه الجملة الكريمة تقرير للمبادئ التى جاءت بها شريعة الإسلام تلك المبادئ التى تتوخى فى كل شئونها التيسير لا التعسير، والرفق لا التشديد قال ـ تعالى ـ: «**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**» سورة البقرة: الآية ١٨٥. وقال تعالى: «**وما جعل عليكم فى الدين من حرج**». ثم قال تعالى: «**ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله**». سورة الحج: آية ٧٨.

حلق الرأس أو تقصيرها علامة الانتهاء من الإحرام، كما أن التسليم علامة الانتهاء من الصلاة، أو علامة قطعهما عند الاضطرار إلى ذلك. والحلق بالنسبة للرجال أفضل من التقصير، فقد أخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: يا رسول الله وللمقصرين. قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: يا رسول الله وللمقصرين. قال: وللمقصرين» (١). أما بالنسبة للنساء فيكفى التقصير.

والمحل: اسم لزمان الحلول أو مكانه. يقال: بلغ الدين محله إذا حل وقت أدائه، كما يقال: بلغ الشخص محله إذا وصل إلى المكان الذى ينزل به.

قال الآلوسى: وكون المراد بالمحل هنا المكان هو الظاهر فى الآية.

والمعنى: أتموا الحج والعمرة لله، فإن منعتم من إتمامهما وأنتم محرمون فعليكم إذا أردتم التحلل أن تذبحوا ما تيسر لكم من الهدى، ولا تتحللوا من إحرامكم بالحلق حتى تعلموا أن الهدى المبعوث قد بلغ مكانه الذى يجب أن يراق فيه دمه، وهو الحرم.

وهذا رأى الأحناف، فقد قرروا أن المراد بالمحل

البيت الحرام، فهو اسم مكان، لأن الله ـ تعالى ـ قد قال فى آية أخرى: **«ثم محلها إلى البيت العتيق»** سورة الحج: الآية ٣٣.

وعليه فلا يجوز للمحصر أن يحلق ويتحلل إلا بعد أن يصل الهدى الذى يرسله إلى البيت الحرام ويذبح.

أما جمهور الفقهاء فيرون أن محل الهدى للمحصر هو المكان الذى حدث فيه الإحصار، ودليلهم أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نحر هو وأصحابه هديهم بالحديبية وهى ليست من الحرم، وذلك عندما منعه المشركون من دخول مكة.

وقد أجاب الأحناف على ذلك بأن محصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يقول الآلوسى(٢) ـ كان فى طريق الحديبية بأسفل مكة، والحديبية متصلة بالحرم.

وعلى رأى جمهور الفقهاء يكون المعنى: ولا تتحللوا من إحرامكم بالحلق حتى تذبحوا الهدى فى الموضع الذى أحصرتم فيه، فإذا تم الذبح فاحلقوا وتحللوا. والخطاب على كلا المعنيين يكون للمحصرين، لأنه أقرب مذكور.

ويرى المحققون من العلماء أن رأى جمهور الفقهاء أكثر اتفاقا مع السنة النبوية، وفيه تسهيل على المحصرين، والمناسب لهم هو التيسير لا التعسير، ولاشك أن ذبحهم لهديهم فى مكان إحصارهم أيسر لهم، وحملوا قوله ـ تعالى ـ: «ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله» على أنه خطاب عام لجميع المكلفين لا فرق بين محصر وغير محصر، وأن المقصود من الجملة الكريمة هو البيان العام لمكان التحلل وزمانه، أما مكان الذبح عند الإحصار فقد بينه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذبحه لهديه فى الحديبية وهى ليست من الحرم عند المحققين.

قال الإمام الرازى: ومنشأ الخلاف البحث فى تفسير هذه الآية، فقد قال الشافعى وغيره: المحل فى هذه الآية اسم للزمان الذى يحصل فيه التحلل وقال: أبو حنيفة: إنه اسم للمكان(٣).

وبعد أن بين ـ سبحانه ـ أن الحلق لا يجوز للمحرم مادام مستمرا على إحرامه، أردف ذلك ببيان بعض الحالات التى يجوز فيها للمحرم أن يحلق رأسه مع استمراره على إحرامه فقال ـ تعالى ـ: **«فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه، ففدية من صيام أو صدقة أو نسك»**. سورة البقرة: آية ١٩٦.

أى: فمن كان منكم ـ أيها المحرمون ـ مريضا بمرض يضطر معه إلى الحلق، أو كان به أذى من رأسه كجراحة وحشرات مؤذية، فعليه ان حلق فدية من صيام أو صدقة أو نسك.

وقوله «ففدية» مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف. أى: فعليه فدية، وأيضا ففيه إضمار آخر والتقدير: فحلق فعليه فدية.

والفدية: هى العوض عن الشىء الجليل النفيس. ولا ريب أن محرمات الحج والعمرة أمور لها جلالها وعظمها.

وعبر ـ سبحانه ـ هنا بالفدية دون الكفارة، لأن الذى به مرض أو أذى من رأسه لم يرتكب ذنبا أو إثما حتى يكفر عنه.

قال القرطبى: والنسك: جمع نسيكه، وهى الذبيحة ينسكها العبد لله ـ تعالى ـ وتكون من الإبل والبقر والغنم ـ ويجمع ـ أيضا ـ على نسائك.

والنسك: العبادة فى الأصل، ومنه قوله ـ تعالى ـ: «وأرنا مناسكنا» أى: متعبداتنا. وقيل: أصل النسك فى اللغة الغسل؛ ومنه نسك ثوبه إذا غسله، فكأن العابد غسل نفسه من أدران الذنوب بالعبادة. وقيل: النسك سبائك الفضة التى خلصت من الخبث، كل سبيكة منها نسيكة، فكأن العابد خلص نفسه من دنس الآثام».

وقوله ـ تعالى ـ: «من صيام أو صدقة أو نسك» بيان لجنس الفدية.

وقد بين النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقدار هذه الفدية، فقد روى الشيخان عن كعب بن عجرة الأنصارى قال: حُمِلت إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقمل يتناثر على وجهى فقال: ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا.. أما تجد شاة؟ قلت: لا!! قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك. فنزلت فىَّ خاصة وهى لكم عامة.

فقد بين النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقدار الفدية فى هذا الحديث، وعامة العلماء يرون أن المحرم لعذر كهذا يخير فى هذا المقام، إن شاء صام وإن شاء تصدق وإن شاء ذبح شاة وتصدق بها على المساكين.

قال ابن كثير: ولما كان لفظ القرآن فى بيان الرخصة جاء بالأسهل فالأسهل، ولما أمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كعب بن عجرة بذلك أرشده أولا إلى الأفضل فقال: أما تجد شاة؟ فكل حسن فى مقامه».

وبعد أن بين ـ سبحانه كيفية التحلل عند الإحصار، وكيفية التحلل الجزئى من بعض المحرمات عند المرض، عقب ذلك ببيان كيفية التحلل فى حالة الأمن فقال: **«فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم، تلك عشرة كاملة»**. سورة البقرة: آية ١٩٦.

وقوله: **«فإذا أمنتم»** الأمن ضد الخوف. أى: فإذا زال خوفكم وثبت أمنكم والجملة معطوفة على قوله «أحصرتم» وجىء بإذا لأن فعل الشرط وهو «امنتم» مرغوب فيه.

وقوله: «فمن تمتع» جواب إذا. والتمتع فى اللغة ـ كما قال الإمام الرازى ـ التلذذ. يقال: تمتع بالشىء إذا تلذذ به. والمتاع كل شىء يتمتع به، وأصله من قولهم: حبل ماتع، أى: طويل. وكل من طالت صحبته مع الشىء فهو متمتع به.

والمراد بالتمتع فى الآية المعنى الشرعى بأن يجمع المسلم بين العمرة والحج فى عام واحد فى أشهر الحج، بأن يحرم بالعمرة أولا ثم بالحج.

وسمى هذا النوع من الإحرام تمتعا، لأن المحرم به يجمع بين متعة الروح ومتعة الجسد. لأنه يحرم بالعمرة أولا ويقوم بمناسكها وتلك متعة روحية وبعد الانتهاء من أدائها يتحلل فيجوز له أن يقرب النساء ويمس الطيب حتى يحرم بالحج وتلك متعة بدنية.

وهناك نوعان آخران من الإحرام.

أحدهما: الإفراد ومعناه: أن يحرم بالحج فقط ولا يجمع معه العمرة، وإنما يأتى بها فى وقت آخر.

وثانيهما: القِران ومعناه: أن يجمع بين العمرة والحج فى إحرام واحد، بأن يبقى على إحرامه ويأتى بمناسك الحج والعمرة بالإحرام نفسه.

والمعنى: فإذا ثبت أمنكم - أيها المسلمون - عند أدائكم للحج والعمرة، فمن تمتع منكم بالعمرة إلى الحج، بأن أحرم بها فى أشهر الحج، ثم بعد الانتهاء من أعمالها تحلل بأن حلق رأسه، وباشر أهله إن كانوا معه، وانتظر متحللا وصار من حقه أن يفعل كل ما يفعله من ليس محرما إلى وقت الإحرام بالحج، فعليه فى هذه الحالة أن يذبح ما تيسر له من الهدى من غنم أو بقر أو إبل ليكون هذا الذبح شكرا لله حيث وفقه - سبحانه - للجمع بين النسكين مع التمتع بينهما بأفعال المتحلل، فمن لم يجد ما يذبحه فعليه أن يصوم ثلاثة أيام فى وقت الحج وأن يصوم سبعة أيام بعد فراغه منه.

وقوله: **﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام..﴾** معطوف على ﴿فمن تمتع بالعمرة..﴾ لأن ﴿فمن تمتع﴾ مع جوابه وهو ﴿فما استيسر..﴾ مقدر فيه معنى فمن تمتع واجدًا الهدى، فعطف عليه فمن لم يجد أى الهدى.

وقد جعل - سبحانه - الصيام بدلا من الهدى زيادة فى الرخصة والرحمة وزيادة فى الرفق والتيسير فقد جعله على مرحلتين:

إحداهما: - وهى الأقل - تكون فى وقت الحج، ويفضل كثير من الفقهاء أن يصوم سادس ذى الحجة وسابعه وثامنه.

وثانيتهما: - وهى الأكثر - تكون بعد الرجوع إلى أهله حيث يطمئن ويستقر وتذهب مشقة السفر فيصوم سبعة أيام.

وبعض الفقهاء يرى جواز الصيام عند الأخذ فى الرجوع بعد الفراغ من أعمال الحج، ويرجح الوجه الأول ما رواه الشيخان فى حديث ابن عمر وفيه: «فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله»(٤).

والإشارة فى قوله - تعالى -: **﴿تلك عشرة كاملة﴾** إلى الثلاثة والسبعة. ومميز العدد محذوف أى: أيام. والجملة مؤكدة لما أفاد قوله: **﴿فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم﴾** وفائدة هذا التأكيد دفع توهم أن الواو بمعنى أو، أو أن السبعة كناية عن مطلق كثرة العدد، وبذلك يتقرر الحكم نصًا، ويتبين أن الذى يحل محل النسك إنما هو العشرة الكاملة وليس بعضها.

ووصف العشرة بأنها كاملة، للتنويه بأن هذا الصوم طريق الكمال لأعمال الحج، وأن الحاج إذا نسى بعضها لا يكون حجه تاما حتى يصوم ما أمره الله - تعالى - به.

وقوله: **﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام﴾ الإشارة فيه تعود إلى التمتع المفهوم من قوله - تعالى -: ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج..﴾** إلخ.

أى: ذلك التمتع الذى يتمتع فيه المحرم بين النسكين، إنما هو للشخص الذى ليس أهله من المقيمين فى مكة وما حولها، لأن المقيمين فى مكة وما حولها يفردون ولا يجمعون، إذ العمرة فى إماكنهم أن يؤدوها طول أيام السنة.

وقد شرع - سبحانه - التمتع ليكون تيسيراً ورفقاً للمقيمين بعيدًا عن مكة هذا رأى الأحناف.

الهوامش

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ٢ ص٢٠٨

(٢) تفسير الآلوسى جـ٢ ص٨١.

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ٥ ص ١٦٣.

(٤) تفسير الفخر الرازى جـ٥ ص١٦٧ طبعة عبدالرحمن محمد

الأقليات الإسلامية وتحديات الحوار بين الحضارات

ظلت قضية الأقليات الإسلامية محل اهتمام هامش من العالم الإسلامى، ولكن التطورات الهائلة فى عوامل التفاعل الاجتماعى والثقافى على المستوى العالمى لابد أن تجعل هذه القضية فى بؤرة اهتمام العالم الإسلامى وهو يستعد لحوار الحضارات مع الغرب فى العام المقبل تطبيقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٩٩م.

والحق أن ملف الأقليات تنشغل به هيئات عديدة وطنية وإقليمية، ولذلك فقد يكون هذا المقال مساهمة فى تطوير عملها أو حثها على الالتفات إلى بعض جوانب قضية الأقليات، وسوف يعالج هذا المقال جانبا واحدا من قضايا أقلية واحدة هى الأقلية الإسلامية فى الولايات المتحدة، وأما الجانب الذى تعنى المقالة بمعالجته فهو الجانب الثقافى، ولقد أتيح لى خلال زيارة مناسبة لنيويورك أن أقف على بعض جوانب قضية الأقليات فى الولايات المتحدة، وسوف ألخص ملاحظاتى على هذه الجوانب فى النقاط التالية:

د/ عبدالله الأشعل

أولا: يبدو أن الأقلية الإسلامية فى الولايات المتحدة والتى تضم أشتاتا من مختلف أنحاء العالم الإسلامى بدأت تدرك وتعى وزنها، فهى لا تقل عددا عن ستة ملايين نسمة وترتفع فى تقدير بعض الأوساط الإسلامية إلى أكثر من ذلك، وقد اتضح هذا الوعى فيما عكسته تحركات زعامات الجالية الإسلامية وحثها الحكومة الأمريكية على تحسين وضعية المسلمين والنظرة إليهم، مما دفع وزيرة الخارجية الأمريكية إلى طمأنتهم إلى ذلك وإلى عزمها على زيادة أعداد العاملين منهم فى وزارة الخارجية الأمريكية.

وحتى يكون وعى الجالية الإسلامية سليما وواقعيا، فلابد لهذه الجالية أن تعدل بشكل جدى نظرتها إلى نفسها على أنها فى جانب، والمجتمع الأمريكى فى جانب آخر، ولاشك أن هذه الجالية تدرك حتما أن المجتمع الأمريكى له خاصية مميزة دون سائر المجتمعات الأخرى، وهو أنه مجتمع مهاجر يضم كل الأقليات على امتداد القرنين الماضيين من عمر الولايات المتحدة، ثم أنه مجتمع يقدس الحريات، ويؤمن بالتعددية الثقافية والدينية والاجتماعية، ولا نكاد نلمس تمايزا بين فرد وآخر إلا بما يقدمه للمجتمع وبما يسهم به فى تحقيق المثال الأمريكى. هذه الخاصية الممتازة يجب أن تشجع الجالية الإسلامية على أن تكون مكونا رئيسيا فى لحمة المجتمع الأمريكى ومعزوفته الثقافية المعقدة التى ترتكز على مساحة هائلة من الحريات الشخصية والدينية والسياسية على الأقل فيما كفله الدستور وتعديلاته المتعاقبة التى تصر على أن حرية الفرد فى تكوين رأيه والتعبير عنه واعتناق دينه وحريته فى ممارسة شعائره والدعوة إليه من صلب فلسفة النظام

الاجتماعى الأمريكى، فإذا ظل النظر إلى الثقافة الإسلامية على أنها مضاد أو مقابل لمجمل الثقافات الأمريكية، والبحث فى أيهما يؤثر على الآخر، فإن الصدام محقق والخسارة ماثلة لهذه الجالية.

ثانيا: يترتب على ما تقدم أن الجالية الإسلامية لابد أن تثبت جدارتها - بالمعايير الأمريكية - وأن تطور ثقافة رصينة لا تفارق أصل الدين وتستجيب للثراء الثقافى وتسهم هى فيه. وفى هذه الجزئية تتداخل المخاوف والمحاذير ويختلط الصحيح بالعابث مما ينسب إلى الثقافة الإسلامية، كما تتفجر قضية الهوية خاصة للأجيال الوسطى والصغيرة والتى يجب ألا نغض الطرف عنها بالذات. ذلك أن تشكيل ثقافة إسلامية راقية سوف يؤثر ولاشك على نظرة الزعامة الأمريكية للدور الإسلامى، مما يعدل سياساتها تجاه العالم الإسلامى والقضايا الإسلامية. ولتصوير خطورة وأهمية هذه القضية أسوق ثلاثة شواهد على الأقل على المصادر السلبية لتشكيل الصورة الإسلامية فى الذهن الأمريكى والإدراك الثقافى الأمريكى:

الشاهد الأول: صدور كتاب فى نهاية عام ١٩٩٨م حول السياسات الأمريكية تجاه الدول الإسلامية ويضم عددا من التقارير المباشرة حول ما يجب على الرئيس الأمريكى معرفته عن العالم الإسلامى والتوصية بالسياسة الواجبة إزاءها، وحرر الكتاب وأشرف عليه مارتن كريمر رئيس مركز دايا لدراسات الشرق الأوسط والذى شاءت الأقدار أن أتصل برسالته للدكتوراه حول المؤتمرات الإسلامية والتى حصل عليها عام ١٩٨٦م من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة، وشوه فيها كل الشخصيات والمثاليات الإسلامية والذى وصل الآن إلى أن يشير على الرئيس الأمريكى - ومن توصياته - بأن تفوض واشنطن إسرائيل فى التصدى للإرهاب الدولى الإسلامى وأظن أن أول تطبيقات هذه النصيحة هو ما نشر عن علاقة إسرائيل بأحداث القوقاز من أغسطس ١٩٩٩م حتى كتابة هذه السطور (٢٠٠١/١/١) وما يجرى فى الشيشان.

إيمان المجتمع الأمريكى بالتعددية وحرية العقيدة يُمكن الأقلية المسلمة من الإسهام بدور فعال فى صياغة ثقافته

فحرى بالمسلمين فى الولايات المتحدة أن يكون لهم دور فى ترشيد القرار الأمريكى الذى ينفتح فى سعيه نحو التبلور إلى كل المصادر المتاحة إذا افترضنا تحرره من التحيز المسبق وميله الفطرى نحو مسارات معينة.

وأما **الشاهد الثانى** فهو السلوك الإسلامى فى البوسنة وكوسوفو والشيشان وداغستان وأفغانستان وغيرها وهو لا يحتاج منا إلى تعليق، وإنما تكفى الإشارة إلى أن العامل الإسلامى لا يؤخذ الآن فى الاعتبار فى رسم السياسات الدولية تجاه القضايا الإسلامية مما يستوجب إعادة النظر فى هذه المسألة الهامة.

الشاهد الثالث: هو موقف القضاء الأمريكى من المسائل الإسلامية وتطبيق القانون الإسلامى عندما ينظر منازعة يكون أحد أطرافها أو القانون الواجب التطبيق متصلا بالمسلمين أو الدول

تطوير ثقافة الأقلية المسلمة وتمسكها بأصل الدين يبدد المخاوف والمحاذير حول خصوصية هوية أجيالها الوسطى والصغيرة فى المجتمع الأمريكى

الإسلامية.. ودون دخول فى تفاصيل هذه المسألة التى أعكف الآن على دراستها فى إطار مشروع شخصى لنشرها فى الولايات المتحدة، تكفى الإشارة إلى أن موقف القضاء السلبى متأثر بنقص المعلومات من ناحية وتناقضها من ناحية أخرى، وعدم عناية المراجع الإسلامية العديدة فى العالم الإسلامى بهذه القضية الخطيرة، ولم يتحسن موقف القضاء كثيرا منذ حكم محكمة نيويورك عام ١٨١١م الذى أعلن فيه القاضى أن الإسلام خرافة لا يعتد به، فإذا كان ذلك يمكن تفهمه فى أوائل القرن التاسع، فلا يمكن قبوله الآن فى ظل وجود ملايين المسلمين فى صلب المجتمع الأمريكى. ولاشك أن حصول الدكتور زويل على جائزة نوبل فى العلوم وليس فى الأدب سيسهم تلقائيا فى تعديل صورة الإسلام والمسلمين داخل الولايات المتحدة، على الأقل لمعادلة الموقف الذى كشفت عنه ترجمة السلطات الأمريكية لأقوال مساعد الطيار المصرى وقوله توكلت على الله وتفسيرها على أنها تمهيد للإقدام على الانتحار خلال التحقيقات فى كارثة الطائرة المصرية ٩٠٠ التى وقعت فى ٣٠ أكتوبر ١٩٩٩م.

ثالثا: نأتى إلى صلب المشكلة الأخرى وهى كيف يمكن للعالم الإسلامى أن يسهم فى تكوين ثقافة دينية صحيحة وثقافة إسلامية متماسكة لأبناء المهجر تراعى ظروفهم وتنشىء فقها وثقافة للمهجر يساعدان المهاجرين على تقديم هذه الثقافة إلى المنظومة الثقافية الأمريكية؟

أما القضية الأخرى فهى كيفية المحافظة على الطابع الإسلامى والولاء القومى أيضا لأبناء الجالية الإسلامية فى بيئة تنذر بكشف أية ثقافة إسلامية ساذجة، وتوشك أن تبتلع هؤلاء الأبناء وتمتصهم فى دوامة المجتمع الأمريكى الحيوية، بعبارة أخرى إذا كانت الأسرة المسلمة حريصة على غرس القيم الإسلامية فى أبنائها الذين يتمتعون بقدر عال من الحرية فى مناقشة كل شىء دون التوقف كثيرا أمام المقدسات التقليدية، فكيف لها أن تقدم لأبنائها إسلاما علميا لا إسلاما موروثا يعتمد على حياء الأبناء وربطهم بين الولاء للدين وللوطن وللأسرة والانتماء الاجتماعى؟

وأخيرا إذا كان العالم الإسلامى جادا حقا فى تغيير صورة الإسلام والمسلمين وتعديل حسابات الآخرين تجاه العالم الإسلامى ودوله، فإن ذلك لن يتم بالحوار والاتفاقات، وإنما يتم بتعديل المدركات والتكوينات الثقافية والمعرفية التى خلط فيها الغرب بين الإسلام كرسالة سماوية وبين سلوكيات بعض الدول والمنظمات والأفراد فى العالم الإسلامى، فأصبحت هذه السلوكيات السلبية من أهم مصادر تكريس الصورة التى شوهتها الكتابات والانحيازات والتاريخ الطويل من العداء بين المسلمين والغرب منذ الفتوح الإسلامية ثم الحروب العثمانية مرورا بالحروب الصليبية وأخيرا رفض المسلمين للسيطرة الغربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. فإذا أُحسن النظر إلى هذه القضية، فإن الجالية الإسلامية يمكن أن تكون إحدى أهم أدوات الحوار الصامت بين الحضارتين الغربية والإسلامية التى تؤذن بالظهور خلال القرن الجديد.

دراسات فى السنة المطهَّرة

- إصلاح ذات البين (٢)
- ابن خزيمة
- رجال بلا نسب يبلغون بالإيمان أعلى الرتب

إصلاح ذات البين (٢)

ذكر الكاتب سلفاً فى موضوع إصلاح ذات البين ، خصال الخير التى ينبغى أن يتحلى بها المسلم من خلال القرآن الكريم الذى يحث على كل فضيلة ويدحض كل رذيلة وينأى به عن كل ما من شأنه البعد عن حضرة قدسه ، ويهيب بكل عاقل أن يأخذ بيد أخيه المسلم ليحيا أبداً فى روضة الصفاء والإخلاص ، ويعيش المرء فى فيوضات الوهاب التى يتحف بها عباده تزكية منه لهم وإحساناً عليهم ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ ويستهل الكاتب مقالته هذه بأن المخلوق ضعيف أمام صاحب القوى والقدر ، يشعر بالعزة تملك عليه أقطار نفسه حينما يقف على عتبات مولاه يسأل الاجتباء فيقول :

فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى

الإنسان وهو المخلوق الضعيف الذى ينوء كاهله بأعباء الحياة وما قد يلم به من بلاء يعجز عن احتماله ، ويعيا الخلق معه فى كشفه أو التخفيف عنه ، هنا لا يجد ملجأ إلا عند فاطر السموات والأرض فيبادر ربُنا عبده وهو الولى الحميد داعيا إياه أن يمد يد الذل إليه بالدعاء راجيا منه سبحانه كشف السوء والضر الذى أحيط به . فيقول تبارك وتعالى : ﴿ **ادعونى أستجب لكم** ﴾ وحين يسأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ قائلا : يا رسول الله . أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه . فينزل قول الحق عز وجل : ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دُعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾ (البقرة ١٨٦) .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى أبى سعيد رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها ثلاث خصال إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها . قالوا إذا نكثر قال : الله أكثر** » كما روى الإمام أحمد أيضا بسنده عن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله ﷺ « **إن الله تعالى ليستحى أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيرا فيردهما خائبتين** » كما روى الإمام مالك بسنده إلى أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لى** » البخارى ومسلم .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **ينزل الله إلى السماء الدنيا**

كل ليلة حتى يمضى ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، أنا الملك . من ذا الذى يدعونى فأستجيب له . من ذا الذى يسألنى فأعطيه . من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر » . على أن لابد للداعى من تحرى الحلال من الرزق حتى يستجيب الله دعاءه فحين قال سعد لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة قال له : «**يا سعد . أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة** » كما قال سبحانه ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ (المائدة ٢٧) . وكما قال ﷺ : « **إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وقد غذى بالحرام فأنى يستجاب له** » .

ابدأ بنفسك

ولما كانت الحياة صراعا بين الخير والشر وكان بناؤها يقوم أول ما يقوم على إصلاح النفس وصفائها قبل كل شىء ، فقد أولت رسالات السماء النفس الإنسانية عنايتها أول أمرها فعمدت إلى إصلاحها وكان ذلك سر خلود رسالات الأنبياء وتفانى المؤمنين فى سبيلها ، والتفافهم حول الدعاة المبشرين بتعاليمها حتى صاغوا من هذه التعاليم مبادىء صارت قوة تهيمن على خطرات النفس البشرية وتتحكم فى سلوكها كما تحدثت الرسالات السماوية عن المجتمع وأوضاعه والحكم وأنواعه وقدمت أدوية لما يصيب هذه النواحى من علل ، إلا أن ذلك لم يباعد بينها وبين طبيعتها التى تعتبر النفس الصالحة هى الأساس لكل صلاح ، وأن الخلق القويم هو الضامن الخالد لكل حضارة ، ذلك أن النفس إذا اعوجّت أو اعتلت فإنها تثير الفوضى فى أحكم النظم وتستطيع النفاد منه إلى أغراضها الدنيئة ، والنفس الكريمة ترأب ما تصدّع من الأحوال المختلة وتقود إلى حسن التصرف وحكيم التدبير والمسير فى أمان واطمئنان وسط الأنواء والأعاصير .

ومن هنا كان الإصلاح النفسى الدعامة الأولى لتغليب الخير فى هذه الحياة ، فإذا لم تصلح النفوس ، أظلمت الآفاق وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم ولذلك يقول تعالى : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ (سورة الرعد آية ١١) .

والإسلام فى علاجه للنفس ينظر إليها من ناحيتين أن منها فطرة خيّرة تهفو إلى الخير وتسر بإدراكه وتأسى للشر وتحزن من ارتكابه وترى فى الحق إمتداد وجودها وصحة حياتها ، وأن فيها إلى جوار ذلك نزعات طائشة تشرد بها عن سوء السبيل وتزين لها فعل ما يعود عليها بالضرر وينزل بها إلى منحدر سحيق .

وهكذا ففى الإنسان نزعتان تتنازعان قياده ، ومصيره معلق بالناصية يستسلم لها . وعمل الإسلام هو إسداء المعونة الكاملة للإنسان كى يدعم فطرته ويجلى أشعتها ويسير على هديها ولكى يتخلص من وساوس الإثم التى تراوده وتحاول السقوط به والتى يقوم جهاد المصلحين الحقيقى على كفاحها وكسر حدتها وإنقاذ الفطرة من غلوائها حتى تعود إلى صفائها وتؤدى وظيفتها الحقة . كان طريقها إلى ذلك الإيمان لا الإلحاد ، والتقوى لا الفجور ، ووحدة المتدينين على ربهم حتى لا يكونوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون .

أما عمل الإسلام مع الطبائع الشريرة فهو التنبيه إليها والعمل على إسلاس قياده ، وجعله خاضعاً لتصريف العقل الرشيد ومنطق الفطرة الخيرة . والنبى ﷺ يشير إلى بعض هذه الطبائع بقوله :

« يشيب ابن آدم ويشيب معه خصلتان : الحرص وطول الأمل » رواه مسلم .

ويقول : **« شر ما فى الإنسان جبن هالع وشح خالع »** رواه أبو داود .

كما يقول ﷺ : **« لو أن ابن آدم أعطى وادياً من ذهب أحب إليه ثانياً ولو أعطى ثانياً أحب إليه ثالثاً ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »** رواه البخارى .

والقرآن الكريم يشير إلى بعض هذه الطباع بقوله : **﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾** (آل عمران ١٤) .

والنفس كلما ألفت موطنا لشهواتها أحبت الانتقال منه إلى موطن آخر . كما أن الجرى وراء الهوى والإنصياع مع وساوسه التى لا تنقضى لن يشبع النفس ولن يرضى الحق . والنفس فى سعيها الدائب لا تبالى بارتكاب الآثام واقتراف المظالم كما حذر القرآن من اتباع الأهواء المحرمة فقال : **﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾** (سورة ص آية ٢٦) .

وفى مسلك الكافرين يقول سبحانه : **﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾** (سورة المؤمنون آية ٧١) . كما لابد من التفريق بين أهواء النفس المحرمة ومطالبها المعقولة التى لا تتعارض مع ما حرم الحق سبحانه فى ضرورات الحياة .

إن فطرة الإنسان خيِّرة وليس معنى هذا أنه ملاك لا يحسن إلا الخير ، بل معنى هذا أن الخير يتواءم مع طبيعته الأصيلة وأنه يؤثر اعتناقه والعمل به حين لا تكون هناك عوائق أو قيود تحول دون ذلك .

فالعمل الصحيح فى نظر الإسلام يتجه أولا إلى إزالة العوائق وتحطيم القيود ، فإذا زلت بالإنسان قدمه وسقط صريع الهوى والنفس تطير إليه على أنه مريض ثم يسر له أسباب الشفاء . ولن يصدر الإسلام حكماً يعزل هذا الإنسان عن المجتمع إلا يوم يكون بقاؤه مثار شر على الآخرين . ففى حدود هذه الدائرة يحارب الإسلام الجريمة ، فهو يفترض ابتداءً أن الإنسان يجب أن يعيش من طريق شريف وأن يحيا على ثمرات كفاحه وجهده الخاص ، أى لا يبنى كيانه على أنقاض الآخرين ، فالعقوبة التى شرعها الإسلام على الجريمة أياً كان نوعها ما هى إلا وقاية للجماعة العادلة المصلحة من ضراوة عضو فيها يقابل عدالتها بالظلم ويقابل إصلاحها بالفساد . ذلك من الناحية الشخصية ، أما من الناحية العامة فقد قرر الإسلام أن بقاء الأمم وازدهار حضارتها واستدامة منعتها إذا ضمنت حياة الأخلاق فيها فإذا سقط الخلق سقطت الدولة معه .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وروى الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : **« إذا أراد الله بقوم خيراً ولى أمرهم الحكماء . وجعل المال عند السمحاء وإذا أراد بقوم شراً ولى أمرهم السفهاء وجعل المال عند البخلاء »** رواه أبو داود .

ومن أقوال ابن تيمية : إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة .

التوبة أمل ونجاة

إن الخلق من منابع الإسلام الأولى من كتاب وسنة هو الدين كله وهو الدنيا كلها ، فإذا نقصت أمة

حظا من رفعة فى صلتها بالله أو فى مكانتها بين الناس فبقدر نقصان فضائلها وانهزام خلقها .

إن قصة الإنسان تشير إلى أن الله خلقه ليكرمه لا ليهينه ، وليسوده فى العالمين لا ليؤخر منزلته ويضع مقداره . والقرآن الكريم يقول : ﴿ **ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ...** ﴾ (الأعراف الآيتان ١٠ ، ١١) .

وظيفة الدين بين الناس أن يضبط مسالكهم وعلائقهم على أسس من الحق والقسط حتى يحيوا فى هذه الدنيا حياة لا جور فيها ولا جهل وهو للإنسان كالغذاء لبدنه ضرورة لوجوده ، ومتعة لحواسه ، فهو مع الوالد ضد عقوق الولد ، ومع المظلوم ضد سطوة الظالم ، ومع أى امرىء ضد أن يصاب فى عرضه أو ماله أو دمه ، فهل فى ذلك قسوة على البشر ؟ بل هى الرحمة والخير وكذلك شأن العبادات وما فيها من تيسير وما تضفى على المسلم من سماحة وكرامة فإذا أبى الناس أن يستجيبوا لله وللرسول وأن يسيروا وفق ما رسم لهم فزاغت بهم الأهواء فى فج وسادت فى الناس روح الأَثَرة والأنانية والظلم . إن منادى الإيمان قريب منهم يهتف بهم أن عودوا إلى بارئكم فإن فرصتكم بعودتكم إليه فوق كل وصف . قال رسول الله ﷺ : « **لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوبَّة مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله ، قال أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه . لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته** » . رواه البخارى .

إنها التوبة التى لابد منها فى حياة البشر فقلما ينجو الإنسان فى حياته من العثار وما أكثر الذين يرد بهم طيش الغرائز وضعف الرأى وقلة التجربة واضطراب اليقين إذا استثنينا الأنبياء فأغلب بنى آدم تعرضوا لخطايا سيئة وأخطار لا حصر لها ذلك بأنهم قيادات روحية وفكرية اصطفاها الله من النشأة الأولى وتخيرها من معادن أرقى وأنقى فهم ليسوا مثلنا وإن كنا وهم من تراب الأرض . قال الشاعر :

فإن تفق الأنام وأنت منهم
فإن المسك بعض دم الغزال

والتوبة فى نظر الإسلام عهد لابد أن يقوم به كل إنسان ولن يغنى أحد عن أحد شيئا أبدا فى أدائه .

قال تعالى : ﴿ **فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ (سورة الإسراء آية ١٥) .

والخطأ فى جنب الله لا يداويه إلا اقتداء المخطىء نفسه فعلى كل إنسان ساء فعله واضطربت حاله أن يسارع إلى ربه متعهدا نفسه بالرعاية والأدب مقبلا على شأنه بالترتيب والتهذيب حتى يستطيع النجاة من أخطار ما وقع فيه وانتهاز اليوم أفضل من انتظار الغد ، فإن كل تأخير تبتغى فيه عملا تجدد به حياتك وتصلح به شأنك قد يكون طريقا إلى انحدار أشد وعثرة أكبر وأخطر . وفى الحديث : « **النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله أن كل عاقل سيقدم على الله عجلة ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وإنما الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة واحذروا التسويف فإن الموت يأتى فجأة ولا يغترن أحدكم حلم الله عز وجل فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله** » ثم قرأ

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (سورة الزلزلة الآيتان ٧، ٨).

إن الإنسان أحوج الخلائق إلى التنقيب فى أرجاء نفسه وتعهد حياته العامة والخاصة بما يصونها من العلل ويحفظها من الأسقام . إن صوت الحق يهتف فى كل مكان وكل زمان ليهتدى الحائرون ويتجدد الباغون الذين هم فى الغى سادرون . قال رسول الله ﷺ : « **إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه تنزل الله تعالى إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى يطلع الفجر** » رواه مسلم . وفى رواية « **أقرب ما يكون العبد من الرب فى جوف الليل** » رواه الترمذى .

إنها لحظة ، إدبار الليل وإقبال النهار وعلى أطلال الماضى القريب أو البعيد يمكن للمرء أن ينهض لبناء مستقبله .

وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل : « **يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى عفوت عنك على ما كان منك ولا أبالى . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى عفوت عنك ولا أبالى . يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة** » رواه الترمذى .

والحق تبارك وتعالى يقول ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله لا يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ (سورة الزمر آية ٥٣) . فإذا اقترف المرء السيئات فإن عليه أن يبادر إلى رحمة الله وسابغ إحسانه وفضله ، وإن عظمت ذنوبه وكثرت خطاياه وفى ذلك يقول بعضهم :

يا نفس لا تقنطى من زلت عظمت
إن الكبائر فى الغفران كاللمم

والنبى - ﷺ - يقول : « **والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم** » وليس فى الحديث إغراء على المعاصى وإنما هو إيذان بأن الله سبحانه يحب التوبة والإنابة وإظهار الذل والخضوع له والخشوع الذى يخلقه أثر المعصية فى النفوس . وقوله - ﷺ - « **ويستغفرون الله فإن الله يحب التوابين ويحب المستغفرين** » .

والاستغفار نوعان : استغفار الذين عصم الله من النبيين وهو استغفار شكر لله على ما امتن به عليهم دون تقدير أو تدبير الأمر الذى يشعرون معه بالتقصير فى أداء واجب الشكر أو لأنهم يخشون ذنوبا خفيت عليهم . والنبى - ﷺ - يقول فى هذا الاستغفار : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » . والثانى : استغفار التائبين والعصاة وهو الذى يورث فى نفس المؤمن الذلة والحياء من الله سبحانه وفيه يقول ابن عطاء الله السكندرى : « رُبَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً » .

ولقبول التوبة بين العبد وخالقه شروط :

أولها : الإقلاع عن الذنب فى الحال .

الثانى : العزم على ألا يعود إليه .

الثالث : الندم على ما فات ، فإذا كانت المعصية متعلقة بحقوق العباد فلها شرط رابع : وهو رد المظالم إلى أهلها ، أو التحلل منهم إذا كانت مالاً أو نحوه وإن كانت غيبة استحلهم منها .

ووجوب التوبة ظاهر وثابت بالكتاب والسنة . قال تعالى : ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ (سورة النور آية ٣١) ﴿ **وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه** ﴾ (سورة هود آية ٣) وقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً** ﴾ (سورة التحريم آية ٨) .

ومن السنة قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة -

رضى الله عنه – سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة »** رواه البخارى .

وعن الأغر بن يسار المزنى – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – **« يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة »** رواه مسلم .

والناس فى طريق الدين :

إما قاصر ولا يستطيع السير إلا بقائد يهديه الطريق ولا يقدر على مجاوزة تقليده من خطوة يخطوها فهو مفتقر إلى أن يسمع فى كل قدم يخطوه إلى نص من كتاب الله وسنة رسوله مثل هذا وإن طال عمره قاصر وخطاه قاصرة : بما لا يهتدى إلى نص يعتمد عليه فتملكه الحيرة ولا يتبين الطريق .

وإما سعيد شرح الله صدره للإسلام وهو على نور من ربه تكفيه أدنى إشارة لسلوك الطريق والتغلب على العقبات المتعبة وثمَّ يدرك أن الذنوب إعراض عن الله واتباع الشياطين أعداء الله المبعدين ولا يشك فى أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب من الله وإنما يتم الانصراف بالعلم بعظم المعصية وخطر الذنب الأمر الذى يبعث فى النفس اللوم على ما فرط والعزم على ترك المعاصى وجميع أسباب البعد عن الله عز وجل . وهكذا يكون الطريق للقرب من الله عز وجل .

ولقد سبقت كلمة ربك لعباده إذا تعثرت بهم إلى الخير السبل وسقطوا فى حمأة الرذائل .

وأحيط بهم من كل ناحية أن يطهرهم قبل أن يأتيهم الموت بغتة وعلى غير ميعاد . وأن يفتح الأبواب للطريق الذى يوصل إليه سبحانه إذا خارت منهم العزائم وضعفت القوى عن مقاومة أعداء الله وأعدائه حتى لا يقطع حبال الود بينه سبحانه وبينهم أن جعل رجوعهم إليه وإنابتهم لساحة عفوه وإحسانه ، التوبة من سوء ما صنعوا والإقلاع عن جميع ما جنت أيديهم واقترفوا مع الإسراع بالخطا إلى فعل الخيرات والتزود بالأعمال الصالحات والإقبال المخلص على بارىء الأرض والسموات .

وكان ذلك منه لعباده إغراء لهم على إصلاح ما أفسدوا وتوثيقاً للعرى بينهم وبينه كرماً منه وفضلاً وتأتى آياته لتطمئن منهم القلوب وتستروح نسمات السكينة تملأ كيانهم وتغشاهم فى غدوهم ورواحهم فيقول سبحانه : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ (سورة النساء آية ١١٦) . سواء فى ذلك صغائر الذنوب أو كبائرها ويؤكد ذلك فى قوله لعباده كيلا يستولى عليهم اليأس من جراء ما جنوا ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ (سورة الزمر آية ٥٣) . ذلك جميعه فيما بين العبد وربه وعند عدم الوفاء بحقه . أما حقوق العباد فأمرها إلى أصحابها إن عفوا فخير . وجاء فى الخبر : الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك . فأما الديوان الذى يغفر فإنه ذنوب العباد التى بينهم وبين الله تعالى ، وأما الديوان الذى لا يغفر فإنه الشرك بالله تعالى ، وأما الديوان الذى لا يترك مظالم العباد . أخرجه ابن ماجه وأحمد .

والناس فى ميدان الحياة طرائق فمنهم من ظل على فطرته واستنارت بصيرته فهو يهرع إلى داعى الإيمان لا ينوى على شىء يصرفه عنه من متاع أو زينة ، ومنهم من لم يبلغ هذه المنزلة فاحتاج فى كل أمر إلى أن يذكره بأن الوفاء بجميع الحقوق فريضة إلا أن فى مقدمتها حق الله سبحانه وكتاب الله وسنة رسوله كلاهما يحضان على الحرص على مرضاة الله وتحاشى أسباب غضبه والعمل على ما يستديم به الود مع خالقه .

ولما كانت النفس بسلطانها والشيطان بمكايده يعملان على طمس معالم الفطرة فى العبد والحيلولة بينه وبين الانتفاع بنورها بما يزينان للعبد من مساخط الله ومعاصيه ، نبه الحق إلى أقوم وسائل الخلاص من شرهما وكان الأمر بالتوبة والترغيب فيها .

كما يرغب فى التوبة ويبين فضلها فيقول ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ (سورة البقرة آية ٢٢٢) كما يقول ﷺ : « **التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** » أخرجه ابن ماجه وابن أبى الدنيا .

وفى الأثر عن الحسن - رضى الله عنه - لما تاب الله على آدم هنأته الملائكة وهبط جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا : يا آدم : قرَّت عينك بتوبة الله عليك . قال آدم عليه السلام : يا جبريل ، فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى ، فأوحى الله إليه يا آدم : ورثت ذويك التعب والنصب وورثتهم التوبة ، فمن دعانى منهم لبيت كما لبيتك ، ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه لأنى قريب مجيب . يا آدم وأحشر التائبين من القبور ضاحكين مستبشرين ودعاؤهم مستجاب .

ومن ثم فقد أكرم الله هذه الأمة بالتوبة ليطهرها قبل أن يأتى يوم لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو نفس فى إيمانها خير وكانت المفتاح الذى يفتح بين يديها الطريق إلى مرضاة الله والزاد الذى تنتظم به فى حزب الله أولئك الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه . قال تعالى : ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً** ﴾ (سورة فاطر آية ٦) فإذا فزع المرء إلى ربه نادماً قد خلع ثوب العصيان وأقلع عن مساوئه وأقبل على ربه مطيعاً أوامره مجتنباً ما نهى عنه بادره ربه بوابل من رحمته وأنزله منازل الأبرار الأتقياء ألبسه حلى الأتقياء الأصفياء إذ قال جل شأنه : ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ (سورة الفرقان آية ٧٠) .

وكان ذلك إيناساً لمن شط منهم ، الجزاء من منازل الأخيار ، ليثوبوا إلى رشدهم ويفيئوا إلى ربهم ويجددوا العلاقة بخالقهم ويستأهلوا من عطاياه وأنعمه ما يغير ما حاق بهم من القطيعة إلى أحسن أحوالهم ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم ورحمة ، فالذنوب وإن عظمت فى الغفران كاللمم ما علم الله من عبده المؤمن صدقه فى العيش فى كنف الفضائل والبعد عن الرذائل وذلك قوله سبحانه : ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون** ﴾ (سورة هود آية ١١٣) .

وقوله : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ (سورة آل عمران آية ١٣٥) .

وما أعظم باب التوبة وأكثر مفاتيحه . قال تعالى : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً** ﴾ (سورة النساء آية ٣١) .

كما كانت العبادات بأنواعها مكفرات ومطهرات للمؤمن سواء فى ذلك الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو الحج وكذا سائر الطاعات وصدق الله سبحانه : ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾ (سورة هود آية ١١٤) . وتأتى بعد ذلك الكبائر وفى صدرها ما روى عن ابن عطاء الله

السكندرى وهو « لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار » .

وجميع الكبائر ما كان منها بين العبد وربه ، فالأمر فيه مفوض إلى الله عز وجل وما كان منها للعباد كالأمر فيها لصاحب الحق إن شاء عفا وإلا فالقصاص والجزاء ومع هذا فالحق سبحانه يرغب فى العفو حين يقول : ﴿ **وأن تعفو أقرب للتقوى** ﴾ (سورة البقرة آية ٢٣٧)كما يقول : ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾ (سورة الشورى آية ٤٣) ويقول : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ (سورة النحل آية ١٢٦) . **واصبر وما صبرك إلا بالله .**

الوحدة فى الإسلام

والإسلام حريص على وحدة المسلمين وتلاحمهم فرادى وجماعات من أجل ذلك حرم على المسلم أن يهجر أخاه المسلم . فعن أبى أيوب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام** » متفق عليه . وفى رواية أبى داود : « **فمن هجر فوق ثلاث فمات (يعنى مصراً على الهجر والقطيعة) دخل النار** » .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال ﷺ : « **تعرض الأعمال كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل امرىء لا يشرك بالله شيئا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول : اتركوا هذين حتى يصطلحا** » رواه مسلم .

وروى مسلم بسنده - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحرش بينهم** » التحرش : الإفساد .

وفى رواية أبى داود عن أبى فراس أنه سمع النبى ﷺ يقول : « **من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه** » **يعنى إراقته عدوانا وظلما . وفى رواية أخرى لأبى هريرة قال : قال ﷺ : « لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث فإن مرت به ثلاث فليلقه وليسلم عليه فإن رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم . وخرج المسلم من الهجرة** » رواه أبو داود .

قال أبو داود : إذا كانت الهجرة لله تعالى فليس من هذا فى شىء ، ومن ثم فقد أمر ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس وإبرار القسم ونصر المظلوم وإجابة الداعى وإفشاء السلام . متفق عليه .

ونهى عن كل ما يوهن عرى الأخوة بين المسلمين فقال ﷺ « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » . وربنا تبارك وتعالى يقول : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً** ﴾ (سورة الأحزاب آية ٥٨) .

وفى هذا يقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة « **إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا (ويشير إلى صدره) بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله . وإن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم** » وفى رواية مسلم : لا تهاجروا ولا يبع أحدكم على بيع بعض .

والقرآن الكريم يقول : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه** ﴾ (سورة الحجرات الآيتان ١٢،١١).

كل ذلك يرشح من يريد الصلح بين متخاصمين للقيام بهذه المهمة وذلك أن من يحمل فى قلبه شيئاً مما يغضب الله ولا يستطيع التخلص منه مريض وكيف للمريض أن يداوى مريضاً آخر وإلا كان كما قال الشاعر :

يأيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا
كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

وذلك مفاده أن من يجرى الله الخير على يديه ويصلح الله به هو من استطاع أن يصلح نفسه أولا ، فإذا أصلح نفسه كان جديرا بأن يتولى ذلك بين الناس ، ومن هنا كان على الأخيار من أبناء هذه الأمة ألا تدع للشيطان سبيلا إلى تمزيق وحدتها بإثارة الأحقاد والضغائن بين أبنائها وإشعال نيران الفتنة فى محيطها .

الترغيب فى الصلح

وكان الإصلاح ذروة الأعمال التى يتطوع المرء بها فقال رسول الله ﷺ فيما يرويه أنس لأبى أيوب : « **ألا أدلك على تجارة . قال : بلى يا رسول الله . قال : تسعى فى إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا** » . وقد رغب ﷺ فى الإصلاح بين الناس بأبلغ عبارات الترغيب ووعد من يقوم بهذا الواجب المقدس بمزيد من الأجر والثواب . قال تعالى : ﴿ **لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً** ﴾ (سورة النساء آية ١١٤) .

روى البخارى أن رسول الله ﷺ بلغه أن بنى عمرو ابن عوف كان بينهم ملاحاة فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم فى أناس من أصحابه . وفى رواية عن سهل بن سعد - رضى الله عنه - أن أهل حى اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله ﷺ فقال : « **اذهبوا بنا نصلح بينهم** » .

وعن أنس - رضى الله عنه - قال : من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة . وكتب عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - : « رُدَّ الخصوم حتى يصطلحوا فإن القضاء يورث بينهم الضغائن » فقال الأوزاعى : ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة فى إصلاح ذات البين ، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار .

وقد ورد أن خصومة وقعت بين الحسن وأخيه محمد بن الحنفية - رضى الله عنهما - فما كادت المدة المقررة شرعاً وهى ثلاثة أيام تنتهى حتى كتب محمد بن الحنفية لأخيه الحسن يقول : أما بعد فإن أمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وأمى امرأة من بنى حنيفة ولو مُلئت الأرض بأمهات مثل أمى لكانت أمك أفضل فأولى بك يا حسن أن تأتى إلَىّ وتترضانى فأنت أولى بالفضل منى والسلام . فلبى الحسن - رضى الله عنه - دعوة أخيه وزال بذلك ما كان بينهما .

وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما إذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه فى شىء وهو يقول والله لا أفعل ، فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: **"من المتألى على الله لا يفعل المعروف . فقال : أنا يا رسول الله . فله أىَّ ذلك أحب »** . متفق عليه .

يستوضعه : يسأله أن يضع عنه بعض دينه .

يسترفقه : يسأله الرفق .المتألى: الحالف .

وروى ابن كثير فى قوله تعالى : **﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾** ما رواه الحافظ أبو يعلى بسنده إلى أنس – رضى الله عنه – قال : بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه . فقال عمرو : ما أضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى . فقال : **(رجلان من أمتى اختصما بين يدى رب العزة تبارك وتعالى فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من أخى . فقال تعالى : اعط أخاك مظلمته . قال : يا رب لم يبق من حسناتى شىء . قال : فليحمل عنى من أوزارى . قال : ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال : « إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يحمل عنهم أوزارهم . فقال الله تعالى للطالب : ارفع بصرك وانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا ، لأى صدِّيق هذا ، لأى شهيد هذا ، قال : هذا لمن أعطى ثمنه .قال : يا رب ومن يملك هذا ؟ قال : أنت تملكه . فقال بماذا يا رب . قال : بعفوك عن أخيك . قال : يا رب فإنى قد عفوت عنه . قال الله تعالى : فإنى قد عفوت عنه . قال الله تعالى : خذ بيد أخيك فادخلا الجنة »** ثم قال رسول الله ﷺ : **« فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة »** .

ومع هذا يعجب المرء من المسلم يدعى إلى الصلح مع من وقع فى خصومة معه فيعرض عنه ويأبى الكرامة . ويصبر على الهجر والمقاطعة ويسرف فى الأذى والشر وتدبير السوء والإفساد فى الأرض والإضرار بالناس مخالفاً فى ذلك ما دعا إليه الدين وهدى سيد الأنبياء والمرسلين مع أن مقتضى الإيمان أن يقبل المؤمن عذر من اعتذر إليه وأن يستجيب للصلح متى دعى إليه فإن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم . وفى الأثر « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه أثم صاحبه المكسى .. الظالم » . وقال الشافعى – رضى الله عنه – من استرضى فلم يرضَ فهو شيطان . والنبى الكريم يقول ﷺ : **« من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله تعالى على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من أى الحور العين شاء »** .

هذا والكذب حرام وقد نهى عنه ﷺ ويجوز فى بعض الأحوال وذلك أن الكلام وسيلة إلى المقاصد وكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب وإن لم يكن تحصيله إلا بالكذب جاز كالكذب لإنقاذ حياة مسلم من ظالم ، أو كمن يريد أخذ ماله ظلماً وأخفى ماله . والأحوط فى هذا التورية وأن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه واستدل العلماء بجواز الكذب فى هذا الحال بحديث أم كلثوم – رضى الله عنها – أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً »** متفق عليه . وزاد مسلم : قالت أم كلثوم ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقوله إلا فى ثلاث . تعنى فى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها » .

هـذا وبالله الـتـوفيـق .

ابن خزيمة

أ.د/ أحمد عمر هاشم

نسبه ونشأته:

هو محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر إمام الأئمة أبو بكر السلمى النيسابورى ولد فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وعنى منذ حداثته بالحديث وسمعه فى صغره بنيسابور، ونشأ منذ طلبه العلم يستلهم الجانب الروحى. قيل لابن خزيمة يوما: من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له» وإنى لما شربت ماء زمزم سألت الله علما نافعا(١) وكان يقوم بالسنة تطبيقا وعملا، فعاش زاهدا ورعا، استمد قدوته الحسنة من الرسول ﷺ فهو يحب التيامن فى كل شىء تأسيا بالنبى ﷺ، قال الحاكم: سمعت أبا عمرو بن اسماعيل يقول: كنت فى مجلس ابن خزيمة فاستمد مدة فناولته بيسارى إذ كانت يمينى قد اسودت من الكتابة، فلم يأخذ الطلب وأمسك، فقال لى بعض أصحابه لو ناولت الشيخ بيمينك فأخذت القلم بيمينى، فناولته فأخذ منى.

فترى هنا أن ابن خزيمة قد أمسك أن يأخذ القلم من يسار أبى عمرو بن اسماعيل لأنه يحب التيامن فى كل شىء ولئن كان هذا الأمر هينا، إلا أنه بالنسبة لابن خزيمة عظيم لأنه يقتدى فى كل شىء بصاحب السنة - عليه الصلاة والسلام - ولقد تنبأ له معاصروه بالمكانة العلمية الجليلة وبإحيائه لسنة النبى - صلوات الله وسلامه عليه - قال أبو بشر القطان: رأى جار لابن خزيمة من أهل العلم كأن لوحا عليه صورة نبينا محمد ﷺ وابن خزيمة يصقله فقال المعبر: هذا رجل يحيى سنة رسول الله ﷺ(٢).

ومن صفات ابن خزيمة ومحامده التى تحلت نشأته بها أنه كان جوادا، بلغ فى الكرم درجة عالية فلم يدخر شيئا وكان ينفق على أهل العلم والفقراء.

حياته العلمية:

كانت حياة ابن خزيمة العلمية تتسم بطابع الجد والاجتهاد وكانت ثروته العلمية الهائلة موردا للقريب والبعيد وهو قبلة للعلماء والعلم الذى يأتم به الهداة المخلصون.

كالبحر يقذف للغريب لآلئا.
كرما ويبعث للقريب سحائبا

شيوخه وتلاميذه:

سمع من شيوخ كثيرين منهم: اسحاق بن راهويه، ومحمد بن حميد الرازى، ولم يحدث عنهما لكونه سمع منهما فى الصغر، ولكن حدث عن محمود بن غيلان، ومحمد بن أبان المستملى واسحاق بن موسى الخطمى وعتبة بن عبدالله المحمدى وعلى بن حجر وأبى قدامة السرفسى وأحمد بن منيع وبشر بن معاذ وأبى كريب وعبدالجبار بن العلاء ويونس بن عبدالأعلى ومحمد بن أسلم الزاهد والزعفرانى، وهصر بن على الجهضمى، وعلى بن خشرم وغيرهم.

وفى سبيل تحصيل العلم وتدوين الحديث النبوى عن الشيوخ قام ابن خزيمة برحلات علمية إلى الرى وبغداد والبصرة والكوفة والشام والجزيرة ومصر وواسط. وقد روى عنه من الأئمة الكبار للبخارى ومسلم خارج الصحيح ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم شيخه وأبو عمرو وأحمد بن

المبارك والمستملى وابراهيم بن أبى طالب. وهؤلاء أكبر منه، ويحيى بن محمد بن صاعد وأبو على النيسابورى واسحاق بن سعد النسوى وأبو عمرو ابن ضدان، وأبو حامد أحمد بن محمد بالويه وأبو بكر أحمد بن مهران المغرى ومحمد بن أحمد بن على بن نصير العدل وحفيده محمد بن الفضل بن محمد بن اسحاق وخلائق(٣).

ضبطه وتحريه:

وكان ابن خزيمة شديد التحرى والضبط للحديث حتى ليتوقف فى التصحيح لأدنى كلام يقال فى الإسناد، روى الحاكم عن ابن العباس بن شريح أنه قال فيه يخرج النكت من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش وهذا كناية عن دقته الفائقة فى الاستنباط وتحريه الشديد فى فقه الحديث. وكان متقنا فى هذه الناحية وهى حفظ الفقهيات من حديثه - غاية الاتقان - قال أبو على الحافظ كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة كما كان حافظا للسند والمتن حفظا جيدا، قال ابن حبان لم أر مثل ابن خزيمة فى حفظ الاسناد والمتن(٤) فهو إذا قد جمع بين حفظ السند والمتن وحفظ الفقهيات من الأحاديث وانها لمقدرة فذة استحق بها أن يلقب بإمام الأئمة. وقال أبو بكر بن بالويه سمعت ابن خزيمة يقول: كنت عند الأمير اسماعيل بن محمد فحدث عن أبيه بحديث وهم فى إسناده فرددته عليه فلما خرجت من عنده قال أبو ذر القاضى: قد كنا نعرف أن هذا الحديث خطأ منذ عشرين سنة فلم يقدر واحد منا أن يرده عليه، فقلت: لا يحل أن أسمع حديثا لرسول الله ﷺ فيه خطأ أو تحريف فلا أرد. وكانت معرفته فائقة بمختلف الحديث روى عنه أنه قال: لا أعرف أنه روى عن النبى ﷺ حديثا باسنادين صحيحين متضادين فمن كان عنده فليأتى لأؤلف بينهما(٥).

قال الحاكم فى كتابه علوم الحديث أن مصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابا سوى المسائل. والمسائل المصنفة مائة جزء، وله فقه بريرة فى ثلاثة أجزاء وكتابه الصحيح وهو أجل الكتب وأنفعها ومن مؤلفاته كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب وكتاب الفقه. وهكذا كانت مؤلفاته وعلمه فقد بلغ رتبة الاجتهاد وان كان يذكره المؤلفون فى طبقات الشافعية شافعيا. روى عنه أنه قال:

ما قلدت أحدا منذ بلغت ستة عشر. وكان يرى رأى السلف فى الصفات والقرآن وإن كان لم يسلم من تقول المفترين عليه وقد كذبهم فيما يدعون عليه(٦).

وقد نسب إليه المشبهة والملاحدة أمورا هو منها برىء وذلك واضح فى كتبه وفى كلامه. قال أبو عاصم: قال ابن خزيمة فى معنى قوله ﷺ: «أن الله خلق آدم على صورته» فيه سبب وهو أن النبى ﷺ رأى رجلا يضرب وجه رجل، فقال: «لا تضرب على وجهه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته» وكون الضمير عائدا على رجل مضروب قاله غير ابن خزيمة أيضا، ولكنه من ابن خزيمة شاهد صحيح على أنه برىء عما ينسب إليه المشبهة وتفتريه عليه الملاحدة(٧). ولقد كان فى كل حياته لا يصدر إلا عن عبادة سليمة، وتقوى من الله يستلهم الجانب الروحى فى كل شئونه، قال أبو عثمان الحيرى: حدثنا ابن خزيمة قال: كنت إذا أردت أن أصنف الشىء دخلت فى الصلاة مستخيرا حتى يقع لى فيها. فهو إذن كان على جانب كبير من الصلاح والورع مما دفع أبا عثمان الزاهد إلى القول فيه «إن الله يدفع البلاء عن أهل نيسابور بابن خزيمة» وبعد حياة حافلة ممتلئة توفى إمام الأئمة ابن خزيمة سنة احدى عشر وثلاثمائة(٨).

الهوامش

١ - النجوم الزاهرة جـ٣ ص٣١١.
٢ - طبقات الشافعية الكبرى جـ٣ ص١١٠، ١١١، ١١٨.
٣ - طبقات الشافعية الكبرى جـ٣ ص١١٠.
٤ - مرآة الجنان لليافعى جـ٢ ص٢٦٤.
٥ - طبقات الشافعية جـ٣ ص١١٠، مقدمة ابن الصلاح ص١١٦.
٦ - تذكرة الحفاظ جـ٢ ص٢٦٤، اعلام المحدثين ص٢٩٩ للدكتور محمد أبو شهبة.
٧ - طبقات الشافعية الكبرى جـ٣ ص١١٩.
٨ - مرآة الجنان جـ٢ ص٢٦٤، مقدمة تحفة الأحوذى جـ١ ص١٥٠.

رجال بلا نسب يبلغون بالإيمان أعلى الرتب

كان «أسلم الحبشى» راعيا ليهودى: يرعى غنما له. ومن حديثه ما رواه اسحاق بن يسار(١) :

أن راعيا أسود أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصِر لبعض حصون خيبر ومعه غنم كان فيها أجيرا لرجل من يهود. فقال يا رسول الله: أعرض على الإسلام. فعرضه عليه فأسلم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحدا يدعوه إلى الإسلام. فعرضه عليه فقال الأسود: كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم وهى أمانة عندى فكيف أصنع بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اضرب فى وجوهها فإنها سترجع إلى ربها». فقال الأسود فأخذ حفنة من التراب فرمى بها فى وجوهها. وقال:

ارجعى إلى صاحبك. فوالله لا أصحبك. فرجَعَت مجتمعة كأن سائقا يسوقها. ثم تقدم الأسود إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين. فأصابه حجر فقتله وما صلى صلاة قط.

فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوُضع خلفه وسجى بشملة كانت عليه.

والتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه.

ثم أعرض إعراضا سريعا فقالوا يا رسول الله: أعرضت عنه. قال: «إن معه لزوجته من الحور العين».

د/ محمود محمد عمارة

تمهيد

تنحصر مهمة الداعية أولا فى :

(أ) تجلية الحق على نحو تصير به حقائق الإسلام كالشمس الطالعة.

(ب) تنحية الأشواك من طريقه : الشبهات .. التى تناوش العقل .. والشهوات التى تهارش القلب..

(جـ) الإشراف والمتابعة .. حتى يُخرج الزرع شطأه .. ثم يستوى على سوقه يعجب الزراع .. ويغيظ به الكفار .. الذين قد يرمونه بالحجر .. لكنه من عليائه لَيَمنحهم أطايب الثمر .. فإذا هم

(١) أسد الغابة جـ١ / ٩٢.

من الحق بين واحد من أمرين. :

إما أن يأخذوا طريقهم إلى الإيمان .. وإما أن يذهبوا إلى ما يستحقون من هوان.

وهكذا فعل صلى الله عليه وسلم :

فقد عرض حقيقة الإسلام ببساطة .. وبلا تعقيد .. ثم وصل إلى الكفور .. والنجوع وعبر الصحراء المترامية .. لتصل إلى هذا الراعى الأمىّ.. البسيط .. واضحة .. وبلا عوائق.

فلم يكن لِيحْمِلَ أحدا على الإسلام حملا .. كما أنه لم يتخذ من الدعوة سلعة تعرض فى الأسواق .. فى زحمة المساومات .. والخداع .. والصراع. وبهذا الأسلوب الحكيم أعلن «أسلم» إسلامه.

فمن هو أسلم الذى صار واحدا من أتباعه صلى الله عليه وسلم؟

«أسلم» بلا والد .. ولا والدة.

تأملت ما جاء فيه «أسد الغابة» فوجدت قبله «أسلمَ بن أوس» و «أسلم بنَ بُجرَة» و « أسلم بن جبيرة».

أما صاحبنا فهو : أسلم .. فقط .. بلا جذور.. وبلا فروع! وقلت حسنا : فلنواصل السير معه إلى نهاية الرحلة .. لنرى فى شخصه رجالا بلا نسب.. يصلون بالإيمان إلى أعلى الرتب .. ولئن كان له زملاء على طريق الإيمان يتسمَّون باسمه .. وهم بنسبهم فى نقطة الضوء .. ولهم فى التاريخ ذكر .. ولهم فى المحافل مكان .. فقد تبوأ هو مكانه العلىَّ بين هؤلاء جميعا بسيرته العطرة وموقفه العظيم ..

ولئن قَصُرت لحظات إيمانه .. فقد أطالبها بإيمانه الذى ولد قويا .. والذى حفر له فى القلوب ذكرى .. لا تموت ..

وجعل من هذا الموقف منارة على طريق الإيمان تُبرز بركة الإيمان عندما يأوى إليه إنسان.

من هو أسلم

إنه واحد من عامة الناس .. كأخوة له من قبل:

صهيب .. الأبيض ..

وسلمان .. الأصفر ..

وبلال .. الأسود ..

إنه الراعى الأسمر .. جاء من أفريقيا إلى آسيا .. وتعاقد مع يهودى على أن يرعى له غنمه..

ولعل طبيعة المهنة .. وطبيعة صاحب الغنم تشكلان معا صعوبة المهمة : بين غنم تحتاج رعايتُها إلى صبر .. ومُرونة .. وحكمة ..

وبين يهودى ربما استغل خبرته بثمن بخس دراهم معدودة .. وكان فيه من الزاهدين أو من المعاندين.

فإذا أضفنا إلى ذلك إحساسه بالغُربة فى بلاد بعيدة .. إلى جانب وحدته بلا أغصان متشابكة من أبناء العمومة والخؤولة .. تبين لَكَ إلى أى حد كانت قسوة الظروف التى كان من شأنها أن تُجمِّد فى كيانه كل رغبة فى الطموح .. راضيا من الغنيمة بحفنة الغنم التى صارت فى دنياه كلَّ مايتمناه.

معنى اللقاء

ولكن هذا الحصار المضروب على الأجير الفتَى .. لم يردم فى نفسه نبع الهدى .. ولم يَطمس صفاء الفطرة.

ومن خلال هذه الغيوم المتراكمة .. انفجر شعاع اختراقها .. طالبا الخلاص .. فتلقاه الهادى البشير بقلب مفتح على الكون كله : ولم يعرض عليه الإسلام كقضية فلسفية فيها من الإلزام ..

ومن التشقيق ما يرهق العقل الغض الطرى .. وينفره من الإسلام .لقد خسرت أمتنا كثيرا من طاقاتها يوم عرضت الإسلام من منطلق فلسفى محض .. لا يتجاوب مع الفطرة الباحثة عن الحقيقة .. بسيطة .. بازغة تشق بضيائها سُدُف الظلام..

وليت شعرى .. لو قُدر لأسلم أن يذهب إلى مَجْمع علمى .. حاملا رغبته فى الخلاص إذن لعاد بمزيد من الشك .. الذاهب فى متاهات الأرض حيران.. وكم من علماء «أكاديميين» ولكن إيمانهم صغير .. إلى جانب فتى كأسلم .. يملك فى قلبه إيمانا .. كالجبال ..

ذلك بأن شجرة الإيمان لا تَتَنَامَى بمزيد من الجدل الفارغ .. بقدر ما تتغذى بالعمل وبالذكر .. الذى يصير لها غذاء وريا ..

وإذا كان لأسلمَ زملاءُ المرعى : جمَّدوا جوارحهم .. فلم تسع .. وعطلوا عقولهم .. فلن تفكر .. وأهملوا ملكاتهم فلم تُستثمر .. فقد كان أسلم واسطة العقد فيهم عندما حطم القيد .. وأنطلق حرّاً باحثا عن الحق .. وسبحان من يُخرج من الميت .. ومن بين فرث الشرك ودمه .. ذلك الإيمان لبنا خالصا سائغا للشاربين ..

ومن أشواك الجهل .. أزاهيرَ الوعى المستنير.

كرامة الإنسان عندنا وعندهم

أعلن « أسلم» إسلامه لمَّا عرض عليه الرسول صلى الله عليه وسلم حقائقه .. وتقول الرواية (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَحقر أحدا يدعوه إلى الإسلام) فلم يكن صلى الله عليه وسلم جبارا ولا متسلطا .. ولكنه كان الرسولَ الإنسان الذى يسع قلبه المتراحب كل راغب فى الإيمان .. ولئن وسع قلبه الحيوان أن يعذب .. والشجر الأخضر أن يقطع .. فكم يكون تقديره للإنسان الهارب من قيد العبودية إلى مملكة الحرية.

ونذكر هنا قيمة الإنسانية المهدورة فى مذاهب الأرض فى الوقت الذى يصونها الإسلام فيه بل ويغالى بها :

لاَحَظَ بعض الكتاب الصحفيين أن «يلتسين» أنقذ«جورباتشوف» .. وكأنما أنقذه من بين عجلات سيارة توشك أن تقتله.. ولكنه تعمد ضرب رأس «جورباتشوف» فى الجدار إهانة له. فسال دمه.

وسوف ينسى «جورباتشوف» الانقاذ .. ولكنه لن ينسى الإهانة.

ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم وأمثاله .. يبصرون بالإسلام جزءا من كيان أمة تعتز بهم .. ويعتزون بها .

بين الذكاء والعقل

كان مع أسلم على أرض الجزيرة .. وكان قبله زعماء أذكياء .. من أمثال أبى جهل وعتبة وأمية ..

ولكن «أسلم» الذى نزل عنهم فى سنه .. قد علاهم فى قوله .. وقراره الحاسم فرمَتْ به همته وراء سنه .. دونهم جميعا ..

أجل لقد عاش أسلم واحدا من ألوف البشر : عاشوا معه .. وتنفسوا معه نفس الهواء .. وأكلوا وشربوا من نفس الطعام والشراب ولكنه سبقهم .. وبقى ذكره مخلدا .. فى الوقت الذى عفَّى الزمن على سير هؤلاء الأذكياء .. مع ما كانوا يملكون من الجاه والمال والمنصب مما يراد به أن يُشيع الذكر ويخلد الأثر ..

وكم من قصائدِ المديح التى تناقلَتْها وسائل

الإعلام ثم صارت من بعد كلمات ميتةً متعفنةً وعامت قناطير الخشب فوق الموج .. بينما ترسَّب فى القاع درهم من الماس .. هو أسلم .. الحبشى؟!

ونذكر هنا ما قاله كاتب يعتز بقلمه وهو يخاطب «لويس الرابع عشر» :

لقد نسى التاريخ اللآلىء التى كانت فى تاجك أيها الامبراطور .. ولكنه لا يزال يذكر الرقع التى كانت فى حذائى!

كان أسلم عاقلا

أجل .. كان عاقلا يَعرف بهذا العقل مصلحته .. فأسلم أما غيره فكان ذكيا أو عبقريا .. ولكنه لم يحمل فى رأسه عقلا .. يعقله .. وما أكثر ماكان يعرف أحدُهم مواقع مصلحته .. لكنه تأبَّى.. فلم ينفعه ذكاؤه .. يوم تخلى عنه عقله الواعى .. وكما يسبق الدرهم الواحد من الفقير .. مائة ألف درهم يجود بها غنى واسعُ الثروة فإن عقل الفقير الموصولَ بمدد السماء يسبق عقول رجال أذكى ..

لقد كان أسلم .. رجل حرب .. وعمل .. ولم يكن محترف سياسة يدور مع المنفعة حيث تدور!!!

الإيمان يعبر عن نفسه

لأن الحق يحمل فى ذاته تطويع النفوس .. واستمالتها إلى الدعوة .. ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أتم البلاغ بعرض الدعوة هذا العرض البسيط البليغ .. على أصح الوجوه وأكملها.. فقد جاءت النتيجة على ما يُرضى الحق.. وانفجر ينبوع الإيمان فى قلب «أسلم» دفاقا .. وهكذا الإيمان الراسخ :

لا يهدأ أبدا حتى يعبر عن نفسه .. تعبيرا فوريا .. وبلا تردد .. إن الإيمان الضعيف قد يكفيه أن تعبر عنه بنشيد منظوم .. منغوم فى حفل عام !!

وقد تكتفى بلافتة تعلقها فوق جدار تضم آية من كتاب الله تعالى .. وتعبيرٌ خافت .. على هذا النحو لا يغذى بذرة الإيمان التى تظل توَّاقة إلى الزيت المبارك .. لتشعل .. نارا .. ونورا وهكذا كان «أسلم» :

لقد وُلد إيمانه قويا فجاء التعبير عنه قويا .. فى هذه الصورة الوفية. وفى زمان ضاع فيه الوفاء.. وقل الأوفياء :

لقد كانت الغنم أمانة عنده .. لصاحبها اليهودى.. ويتقاضاه إيمانه أن يرد الأمانة إلى أصحابها .. ولو كان يهوديا ..

وهاهو ذا يعرض القضية على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والذى أشار عليه بردها فردها .. فعادت بتوفيق الله تعالى .. لتؤكد لليهودى أن الإسلام غير متعطش لا إلى الدماء .. ولا إلى أكل أموال الناس بالباطل .. ولكنه دين الوفاء :

الوفاء فى عُلوِّه الأعلى .. وفى امتداده المطلق.. وفى عمقه الضارب الجذورِ فى أعماق المسلم..

قد وضع الله تعالى فى يده صلى الله عليه وسلم .. السخاء .. وفى قلبه الرحمةَ والوفاء.. وفى طبعه اليسرَ واللين .. فجاء رجاله على شاكلته .. أسخياء .. أوفياء .. مُيَسِّرين .. وفى مقدمتهم «أسلم » الفتى .. الأسود .. المغمور والذى دل بصنيعه على مافى الإسلام من سحر حلال .. يجذب الراغبين إليه .. لو وُجد الدعاةُ المخلصون.

من العصا إلى السيف

قد يستنسر البغاث بأرضنا يوما .. وقد يصنع الباطل قوة يتحول بها إلى تَيْس مستعار ينطح الحق بهذه القوة الملفقة «أحيانا»، ولكن الحق يصنع هذه القوة التى تهزمه كل حين!! وكان «أسلم» رمزا من رموز هذه القوة التى صنعها الحق على عينه .. وفى لحظة من زمان.. لقد ولد إيمانه راشدا .. فحملته همته على الفور لينال شرف الجهاد مع القوة التى تحاصر «خيبر»

وترك عصا الراعى .. ليحمل السلاح ..

لقد كان منذ قليل يَتَعامل مع الغنم .. ثم ها هو ذا يتعامل مع البشر .. على أشرف مستويات التعامل..

نهاية البطل

لو وُكل إلى قصاصٍ ليجعل من هذا الموقف رواية .. لَفرَض عليه الفن أو الحبكة القصصية أن تجىء النهاية درامية .. يقتحم فيها البطل الحصن .. ثم يحصد بسلاحه أعداءه عن اليمين والشمائل .. ليأخذ مكانه بعد ذلك فى الخالدين .. ولكن الحق تعالى لم يشأ أن تكون النهاية على هذا النحو المأمول .. وإنما .. لم يكد الفتى يتجه نحو الحصن .. حتى أصابه حجر .. فقتله وانتهت قصة حياته !

ثم لتبدأ الحياة مرة أخرى. وفى الآخرة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار.. وفى صحبة زوجته من الحور العين .. مع أنه لم يدخل الحصن.. ولم يَسُق تراب الأرض بدمائه الأعداء بل لم يصل صلاةٍ قط!!؟؟..

فما معنى هذه النهاية التى خطها القدر الأعلى؟

إن الحق تعالى .. يبين للمغرورين من أصحاب المناصب المهمة والأسماء اللامعة أن هناك بين الكفور والنجوع .. من هو أفضل منكم ويمكن أن يكون قدوة لكم. لقد نجح أسلم فيما «رسب» فيه أصحاب الجاه والسلطان .. حيث هداه الله تعالى إلى الإسلام الذى كان بقلبه السليم صالحا لتلقيه..

لقد سمعَ عن الإسلام .. فلم يرضَ بمجرد السماع ..

بل جاء بنفسه ليشاهد ..

ثم لم تكْفِه المشاهدة فباشر الجهاد فعلا فور إعلانه الإسلام ..

جاء «أسلم» على قَدَر .. مع سُوق الخيرات التى أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعقد معه صفقة .. اشترى بها الجنة..

بينما المترفون هناك تقيِّدهم أغلال الجهل .. والأعراف الجائرة .. وتقليدُ الآباء فى حياة آسنة..

لقد أراد أن يَهب حياته لواهبها سبحانه ..

وكانت صفقة رابحة حين قدَّم حياة .. فانية محدودة .. ليأخذ مكانها حياة أبدية خالية من الأكدار والأوزار.

أسلم والمتحمسون

ألا وان «أسلم» ليقول لبعض المتحمسين المتعجلين النهاية قبل أوانها : لا تركزوا فقط على الأعمال الظاهرة .. ذات الأحجام والأرقام ..

لاينبغى أن تشغلكم الظواهر عن ثروة الباطن .. وهى أعز ما يملك الإنسان .. وعليها مدار الصلاح والفساد. ولكم فى أسلم قدوةٌ حسنة .. حين استحق الجنة بنعيمها .. ولم يكن له فى الواقع أعمال تذكر..

لقد كان أسلم دليلا يهدى الحائرين إلى ركيزة الإصلاح الأولى فى بناء الأمم والجماعات. يقول

الدكتور / سعاد جلال : (السبب العام لهلاك الأمم التى يصيبهم الله تعالى بعذابه هو: مناقضة سلوك الأمم للنواميس الكونية التى رتب الله تعالى عليها فى هندسة الوجود الإنسانى العام .. هندسة حياة الأمم الراشدة : إن صلاح الأمم لا يتم إلا بصلاح المعانى الباطنة المستقرة فى ضميرها المصححة لمُعاملاتها والتى تعتبر مصادرَ أفعالها وحركاتِها ألا وهى الأخلاق .. فإنها المفتاح الوحيد المنفرد بالعمل فى بعث الأمم وخلقها من العدم إن كانت أخلاقا فاضلة، أو الإطاحة بها فى الوجود إن كانت أخلاقا فاسدة.

فكما يكون صنف من الأخلاق المعينة سببا فى إحياء الأمة .. واستدامةِ بعثها وارتقائها يكون صنف ثان من الأخلاق .. مضادا لهذا الصنف يسوق إرادة المتصفين به وحركات أفعالهم إلى الهلاك).

ولك أن تتصور رجلا خارق الذكاء بين أقرانه .. وهو يُدلَّ عليهم ويزهو؟ ماهى النتيجة المتوقعة؟؟

إنها الحقد .. ولا شئ سواه ..

أما حين تكون ثروتك فى قلبك أخلاقا طيبة .. فهو الصلاح والنجاح والفلاح وكذلك كان «أسلم» بما ملك فى قلبه من كنوز الخير ..

لقد كانت لحظاتٍ قليلة من عمر الزمان .. انغمس فيها قلبه فى أنوار النبوة ..فكانت النقلة الهائلة الفاصلة بين حياتين .. وجُمع عمره كله. فكان هذه اللحظة التى وِجَد نفسه عند منبع النهر واحده .. وإن لم يزين صدره وسام .. وكأنما يقول للأجيال : سيروا على نفس الطريق .. والنصر معكم .. وإن تأخر قليلا .. وإن زها الباطل بعدده .. وعدده .. فالعبرة بالخواتيم :

فى القادسية هُزمت الفيلة الضخمة أمام البعير..

وفى اليرموك : هزم القوس والنَّبل .. السيوف البواتر ..

لأن راكب البعير .. وحامل القوس .. كان ينطلق من قلب مؤمن .. وإرادة من صنع الإيمان .. وأين منه صاحب الفيل .. الذى لا يحمل فى صدره قلبا .. ثم هو حريص على الحياة .. فهزمه من كان حريصا على الموت !

عندما يفرح القائد العظيم

ولقد سعد صلى الله عليه وسلم ببطولة «جليبيب»..

وهكذا يكون القلب الكبير :

إنه ليفرح بالأداء المتميز لجنوده .. ويفسح لهم الطريق إلى البطولة ليصلوا إلى ما يستحقون من علو وسمو. ولئن كان يسعده أن أمره الله تعالى بأن يبدأ قوما بالسلام .. وقال : «الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أبدؤهم بالسلام» إذا سعد بذلك .. فكم تكون سعادته «بجليبيب» الذى دوخ الله به الطغاة وأذهل بسيفه الشرك.

فلنفهم الدرس

إننا مدعوون إلى البحث عن المواهب المطمورة فى زحمة الناس .. فما أكثر أمثال «جليبيب» فينا .. فلننح القشرة البادية .. فقد يكون وراء الأكمة أسود .. لقد كان «جليبيب» قصير القامة - لكنه أطال رقبة المسلمين..

وكان دميم الخلقة .. لكنه جمل وجه تاريخنا باكاليل النصر .. وكان نكرة .. فصار بانتمائه إلى روضة النبوة .. من الخالدين .. ولقد انعكس من هذا الشرف قبس على زوجته الوفية فعاشت من بعده .. غنية .. أبية .. وهى من ذكراه فى قرار مكين.

المسجد الأقصى بين الماضى والحاضر

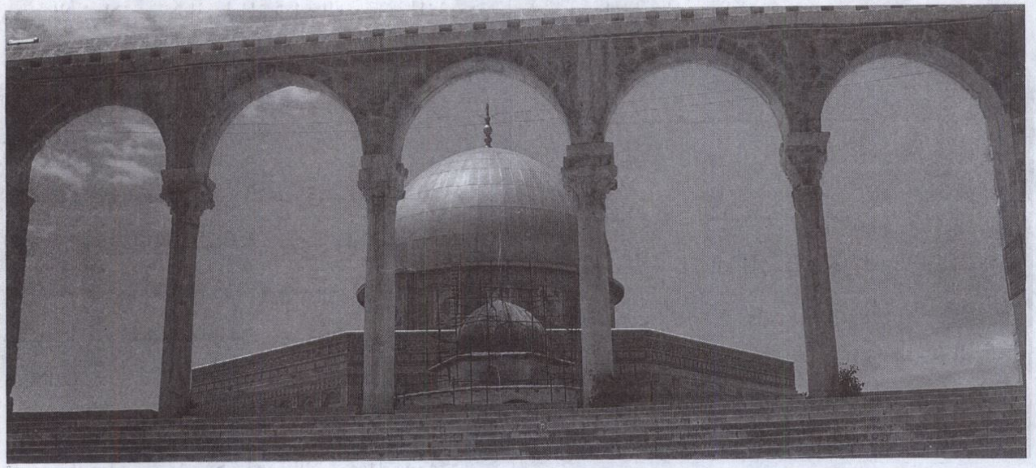

إذا كانت مكة المكرمة مركز الانطلاق لنشر الدعوة الإسلامية، ومحل وجود الكعبة المشرفة والمسجد الحرام الذى انطلق منه الرسول ﷺ فى إسرائه إلى المسجد الأقصى. وإذا كانت المدينة المنورة مستقر نجاح الدعوة الإسلامية، ومُهاجر رسول الله ﷺ وسلم، ومقر أول دولة إسلامية. فإن القدس الشريف بما فيها المسجد الأقصى هى أولى القبلتين التى اتجه إليها المسلمون ـ أول الأمر ـ فى صلواتهم، وإليها انتهى الرسول ﷺ فى إسرائه من مكة، ومن المسجد الأقصى بدأ معراجه الشريف إلى السموات العلا. وبذلك فإن الرسول ﷺ هو الذى وضع حجر الأساس للوجود الإسلامى فى تلك البقعة المباركة.

صلاح عبدالرحيم محمد

وفى سنة ١٥ هـ / ٦٣٦م فتح عمر بن الخطاب القدس. وبعد أن تسلم مفاتيح المدينة من البطريرك «صفرونيوس» طلب منه عمر أن يدلُّه على مسجد داود عليه السلام. فلما وصل أمير المؤمنين إلى مكان المسجد نظر يمينا وشمالاً وقال: «الله أكبر هذا والذى نفس عمر بيده مسجد داود عليه السلام الذى أخبرنا به رسول الله ﷺ أنه أسرى به إليه». ومضى عمر إلى مكان محراب داود يصلى فيه، وقرأ

المسجد الأقصى يتعرض لمخطط صهيونى بشع لتحويله إلى معبد يهودى

سورة (ص) وسجد. وقرر عمر أن يبنى مسجداً أمام صخرة بيت المقدس. ومازال هذا المسجد يعرف حتى الآن بمسجد عمر. وإذا استعرضنا أقوال أئمة المسلمين فى تاريخ المسجد الأقصى نجد فيها أكثر من إشارة على أنه أقدم من تاريخ داود عليه السلام. فعن كعب الأحبار أن سليمان عليه السلام بنى البيت المقدس على أساس قديم كان قد أسسه سام بن نوح. وعن عطاء الخراسانى قال: «بيت المقدس بنته الأنبياء، وعمرته الأنبياء، ووالله مافيه موضع شبر إلا وقد سجد فيه نبى» وقال ابن تيمية «فالمسجد الأقصى كان من عهد إبراهيم عليه السلام، لكن سليمان عليه السلام بناه بناءً عظيماً»، وقال ابن كثير: «لما قدم إبراهيم عليه السلام الشام أوحى إليه أنى جاعل هذه الأرض لخلفك من بعدك، فابتني إبراهيم مذبحاً شكراً لله على هذه النعمة، وضرب قبة شرقى بيت المقدس». وفى حديث لأبى ذر الغفارى رضي الله عنه فى الصحيحين أنه قال: **«قلت يارسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام. قلت ثم أى. قال: المسجد الأقصى قلت كم بينهما؟ قال: أربعون سنة».**

ويعلق صاحب الأنس الجليل على أداء بعض العلماء عن بُنَاة المسجد الأقصى فيقول: وهذه الآراء تدل على أن بناء داود وسليمان عليهما السلام للمسجد الأقصى إنما كان على أساس قديم، لأنهما المؤسسان له. بل هما مجددان. ثم ذكر صاحب الأنس الجليل أن عدة أنبياء شاركوا فى تجديد بناء المسجد الأقصى. وأضاف أن كل قول من الأقوال الواردة فى بناء المسجد الأقصى لاينافى الآخر لأن كل نبى بينه وبين الآخر مدة تحتمل أن يجدد فيها البناء المتقدم قبله. لذلك فإن سُنة أنبياء الله هو سلوك طريق الأسلاف فى تجديد المسجد الأقصى. ولا عجب عندما جُمع الأنبياء للصلاة بالمسجد الأقصى فى ليلة الإسراء حيث أمَّهم رسول الله ﷺ إلا أن تكون تلك البقعة المباركة قد قام على بنائها جدُّه إبراهيم عليه السلام، وأنها نسبت إليه قبل أن تنسب إلى داود عليه السلام. وعلى ذلك فالبيت قديم إذ أنه فى هذه البقعة المباركة عُبد الله الواحد القهار.

من أجل ذلك اتجه المسلمون فى صلاتهم. فى الأيام الأولى للدعوة الإسلامية - إلى المسجد الأقصى مدة سبعة عشر شهراً. ويذكر المقدسى (٩٨٥م) الذى عاش فى عهد الخليفة الفاطمى العزيز أن المسجد الأقصى يقع فى الركن الجنوبى الشرقى للحرم الشريف، وأن له خمسة عشر باباً فى الشمال وأحد عشر بابا فى الشرق. ويذكر ناصرى خسرو - الذى زار المسجدالأقصى عام ١٠٤٧م - أن المسجد الأقصى له سبعة أبواب فى الشمال وعشرة أبواب فى الشرق. ومن الجائز أن حوادث الزلازل عام ١٠١٦م وعام ١٠٣٤م والتى وقعت بين زيارتى المقدسى وناصرى خسرو هى السبب فى هذا الخلاف حول عدد أبواب المسجد الأقصى. وقد أحصى ناصرى خسرو فى المسجد الأقصى ٢٨٠ عموداً موزعة فى ١٤ رواقاً، وذكر أن طول المسجد الأقصى من الشمال إلى الجنوب ١٢٠ ذراعاً وعرضه عند الحائط الشمالى ١٥٠ ذراعاً. وتضم المقصورة

عدة أعمدة وفوقها قبة مزينة بطلاء خزفى ثمين (مينا)، وزين المحراب الكبير بالمينا أيضا. وفى كل جانب منه عمودان من رخام يميل لونه إلى الإحمرار. وعلى يمين المحراب الكبير محراب صغير هو محراب الخليفة معاوية، وعلى يساره محراب الخليفة عمر. أما سقف الأقصى فمغطى بالخشب.
ويواصل ناصرى خسرو حديثه عن أبعاد الأبواب فيقول: إن ارتفاع كل باب يبلغ ١١ ذراعاً وعرضه ٦ أذرع، وأن أحد هذه الأبواب من نحاس مشغول بدقة حتى يُظن أنه صنع من ذهب، وقد جاء في الخبر أن الخليفة المأمون أرسله من بغداد إذ أن رسم الخليفة كتب فوقه.

واستعهان الإدريسى الجغرافى بأوصاف الجغرافيين العرب وخاصة ابن حوقل والمقدسى فذكر أن مساحة المسجد الأقصى ٢٠٠ باع. ويذكر المؤرخون أن الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذى أعاد بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة فى سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م، فبعث بالرسائل إلى جميع عماله فى سائر الأمصار معرباً عن رغبته فى إعادة بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة. وجاءته رسائل الموافقة تفيض حماساً وتأييداً، فجمع العمال والصناع والمهندسين ورصد لهذه العمارة أموالاً طائلة، فخصص لها خراج مصر لسبع سنوات، وأسند الإشراف على البناء إلى أبى المقدام رجاء بن حتوة الكندى، وانضم إليه يزيد بن سلام مولى عبدالملك بن مروان، واستغرق البناء سبع سنوات.

وقد جرت بعد عصر الخليفة عبدالملك بن مروان على المسجد الأقصى التعديلات والتحسينات، فيذكر المؤرخون أن زلزالاً هدم سقف المسجد من جهتيه الشرقية والغربية فى عام ١٣٠هـ/٧٤٧م فأعيد بناؤه بشكل أفضل. ويُذكر أن الخليفة العباسى أبا جعفر المنصور أوصى بنزع صفائح الذهب والفضة التى كانت على الأبواب من أيام عبدالملك بن مروان ثم سُكتَّ دنانير ودراهم أنفقت على ترميمه وبناء ماتهدم منه حتى فرغ منه عام ١٤١هـ/٧٥٨م.

وفى سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٤م حدث زلزال آخر فوق البناء الذى أقامه المنصور، فأمر الخليفة المهدى بتعميره قائلا: «رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال (أى أرجل العقود) انقصوا من طوله وزيدوا فى عرضه». فتم ذلك فى سنة ١٦٣هـ/٧٨٠م. واستمر المسجد الأقصى فى مسيرته التاريخية ورحلته الطويلة عبر السنين إلى أن تعرض لزلزال جديد زعزع أركانه عام ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م فأصلحه الخليفة الفاطمى الظاهر سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م ثم جدده المستنصر بالله فى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م. ولم يدم ذلك طويلاً فقد كان للحروب الصليبية أثرها البالغ على عمارة المسجد الأقصى. ففى ١٤ يوليو ١٠٩٩م استطاع الصليبيون بقيادة «جودفرى دى بوبون» الاستيلاء على بيت المقدس، ودخل الجنود الفرسان الحرم الشريف بخيولهم، وكان المسجد يعرف بالقصر أو معبد سليمان. وقد قام فرسان الرهبان بالكثير من التغييرات فى المسجد الأقصى وفى بعض الأجزاء من الحرم الشريف. فقد بنوا إلى الغرب من الأقصى على طول السور الجنوبى للحرم الشريف مبنى لأسلحتهم، كما أقاموا فى أسفل الزاوية الجنوبية الشرقية للحرم الشريف إلى الغرب من مهد المسيح مرابط لخيولهم.

وحينما استرد صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس فى سنة ١١٨٧م أمر بإعادة التخطيط العمرانى لها حسب الطراز الإسلامى حيث عادت القدس إسلامية الطابع، وعاد المسجد الأقصى مرة أخرى

المسجد الأقصى أجمل ما خلده الفن المعمارى من تراث حضارى إسلامى عريق

مسجداً إسلامياً كما كان.

وفى سنة ١٩٢٢م إهتم المجلس الإسلامى الأعلى بفلسطين بتعمير المسجد الأقصى وصيانته وترميمه، واستدعى لذلك مهندسين مصريين وأتراك وبدأ الفريق فى وضع مخطط عمرانى إسلامى لصيانة المسجد الأقصى يناسب قدسيته وجلال قدره. وكان الفريق المصرى يرى القيام بعملية الإعمار بأن تُقوى الأسس والأعمدة وتجدد الشدات الخشبية، وتحفظ العقود والمقرنصات ورقبة القبة مع حفظ القبة نفسها لإعتبارات إسلامية واجتماعية. وفى سنة ١٩٢٧م أصيبت المنطقة بزلزال أحدث شروخاً فى الجهتين الشرقية والغربية من المسجد الأقصى، ويشرع المهندسون فى إصلاح الأضرار سنة ١٩٢٨م، وقد استمرت عملية الإصلاح خمس سنوات تم فيها هدم الرواق الشرقى وإعادة بنائه من جديد مع استعمال كل ما كان صالحاً من مواد البناء القديم مع المحافظة على تخطيطه الأصلى فى العصور الإسلامية الأموية والعباسية والفاطمية. وبعد احتلال إسرائيل المشئوم للقدس الشرقية فى السابع من يونيو ١٩٦٧م عاث اليهود فساداً فى الأرض المباركة، وأقدم شاب يدعى روهان على إحراق المسجد الأقصى فى ١٩٦٩/٨/٢١م فأحرقت النيران المنبر التاريخى المعروف بمنبر صلاح الدين والذى هو تحفة فريدة فى تاريخ الحفر على الخشب، كما أتت النيران على القبة الخشبية الداخلية من قبة الأقصى بزخارفها ذات الفن البديع. ولقد ذكر المهندس حسين الشافعى كبير مهندسى المكتب المعمارى للمسجد الأقصى - فى ذلك الوقت - أن ذلك المنبر مصنوع من خشب الأرز وخشب الأبنوس، ومُطعَّم بالفضة، وليس فيه مسمار واحد فى زخرفة نادرة ليس لها مثيل. وقد قُدِّم روهان إلى المحاكمة الصورية التى قررت بأنه مصاب فى عقله، وأنه قام بجريمته مدفوعاً بعاطفة دينية شخصية. وفى أثناء الحريق قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلى بقطع الماء عن الحرم الشريف الأمر الذى أجبر المواطنين العرب أن يقوموا بنقل الماء من الآبار لإطفاء الحريق، بينما كان الإسرائيليون يطلقون الزغاريد ويدقون الطبول فى ساحة المبكى، وبذلك يتضح تورط السلطات الإسرائيلية فى هذه الجريمة الشنعاء التى تنطوى على الإستهانة بمشاعر المسلمين فى أقدس مقدساتهم فى فلسطين، كما تمثل تشويها لمنجزات الحضارة والتاريخ.

يقول الأستاذ محمود العابدى فى كتاب «قدسنا» فى وصف حديث للمسجد الأقصى الحالى: « يبلغ طول المسجد الأقصى ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ متراً، وعدد أبوابه سبعة. والباب الأوسط هو أعلاها، ومنه ندخل إلى البهو الأوسط الذى يعلو عن الأبهاء الجانبية، ومعظم الأبنية الحالية فى الأقصى من أعمال الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أخو صلاح الدين سنة ١٢٣٦م. وقد جددت أعمدته القديمة وبذلك تم توحيد أشكالها وعددها ٥٣ عموداً ومعها ٤٩ سارية مربعة بنيت من

الحجارة، وارتفاع الأعمدة والسوارى خمسة أمتار قامت فوقها أقواس حجرية إتساع كل منها تسعة أمتار، ويربط بين الأعمدة بشدادات من النحاس. وندع هذه الأبهاء الرحبة إلى أن ينتهى بنا المطاف إلى تحت القبة القبلية التى ترتفع ١٧ متراً عن الأرض، وقد غطتها الفسيفساء الجميلة. وفى قبلة المسجد يقف منبر نور الدين، ومحراب صلاح الدين، وحول المحراب كتبت آية الإسراء. وإذا التفتنا حولنا رأينا محاريب بأسماء كثيرين من الأنبياء والأولياء والصالحين. إننا فى مكان رحب هادئ جميل جليل. ما أعظمها من متعة روحية». ويضم المسجد الأقصى مجموعة أروقة منها الرواق الذى يمتد من باب الغوانمة إلى باب الناظر، والرواقان السفليان اللذان تحت دار البناية شمال القدس من الغرب، والرواق الذى يمتد من باب القطانين إلى باب السلسلة، والرواق الممتد من باب حطة إلى باب شرف الأنبياء (باب فيصل)، والرواق المحاذى لباب شرف الأنبياء. والأروقة الغربية وتمتد من باب الغوانمة إلى باب المغاربة، والرواق الممتد من باب الناظر إلى باب القطانين. وفى الشمالية الغربية شُيِّد إيوان كبير، وبالقرب منه صمم محراب زكريا فى شكل إيوان رائع المنظر. وللمسجد الأقصى مجموعة من المآذن والقباب أهمها القبة الوسطى، وقبة السلسلة، وقبة سليمان، والقبة النحوية، وقبة الشيخ الخليلى، وقبة الخضر، وقبة المعراج، وقبة موسى، وقبة يوسف، وقبة محراب النبى، ومئذنة باب الأسباط، ومئذنة باب المغاربة، ومئذنة باب الغوانمة، ومئذنة باب السلسلة. وفى المسجد الأقصى تبرز قبة الجدران - الحاملة للقبة الكبرى - فى رقة. والقبة نفسها تقوم على هيكل خشبى، وزينة الجدران قليلة غير مبالغ فيها. والقبلة بسيطة رغم زخارفها، ويضيف إلى ردائها أن الجدار - إلى يمينها ويسارها إلى ارتفاع المحراب - مغطى بالقيشانى المزخرف، وجزء كبير من فخامة المسجد يرجع إلى سعة بيت الصلاة الذى يملأ النفس روعة وبهجة. فالمسجد الأقصى - بصورته الحالية - عمل معمارى إسلامى فريد يجمع بين البساطة والجلال ويحكى تاريخ المسلمين عبر ١٤٠٠ عام. ولم يمض عهد من عهود الإسلام إلا أضاف المسلمون جديدا أو أصلحوا قديما فى المسجد الأقصى. وهكذا توالت التعميرات ولم ينقطع أمر الإصلاح والتجديد للأقصى على توالى الأيام والسنين، فالنقوش المحفورة على جدرانه تحمل أسماء الخلفاء والملوك والأمراء الذين شاركوا فى كل مناسبة للحفاظ على هذا الأثر الإسلامى الخالد، وصار من أجمل ماخلده الفن المعمارى من تراث حضارى إسلامى عريق. وقد أوقف المسلمون على المسجد الأقصى الأملاك المحيطة بالقدس، وتقرب الخلفاء والأمراء والصالحون بتعميره عبر العصور، واتخذ المسلمون من ساحة الحرم الشريف بما فيه المسجد الأقصى بأروقته مدارس يدرسون فيها علوم الدين، وقصد معظم الحجيج المسجد الأقصى فى ذهابهم إلى البيت الحرام بمكة المكرمة، وفى عودتهم منه حتى أضحى مزاراً يتبرك به المسلمون.

والآن ومنذ أن استولت إسرائيل على القدس الشرقية والمسجد الأقصى يرزح تحت نير الإحتلال الإسرائيلى، ويتعرض هذا المُقَدَّس الإسلامى لأبشع مخطط صهيونى لتحويله من مسجد إسلامى إلى معبد يهودى. إن المسجد الأقصى الأسير ينادى المخلصين من أبناء الأمة العربية والإسلامية أن يفكُّوا أسره ويعيدوا إليه حريته السليبة، كما أعادها من قبل صلاح الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾

صدق الله العظيم

- مكة بلد البيت الحرام
- الحج عبر التاريخ
- الحج أشواق وصحة
- أول دليل صحي للحجاج
- الحج والتاريخ (شعر)

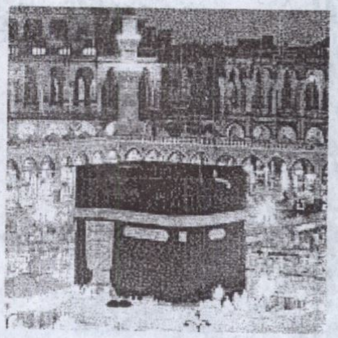

مكة بلد البيت الحرام

السيد أحمد أبو الفضل عوض الله

اشتقاق اسم مكة فى الروايات المختلفة

اختلف الإخباريون فى كلمة مكة، وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى، وفيما يلى نعرض مصدر اشتقاق كلمة مكة فى الروايات المختلفة:

كلمة مكة:

١ - قال أبو بكر الأنبارى: «سميت مكة لأنها تَمُكُّ الجبارين؛ أى تذهب نحوتهم»(١).

٢ - ويقال إنما سميت مكة: «لازدحام الناس بها، من قولهم: «قدامتكّ الفصيل ضرع أمه إذا مصَّه مصًّا شديدا»، ويرد ياقوت على هذا التفسير بقوله: «فغلط فى التأويل لا يشبه مصّ الفصيل الناقة بازدحام الناس، وإنما هما قولان»(٢).

٣ - قال الشرقى بن القطامى: «إنما سميت مكة لأن العرب فى الجاهلية كانت تقول: لا يتم حجنا حتى نأتى مكان الكعبة فنمكّ فيه؛ أى نصفّر صفير المكاء حول الكعبة، وكانوا يصرخون ويصفرون ويصفقون، بأيديهم إذا كانوا بها. والمكّاء بتشديد الكاف طائر يأوى الرياض..

ويعلق ياقوت على هذا الرأى بقوله: «والمكّاء؛ بتخفيف الكاف والمد: الصفير، فكأنهم كانوا يحاكون صوت المكّاء، ولو كان الصفير هو الغرض، لم يكن مخففا»(٣).

٤ - وقال قوم: سميت مكة لأنها بين جبلير مرتفعين عليها، وهى فى هبطة بمنزلة المكوك(٤) والمكوك عربى أو معرب، قد تكلمت به العرب، وجا فى أشعار الفصحاء.. قال الأعشى:

والمكاكى والصحاف من الفِ

ـضَّةِ والضَّامرات تحت الرجال

٥ - ويذهب أهل اللغة إلى أنها سميت مك لقولهم: «سميت مكة لأنها عُبّدت الناس فيه فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم: أمتك الفصيل أخلاف الناقة إذا جذب جميع ما فيه جذبا شديدا فلم يبق فيها شيئا»(٥).

ولما كانت مكة مكانا للعبادة، فقد امتكّت الناس أى جذبتهم من جميع الأطراف.

٦ - ويرى ياقوت إنها سميت مكة من:

أ - مكِّ الثدى، أى مصه لقلة مائها، لأنهم كانو يمتكون الماء، أى يستخرجونه.

ب - وقيل: إنها تمك الذنوب، أى تذهب بها كم

يمكُّ الفصيل ضرع أمه فلا يبقى فيه شيئا.

ج - وقيل: سميت مكة، لأنها تمكّ من ظَلَمَ، أى تنقصه.

٧ - وجاء ذكر مكة فى جغرافية بطليموس تحت اسم «ماكورابا»(٦) ومعناه مقدس أو حرم، مما يستفاد منه أن مكة كانت فى أول عهدها مقاما دينيا، وأنها كانت مركزا للعبادة قبل البعثة النبوية بزمن طويل، ويبدو أن هذا الإسم له علاقة بالبيت العتيق الذى كان سرُّ شهرتها كعاصمة دينية فى الجاهلية؛ فكلمة «ماكورابا» قريبة من مُكرب التى عرفت عند العرب، وتعبر عن لقب كان يحمله الكهنة فى سبأ قبل أن يتحولوا إلى ملوك، ومن المرجح أنها تعنى: «المقرب إلى الله»، لأنها مدينة مقدسة.

٨ - ويذكر «بروكلمان» أن مكة مشتقة من مُكَرِّب أو مقرَّب العربية الجنوبية، ومعناه الهيكل(٧)، بينما يذكر آخرون أنها قد تكون مشتقة من مكَّ فى البابلية بمعنى البيت(٨).

٩ - وورد فى القرآن الكريم اسم آخر لمكة هو: بكة، فذكرت بكة فى قوله تعالى: **﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين◆ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾** آل عمران: الآيتان ٩٦، ٩٧.

وذكر ياقوت رواية أخرى عن مغيرة بن إبراهيم جاء فيها: أن بكة هى موضع البيت ومكة هى موضع القرية(٩). وقيل إنما سميت بكة لأن الأقدام تبك بعضها بعضا أمام البيت. ونقل ياقوت عن يحيى بن أبى أنيسة: أن بكة موضع البيت ومكة هو الحرم كله. وعن زيد بن أسلم: أن بكة الكعبة والمسجد، ومكة ذو طوى وهو بطن الوادى(١٠)، الذى ذكره الله تعالى فى قوله: **﴿وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا﴾**(١٢).

ويرى بعضهم: أن بكة هى نفس مكة، أبدلت فيها الميم باء على عادة أهل الجنوب، ويعتقد الدكتور جواد على أن بكة ليست سوى لهجة من لهجات القبائل التى تبدل الميم باء(١٣).

أسماء أخرى لمكة:

ذكر الإخباريون أسماء أخرى لمكة غير بكة منها: النساسة، والناسة، والباسة؛ لأنها تبسّ أى تحطم الملحدين، وقيل تخرجهم.

وسميت أيضا: بـ(أم رحم) و(أم القرى) ووردت بهذا الإسم فى قوله تعالى: **﴿ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾** الأنعام: آية ٩٢. وسميت أيضا معاد والحاطمة: لأنها تحطم من استخف بها. وسميت البيت العتيق، لأنه عُتِق من الجبابرة(١٤). وسميت أيضا الحرم، وصلاح، والبلد الأمين، والعرش، والقادس: لأنها تقدس أى تطهر من الذنوب. والمقدسة، وكوثى باسم بقعة كانت منزل بنى عبدالدار، وسماها الله تعالى البلد الأمين فى قوله تعالى:

﴿والتين والزيتون◆ وطور سينين◆ وهذا البلد الأمين﴾ التين: الآيات ١ - ٣.

والبيت العتيق فى قوله تعالى: **﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾** الحج: آية ٢٩.

والبلد فى قوله تعالى: **﴿لا أقسم بهذا البلد◆ وأنت حل بهذا البلد﴾** البلد: الآيتان ١، ٢.

وسمى الله تعالى الكعبة البيت المحرم فى قوله تعالى: **﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم﴾** إبراهيم: آية ٣٧.

وسماها الله أيضا البيت الحرام فى قوله تعالى: **﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾** المائدة: آية ٩٧.

ونستفيد من جميع التسميات التى أطلقت على مكة أنها كانت فى أول أمرها مقاما دينيا أسسه

إبراهيم، ولهذا لا نستبعد أن يكون اسم مكة كان يعرف باسم مكرب، أى مقدس، ثم تحول إلى مكة.

❖❖❖

مكة وقريش فى التاريخ واللغة :

وتاريخ مكة الحقيقى يبدأ أيام قُصَىٍّ بن كلاب بن مرة القرشى، الذى تولى أمر مكة حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى، أما ما قبل ذلك فليس لدينا ما نعتمد عليه فى إثباته أو نفيه غير روايات الإخباريين، وهم إسلاميون أو مخضرمون، والمدة بعيدة بينهم وبين هذه العهود، بخلاف الأمر فى حال قصى وقبيلة قريش التى استقرت فى مكة ونهضت بها وجعلت منها مدينة ذات مركز اقتصادى ودينى وأدبى ممتاز، وأصبحت فى عهدها تتمتع بتوجيه عربى عام فى أواخر القرن السادس وأوائل السابع حين ظهر الإسلام. وبين قُصى وظهور الإسلام مدة لا تزيد عن مائة وخمسين عاما، وهى مدة كانت حال قريش فيها متصلة فى مكة، ولا يمكن أن ننسى فيها الأحداث وبخاصة إذا قدرنا ما للذاكرة العربية من قوة، وما لقيمة التمسك بالنسب ولحمة الدم من سلطان يجعل الناس يحتفظون بذكر آبائهم والأحداث التى ارتبطت بهم، وقد يعطون ذلك بعض المبالغة، ولكنا على أى حال نستطيع من مختلف الروايات أن نصور الوضع تصويرا نقرب به كثيرا من الحقيقة إن لم نصل إليها.

قـريش :

ولعله من المفيد أن نلقى الضوء على اسم قريش قبل المضى فى سرد تاريخ مكة. ولم يصل الباحثون لرأى حاسم فيما يتصل باسم قريش.

وللطبرى نص طويل(١٥) يفهم منه أنه ليس اسم شخص بل اسم سمكة ربما كانت (طوطم) قريش، أو صفة أطلقت على بعض زعمائها الأولين مثل: النضر بن كنانة،.

وقد أجمل الطبرى ذلك فى قوله: «سميت قريش قريشا بقريش بن بدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد ابن النضر بن كنانة، وبه سميت قريش قريشا؛ لأن عير بنى النضر كانت إذا قدمت قالت العرب: قد جاءت عير قريش، قالوا: وكان قريش هذا دليل بنى النضر فى أسفارهم وصاحب سيرتهم، وكان له ابن يسمى بدرا»(١٦).

وقال ابن الكلبى: إنما قريش جماع نسب، ليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة.

وقال آخرون: إنما سُمِّى بنو النضر بن كنانة قريشا، لأن النضر بن كنانة خرج يوما على نادى قومه، فقال بعضهم لبعض: انظروا النضر كأنه جمل قريش.

وقيل: إنما سميت قريش قريشا بدابة تكون فى البحر تدعى القِرْش، فشُبِّه بنو النضر بن كنانة بها لأنها أعظم دواب البحر قوة.

وقيل: إن النضر بن كنانة كان يقرِّش عن حاجة الناس فيسدها بماله، والقرش: فيما زعموا التفتيش، وكان بنوه يقرِّشون أهل الموسم عن الحاجة فيسدونها بما يبلغهم.

وقيل: إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشا.

وقيل: بل لم تزل بنو النضر بن كنانة يدعون بنى النضر حتى جمعهم قُصَىُّ بن كلاب؛ فقيل لهم قريش من أجل التجمع وهو التقرش. فقالت العرب: تقرشت بنو النضر أى تجمعوا.

أو قيل: إنما قيل قريش، من أجل أنها تقرشت عن الغارات.

وعن محمد بن سعد: سميت قريش قريشا: من اجتمعت إلى الحرم من تفرقها فذلك التجمع التقرشى، قال عبدالملك: ما سمعت هذا ولكن سمعت أن قُصَيًّا كان يقال له القرشى، ولم يسمَّ قرشى قبله.

وفى (لسان العرب) يقول ابن منظور: «وقريش دابة البحر لا تدع دابة إلا أكلتها، فجميع الدواب

خافها، وقريش قبيلة سيدنا رسول الله ﷺ أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، فكل من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه.

وفى حديث ابن عباس فى ذكر قريش قال: هى دابة تسكن البحر، تأكل دوابه، قال الشاعر:

وقريش هى التى تسكن البحـ

ـر بها سميت قريش قريشا

وقيل: سميت بذلك لتقرشها، أى جمعها إلى مكة من حواليها بعد تفرقها فى البلاد حين غلب عليها قُصَى بن كلاب، وبه سمى قصى مجمِّعا.

وقيل: سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر، وكان صاحب عيرهم، فكانوا يقولون: قَدِمَت عير قريش، وخرجت عير قريش

وقيل: سميت بذلك لتجرها وتكسبها وضربها فى البلاد تبتغى الرزق.

وقيل: سميت بذلك لأنهم كانوا أهل تجارة، ولم يكونوا أصحاب ضرع وزرع، من قولهم: فلان يتقرش المال أى يجمعه. قال سيبويه: ومما غلب على الحى قريش، قال: وإن جعلت قريشا اسم قبيلة فعربى، قال عيرى بن الرقاع يمدح الوليد بن عبدالملك:

غلب المساميح الوليد سماحة

وكفى قريش المعضلات وسادها

وإذا نشرت له الثناء وجدته

ورث المكارم طرفها وتلادها

وكان يقال لقصى بن كلاب القرشى، ولم يسمَّ قرشى قبله، فحاز قصى شرف مكة، وأنشأ فيها دار الندوة: وفيها كانت قريش تقضى أمورها. ولما جمع قصى قريشا بمكة سُمى مجمعا، وفى ذلك يقول حذافة بن غانم الجمحى يمدحه:

أبوهم قُصى كان يدعى مجمعا

به جمع الله القبائل من فهر

هم نزلوها والمياه قليلة

وليس بها إلا لهول بنى عمر

ويقول: من أجل تجمع قريش إلى قُصى سميت قريش قريشا. قال أبو الوليد:

وأنشدنى عبدالعزيز بن اسماعيل الحلبى فى التقرش وهو الاجتماع:

أيجدى كشحنا للطعان إذا

اقترش القنا وتقعقع الحجف

ولبعضهم:

قوارش بالرماح كأن فيها

شواطنُ تنتزعن به انتزاعا

❖❖❖

الكعبة: بيت الله الحرام

وجد فى بيوت العرب بيوت عرفت ببيوت الأوثان والأصنام؛ أو البيوت الحرم يقصدها الحجيج فى مواسم معلومة تشترك فيها القبائل من سكان البقاع العربية. وكان من أشهر هذه البيوت بيت الأقيصر، وبيت ذى الخلصة، وبيت صنعاء، وبيت رضاء، وبيت نجران. لكن بيت الله الحرام بمكة قد احتل مكانة لم تتح لغيره من بيوت الأصنام الأخرى فى سائر أنحاء الجزيرة العربية؛ لأن مكة كانت ملتقى طرق القوافل بين الجنوب والشمال والشرق والغرب، وكانت محطة لازمة لمن يحمل التجارة من الشمال إلى الجنوب، وكانت القبائل تلوذ بمثابة مطروقة تتردد عليها. وقد رغَّب القبائل فيها أن مكة لم تكن فيها سيادة قاهرة على تلك القبائل، فليست فى مكة دولة كدولة التبابعة فى اليمن، أو مملكة المناذرة فى الحيرة، أو الغساسنة فى الشام، وليس من وراء أصحاب الرياسة فيها سلطان كسلطان دولة الروم أو الفرس أو الحبشة وراء الإمارات المتفرقة على الشواطئ، أو بين بوادى الصحراء، فهى بمثابة عبادة وتجارة وليست حوزة ملك يستبد بها صاحب العرش ولا يبالى من عداه، فلم تكن قيصرية ولا كسروية ولا نجاشية، وإنما كانت مكة عربية لجميع العرب، ولهذا اجتمعت لها الخصائص التى كانت لازمة لمن يقصدونها، ويجدون فيها من يبادلهم

ويبادلونه بحكم المنفعة المتبادلة. والكعبة قديمة سابقة لأسفار العهد القديم فى التوراة، وقد توارث العرب أن أول من رفع قواعدها هو إبراهيم وابنه اسماعيل - على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام - يقول الحق سبحانه وتعالى: **﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ❁ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾** آل عمران: آية ٩٦. ويقول الله تعالى: **﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾** الحج: آية ٢٦. ويقول الله تعالى: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾**.

من هذه الآيات نفهم أن المنطقة كانت معروفة، حتى هيأ الله لإبراهيم أن يرفع قواعد البيت. وقد ذكرت المصادر القديمة مكة كما تحدثت عن البيت الذى تعظمه العرب وهو الكعبة.. والكعبة تجمع على كعبات؛ وهو البيت المربع، وقيل المرتفع.. قال الأسود ابن يعفر فى بعض الروايات:

أهل الخورنق والسدير وبارق.

قال ابن عباس: لما كان العرش والبيت ذى الكعبات من سنداد على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض، بعث ريحا فصفقت الماء فأبرزت عن خسفة(١٧) فى موضع البيت كأنها قبة فدحا الأرض من تحتها، فمادت، فأوتدها بالجبال.. وقد جاء فى الأخبار أن: أول ما خلق الله فى الأرض مكان الكعبة، ثم دحا الأرض من تحتها، فهى سُرة الأرض، ووسط الدنيا، وأم القرى، أولها الكعبة وبكة حول مكة وحول مكة الحرم، وحول الحرم الدنيا.

صفة البيت الحرام:

هو فى وسط المسجد الحرام مربع الشكل، بابه مرتفع عن الأرض نحو قامة، عليه مصراعان ملبسان بصفائح الفضة قد طليت بالذهب(❖) مقابلا للمشرق، وطول المسجد الحرام ثلاثمائة ذراع وسبعون ذراعا، وعرضه ثلاثمائة وخمسة عشر ذراعا.. وطول الكعبة أربعة وعشرون ذراعا وشبر، وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعا وشبر.. وذرع دور الحجر خمسة وعشرون ذراعا، والحجر من قبل الشام فيه يقلب الميزاب قد ألبست حيطانه بالرخام مع أرضه ارتفاعها حقوٌ ويسمونه: الحطيم، والطواف من ورائه، ولا تجوز صلاة الفرض بداخله. والحجر الأسود على الركن الشرقى عند الباب على لسان الزاوية فى مقدار رأس الإنسان، ينحنى إليه من قبله يسيرا.

سُميت الكعبة: لأنها مكعبة على خلق الكعب، وقيل التكعب: التربيع، وكل بناء مربع كعبة. وقيل سميت كعبة لارتفاع بنائها، وكل بناء مرتفع فهو كعبة، ومنه كَعُبَ ثدى الجارية إذا علا من صدرها وارتفع.

ولما فرغ إبراهيم من البناء أتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: طُفْ، فطاف هو وإسماعيل سبعا يستلمان الأركان، فلما أكملا صلّيا خلف المقام ركعتين، وقام معه جبرائيل وأراه المناسك كلها: الصفا والمروة ومنى ومزدلفة. فلما دخل منى وهبط من العقبة مُثّل له إبليس عند جمرة العقبة. فقال له جبرائيل: إرْمه، فرماه بسبع حصيات، فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة الوسطى، فقال له جبرائيل: إرمه، فرماه بسبع حصيات، فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة السفلى، فقال له جبرائيل: إرمه، فرماه بسبع حصيات مثل حصى الخذف. ثم مضى وجبرائيل معه يعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفات، فقال له: أعرفت مناسكك، فقال له إبراهيم: نعم، فسميت عَرَفات لذلك. ثم أمره أن يؤذن فى الناس بالحج، فقال: يارب وما يبلغ صوتى؟ فقال الله عز وجل: أذن وعلىَّ البلاغ، فعلا على المقام، فأشرف به حتى صار أعلى الجبال وأشرفها، وجمعت له الأرض يومئذ سهلها وجبلها وبرها وبحرها، وجنها وإنسها حتى أسمعهم جميعا وقال: يأيها الناس: **كُتب عليكم الحج إلى بيت الله**

الحرام فأجيبوا ربكم، فمن أجابه ولباه، فلابد له من أن يحج، ومن لم يجبه لا سبيل له إلى ذلك.

وخصائص الكعبة كثيرة وفضائلها لا تحصى، وليست أمة فى الأرض إلا وهم يعظمون ذلك البيت ويعترفون بقدمه وفضله وأنه من بناء إبراهيم.

والصابئون يعتبرونه بيت عبادتهم لا يفخرون إلا به ولا يتعبدون إلا بفضله.

كساء الكعبة:

بقيت الكعبة على ماهى عليه غير مسقفة، فكان أول من كساها تُبَعُ لما أتى به مالك بن العجلان إلى يثرب وقت اليهود، فمرّ بمكة فأُخبر بفضلها وشرفها فكساها الخصف: وهى حُصُر من خوص النخل، ثم رأى فى المنام أن أكسها أحسن من هذا، فكساها الأنطاع (جمع نطع: وهو بساط من الجلد)، فرأى فى المنام أن اكسها أحسن من ذلك فكساها المعافر والوصائل.

والمعافر: ثياب يمانية تنسب إلى قبيلة من همدان يقال لهم المعافر، اسم الثياب والقبيلة، والموضع الذى تعمل فيه واحد، وربما قيل لها المعافرية، وثوب معافرى يتصرف فى النسبة ولا يتصرف فى المفرد، لأنه على زنة الجمع ثالثه ألف ونُسب إلى الجمع، لأنه صار بمنزلة المفرد سمى به مفردا.

وكان أول من حَلَّى البيت عبدالمطلب لما حفر بئر زمزم وأصاب فيه من دَفْن جُرهُم غزالين من ذهب فضربهما فى باب الكعبة. فلما قام الإسلام كساها عمر بن الخطاب رضي الله عنه القباطى، ثم كساها الحجّاج الديباج الخسروانى، ويقال: يزيد بن معاوية.

بقيت على هيئتها من عمارة إبراهيم عليه السلام إلى أن بلغ نبينا صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة من عمره، فجاء سيل عظيم فهدمها، وكان فى جوفها بئر تحرّز فيها أموالها، وما يهدى إليها من النذور والقربان، فسرق رجل يقال له دُوَيْك ما كان فيها أو بعضه، فقطعت قريش يده، واجتمعوا وتشاوروا وأجمعوا على عمارتها، وكان البحر قد رمى بسفينة بجدة فتحطمت، فأخذوا خشبها فاستعانوا به على عمارتها.

وكان بمكة رجل قبطى يعمل نجارا فسوَّى لهم ذلك، وبنوها ثمانية عشر ذراعا، فلما انتهوا إلى موضع الركن اختصموا وأراد كل قوم أن يكونوا هم الذين يضعون الحجر فى موضعه، وتفاقم الأمر بينهم حتى تواعدوا على القتال، ثم تحاجزوا وتناصفوا على أن يجعلوا بينهم أول طالع يطلع من باب المسجد يقضى، فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فاحتكموا إليه فقال: هلموا ثوبا، فأُتى به، فوضع الركن فيه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ليرفعوا، حتى إذا رفعوه إلى موضعه، أخذ النبى صلى الله عليه وسلم الحجر بيده الشريفة فوضعه فى الركن، فرضوا بذلك وانتهوا عن الشرور. ورفعوا بابها عن الأرض مخافة السيل وألا يدخل فيها إلا من أحبوه، وبقوا على ذلك إلى أيام عبدالله بن الزبير، فحدثته عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقالت: سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الحجر: أَمن البيت هو؟ قال: نعم، قالت: فما بالهم لم يدخلوه فى البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة، قلت: فما شأن بابه مرتفعا؟ قال: فعل ذلك قومك ليُدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا قومك حديثو عهد فى الإسلام فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الحجر فى البيت وأن ألزق بابه بالأرض».. فأدخل ابن الزبير عشرة مشايخ من الصحابة حتى سمعوا ذلك منها. ثم أمر بهدم الكعبة، فاجتمع إليه الناس وأبوا ذلك، فأبى إلا هدمها، فخرج الناس إلى فرسخ خوفا من نزول عذاب، وعظم ذلك عليهم، ولم يجر إلا الخير.

وذكر ابن القاضى عن مجاهد قال: لما أراد ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنيها قال للناس: «اهدموا فأبوا وخافوا أن ينزل العذاب عليهم. قال مجاهد: فخرجنا إلى مِنى فأقمنا بها ثلاثا ننتظر العذاب، وارتقى ابن الزبير على جدار الكعبة هو بنفسه، فهدم البيت، فلما رأوا أنه لم يصبه شىء اجترأوا على هدمه، وبناها على ما حكت عائشة.

وتراجع الناس فلما قدم الحجاج تحرّم ابن الزبير بالكعبة، فأمر بوضع المنجنيق على أبى قبيس وقال:

ارموا الزيادة التى ابتدعها هذا المتكلف، فرموا موضع الحطيم، فلما قتل ابن الزبير وملك الحجاج ردَّ الحائط كما كان قديما، وأخذ بقية الأحجار فسد منها الباب الغربى ورصف بقيتها فى البيت حتى لا تضيع، فهى إلى الآن على ذلك، وقال تُبَّعٌ لما كُسىَّ البيت:

وأقمنا به من الشهر عشرا

وجعلنا لبابه إقليدا

وخرجنا منه نؤمُّ

سهيلا قد رفعنا لواءنا المعقودا

ويقال: أن أول من كساه الديباج يزيد بن معاوية، ويقال: عبدالله بن الزبير، ويقال: عبدالملك بن مروان. وأول من خلّق الكعبة عبدالله بن الزبير. وقال ابن جريج: معاوية أول من طيّب الكعبة بالخلوق والمجمر وإحراق الزيت بقناديل المسجد من بيت مال المسلمين. وقال مجاهد فى قوله تعالى: **﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾**. قال: يثوبون إليه ويرجعون ولا يقضون منه وطرا.

وفى قوله تعالى: **﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم﴾**، قال: لو قال: أفئدة الناس لازدحمت فارس والروم عليه.

فى فضل مكة وشرفها(١٨):

لما خرج رسول الله ﷺ من مكة، وقف على الحَزْوة وقال: «إنى لأعلم أنك أحب البلاد إلىَّ، وأنك أحب أرض الله إلى الله، ولولا أن المشركين أخرجونى منك ما خرجتُ». وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ: «لولا الهجرة لسكنت مكة، فإنى لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة، ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة، ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة».

وقال ابن أم مكتوم وهو آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ، وهو يطوف:

ياحبذا مكة من وادى

أرض بها أهلى وعُوادى

أرض بها ترسخ أوتادى

أرض بها أمشى بلا هادى

ولما قدم الرسول ﷺ المدينة هو وأبو بكر وبلال. فكان أبو بكر إذا أخذته الحمَّى يقول:

كل امرئ مصبح فى أهله

والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا انقشعت عنه رفع عقيرته.. وقال:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة

بفخ وعندى إذخر وجليل؟

وهل أردن يوما مياه مجنة

وهل يدون لى شامة وطفيل؟

ووقف رسول الله ﷺ عام الفتح على جمرة العقبة وقال: «والله إنك لخير أرض الله، وإنك لأحب أرض الله إلىَّ، ولو لم أُخْرَج ما خرجت، إنها لم تحل لأحد كان قبلى، ولا تحل لأحد كان بعدى، وما أحلت لى إلا ساعة من نهار ثم هى حرام لا يعضد شجرها، ولا يحتشى خلالها، ولا تلتقط ضالتها إلا لمنشد». فقال رجل: يارسول الله إلا الإذخِر فإنه لبيوتنا وقبورنا. فقال ﷺ: إلا الإذخر.

وقال ﷺ: «من صبر على حَرِّ مكة ساعة تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة مائة عام، ووجد على حجر فيها كتاب فيه: أنا الله رب بكة الحرام وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، لاتزال أخشابها مبارك لأهلها من الحمأ والماء.. ومن فضائله أنه من دخله كان آمنا، ومن أحدث فى غيره من البلدان حدثا ثم لجأ إليه فهو آمن إذا دخله، فإذا خرج منه أقيمت عليه الحدود، ومن أحدث فيه حدثا أُخذ بحدثه، وقوله تعالى: **﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا﴾**. وقوله: **﴿ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾**.

دليل فضلها على سائر البلاد.. ومن فضلها وشرفها أنها كانت لقاحا لا تدين لدين الملوك، ولا يؤدى أهلها إتاوة، ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان، تحجُّ إليها ملوك حمير وكندة وغسان ولخْم، فيدينون للحُمْس(❖) من قريش، ويرون تعظيمهم

والاقتداء بآثارهم مفروضا وشرفا عندهم عظيما.. وكان أهله آمنين يغزون ويَسْبُون ولا يُسْبَوْنَ، ولم تُسْبَ قرشية قط فتوطأ قهرا، ولا يجال عليها السهام، وقد ذكر عزهم وفضلهم الشعراء، فقال بعضهم:

أبوا دين الملوك فهم لقاحٌ

إذا هيجوا إلى حرب أجابوا

وقال الزبرقان بن بدر لرجل من بنى عوف قد هجا أبا جهل وتناول قريشا:

أتدرى من هجوت أبا حبيب

سليل خضارم سكنوا البطاحا

أزاد الركب تذكر أم هشاما

وبيت الله والبلد اللقاحا

وقال حرب بن أمية، ودعا الحضرمى إلى نزول مكة، وكان الحضرمى قد حالف بنى نفاثة وهم حلفاء حرب بن أمية، وأراد الحضرمى أن ينزل خارجا من الحرم، وكان يكنى أبا مطر، فقال حرب:

أبا مطر هَلُمَّ إلى الصلاح

فيكفيك الندامى من قريش

وتنزل بلدة عزت قديما

وتأمن أن يزورك رب جيش

فتأمن وسطهم وتعيش فيهم

أبا مطر هديت، بخير عيش

ألا ترى كيف يؤمنه إذا كان بمكة؟

ومما زاد فى فضلها وفضل أهلها ومباينتهم العرب أنهم كانوا حلفاء متآلفين ومتمسكين بكثير من شريعة إبراهيم عليه السلام، ولم يكونوا كالأعراب الأجلاف، ولا كمن يوقره دين، ولا يزينه أدب، وكانوا يختتون أولادهم، ويحجون البيت، ويقيمون المناسك، ويكفنون موتاهم، ويغتسلون من الجنابة، وتبرأوا من الهربزة(❖). وتباعدوا فى المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت غيرة وبعدا عن المجوسية. ونزل القرآن بتأكيد صنيعهم، وحسن اختيارهم. وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود، ويطلقون ثلاثا؛ ولذلك قال عبدالله بن عباس. وقد سأله رجل عن طلاق العرب ـ فقال: كان الرجل يطلق امرأته تطليقة ثم هو أحق بها، فإن طلقها اثنتين فهو أحق بها أيضا، فإن طلقها ثلاثا فلا سبيل له إليها. ولذلك قال الأعشى:

أيا جارتى بينى فإنك طالقهْ

كذاك أمور الناس غادٍ وطارقهْ

وبينى فقد فارقت غيرى ذميمة

وموموقةً منا كما أنت وامقهْ

وبينى فإن البين خيرٌ من العصا

وأن لا ترى لى فوق رأسك بارقهْ

الهوامش:

١ ـ ياقوت: معجم البلدان، مادة مكة، مجلد(٥).

٢ ـ نفس المصدر، ص١٨١ ـ ١٨٢.

٣ ـ المصدر السابق.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ ياقوت: معجم البلدان، مادة مكة، مجلد (٥)، ص١٨٢.

٦ ـ جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج. ٤، ص١٨٨
Lammnes: La Meequea a Veille del Hegire. P.22.

٧ ـ جرجى زيدان: العرب قبل الإسلام، ص٢٧٥.

٨ ـ الأزرقى: أخبار مكة، جا ص١٨٨. وياقوت: معجم البلدان، مجلد ٥، ص١٨٢.

٩ ـ ياقوت: نفس المرجع.

١٠ ـ جواد على" تاريخ العرب قبل الإسلام، ج. ٤، ص١٨٩.

١١ ـ الأزرقى: جـا ص١٨٩.

١٢ ـ د. السيد عبدالعزيز سالم: دراسات فى تاريخ العرب. ج١، عصر ما قبل الإسلام، ص٤٩٤.

١٣ ـ الطبرى: ج٢، ص١٨٧ ـ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص١٠ ـ مصعب الزبيرى: نسب قريش، ص١٢ ـ ابن دريد: الاشتقاق، ص١٨ ـ أبو الفرج الأصبهانى: الأغانى، ج١، ص١٢. الأزرقى: جا ص٦١.

١٤ ـ الخسفة: واحدة الخسف، تنبت فى البحر نباتا.

(❖) هى الآن بالذهب الخالص بباب الكعبة.

(١٥) انظر: ياقوت (معجم البلدان) ـ مجلد (٥) (ص١٨٣ ١٨٥).

(❖) الحماسة والتحمس: مذهب القرشيين المتشدد فى الجاهلية، وقد أبطله الإسلام.

(❖) هى المجوسية.. والله أعلم.

الحج عبر التاريخ

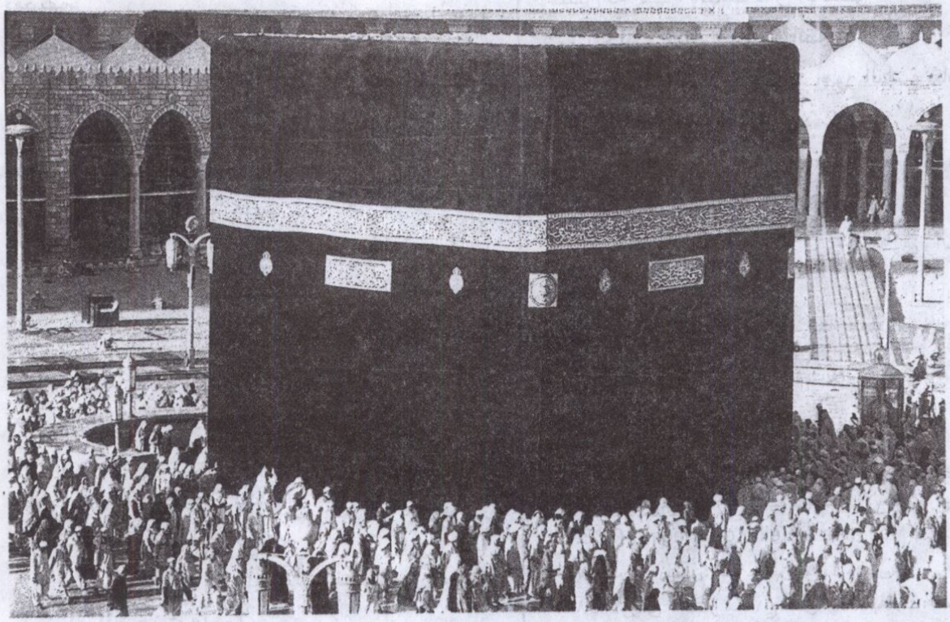

وُجد ببلاد العرب بيوت عرفت ببيوت الله أو البيوت الحرام، ويقصدها الحجيج فى مواسم معلومة تشترك فيها القبائل من سكان البقاع العربية ويتعاهدون على المسالمة فى جوارها. ومن أشهرها : بيت «الأقيصر»؛ وبيت «الخلصة»؛ وكعبة نجران. ويقع الأول فى مشارف الشام، وكان مقصد قبائل قضاعة ولخم وجذام وعاملة، يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده. أما بيت «الخلصة» فكان يسمى بالكعبة اليمانية، وهو بيت أصنام لقبائل دوس وخثعم وبجيلة، وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلى بهدم البيت فهدمه. وبالنسبة لكعبة نجران فهى بيعةٌ بنوها على غرار الكعبة وعظموها مضاهاة لها، ويقول ابن الكلبى: إنها لم تكن بناءً وإنما كانت قبةً من ثلاثمائة جلد، وكان إذا جاءها الخائف أمن أو طالب الحاجة قضيت حاجته، وكان فيها أساقفة معتمدون، وهم الذين جاءوا النبى صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى المباهلة (*فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين*) (آل عمران ٦١)

أ.د. محمد عبد الفتاح عليان

ولقد اجتمع لبيت مكة من بين هذه البيوت الحرام مالم يجتمع لبيت آخر فى أنحاء الجزيرة العربية، لأن مكة كانت ملتقى القوافل بين الجنوب والشمال والشرق والغرب، كما لم تكن فيها دولة كدولة التبابعة فى اليمن أو مملكة المناذرة فى الحيرة أو الغساسنة فى الشام، وليس من وراء أصحاب الرياسة فيها سلطان، فلم تكن قيصرية ولا كسروية ولا نجاشية، وإنما كانت مكة عربية لجميع العرب . ولهذا تمت لها الخصائص التى كانت لازمة لمن يقصدونها، ويجدون فيها من يبادلهم ويبادلونه على أساس المنفعة المشتركة، لا على أساس القهر والإكراه[١].

ووجود البيت الحرام فى مكة موغل فى القدم، والراجح أن الملائكة هم الذين وضعوا أساس هذا البيت، ثم بوأ الله تعالى مكانه لإبراهيم عليه السلام، وهو الذى رفع قواعده بمعاونة ابنه اسماعيل لما كبُر. بدليل قوله تعالى : **(إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا)**[٢]، ويفهم من ذلك أن الناس، بدءاً بآدم عليه السلام وانتهاءً بكل أولاده بما فيهم إبراهيم وإسماعيل، لم يقيموا هذا البيت وإنما أقيم لهم، وقد اقتصر دور إبراهيم وإسماعيل على رفع قواعده. قال الله تعالى : **(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل)**[٣]. وعرف إبراهيم مكان البيت منذ مقدمه إلى مكة بصحبة زوجه هاجر وابنه إسماعيل، وقبل أن يشرع فى رفع القواعد من هذا البيت، بدليل قوله تعالى: **(ربنا إنى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم)**[٤]، وتم ذلك قبل أن يشب إسماعيل، ويصبح قادرا على معاونة أبيه فى رفع تلك القواعد، ومكان البيت - بطبيعة الحال - له حدود معينة، دلّ عليها الأساس الذى وُضع للناس.

ولقد كانت الكعبة منذ القدم مثابة للناس وأمنا، لا يُمنع أحد من التعبد فيها، فقد كانت قريش تسمح لكل الناس على اختلاف نحلهم بالطواف حولها والتعبد فيها، على اعتبار أنها بيت الله. فالوثنيون على اختلاف أربابهم، واليهود والنصارى والصابئون كان يمكنهم زيارتها والتعبد فيها، مثلهم فى ذلك مثل القبائل البادية التى وجدت فيها محلا لعبادة أوثانها فى مواسم الحج والاحرام. ولقد حاولت بعض الدول الكبرى أن تهدم هذا البيت وتحول أنظار العرب عنه فلم تفلح[٥]، وبقيت للكعبة مكانتها وقداستها على النحو الذى كانت عليه منذ أقدم عهودها.

والأساس المهم الذى قامت عليه قداسة بيت مكة أن البيت بجملته هو المقصود بالقداسة، غير منظور إلى الأصنام والأوثان التى اشتملت عليها، وربما اشتمل البيت على الصنم أو الوثن الذى تعظمه قبيلة وتزدريه أخرى، فلا ينتقص ذلك من قدر البيت عند المعظمين والمزدرين على السواء، فكانت قداسة البيت هى القداسة التى لا خلاف عليها من أهل مكة وأهل البادية، وجاز لهم أن يحكموا بالضلال على أتباع صنم معلوم، ولكنهم يعطون البيت حقه من الرعاية والتقدير، وعلى هذا كان يتفق فى موسم الحج أن يجتمع حول البيت أناس من العرب يأخذون بأشتات متفرقة من الوثنية والمحسوبية واليهودية والمسيحية وعبادات الأمم الأخرى، وكان هؤلاء، حتى الوثنيون منهم، يعرفون إلها أعظم من سائر الآلهة يتوجهون إليه بالدعاء، وهى حقيقة لا يعتورها الشك، لأنهم كانوا يسمون «عبد الله» ويلبون قائلين: «**لبيك اللهم لبيك**»، ولا يدعون أحدا من الأصنام «رب الأرباب»، فإذا قالوها؟ أرادوا بها ربا فوق كل الأرباب، وهذه الحقيقة هى التى كتبت لبيت مكة التفوق على البيوت كلها فى الجزيرة العربية، لأنها بيوت أصنام، أما بيت مكة فهو بيت الله الذى يرى فيه العرب الإله الخالق، المبدع، وإنما عبادة الأصنام تقربهم إلى الله زلفى[٦].

وقد عملت قريش على الاستفادة من مكانة البيت الحرام فى نفوس العرب، وابتدعت من النظم والتقاليد ما يحقق لها السيادة الأدبية والنفع المادى، وفى مقدمة ذلك ما نظمته من السقاية والرفادة لتشجيع الحجاج على الوفود إلي مكة فى موسم الحج، وأصبحت السقاية والرفادة وعمارة الكعبة وتهيئتها للزائرين من الأمور التى تفاخر بها قريش وتراها من أجلّ الأعمال، حتى لقد نوه القرآن الكريم بذلك فقال الله تعالى: **(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر)**(٧).

كذلك عملت قريش على توفير الأمن فى منطقة مكة، فقررت حرمة المنطقة المحيطة بالكعبة كأمر لازم لحرمة البيت نفسه وكونه ملاذا للناس جميعا وأمنا، ثم توسعت قريش فمدت حدود الحرم حتى جعلتها تشمل منطقة مكة كلها، فأصبحت حرما آمنا لايجوز فيه سفك الدماء ولا طلب الثار فى أى يوم من أيام العام، وجعلت هذا الأمن يشمل كل شىء حتى الوحش والطير والنبات(٨). كما سنت قريش الأشهر الحرم فى موسم الحج لتمكن العرب من القدوم إلى مكة للحج والمتاجرة، وقد أقرها العرب كلهم على ذلك، لأن الأمن وقتذاك كان ضروريا فى بيئة تغلى بالثأر وتعتبر «الغارة» أمرا مشروعا ووسيلة من وسائل العيش.

وقد جُعلت أشهر الحج ثلاثة، مع أن موسمه وأسواقه لاتستغرق أكثر من شهر وأيام، لأن المسافات الشاسعة التى تضطر الحاج إلى قطعها تحتاج إلى مدة كافية يذهب فيها ويعود فى ظل الأشهر الحرم.

وزيارة الكعبة نوعان: زيارة عمرة وزيارة حج، وقد كانت هاتان الزيارتان رسميتين قبل البعثة النبوية، وللحج موسمه المعروف، أما العمرة فهى زيارة الكعبة فى غير موسم الحج، وكانوا فى الجاهلية لايجمعون بينهما، ويرون العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور(٩)، حتى جاء الإسلام فجوز الجمع بين الحج والعمرة، ويبدو أن قريشا سنت منع الجمع بينهما حتى تكثر الزيارة للكعبة فى غير موسم الحج فتجنى من وراء ذلك فوائد مادية.

والمسلمون يؤدون الزيارتين المذكورتين للكعبة فى ثياب الإحرام، وهى ثياب غير مخيطة، وقد كان لهذا أصل قبل البعثة. فقد ذكرت كتب السيرة والتفسير فى صدد تفسير الآية القرآنية **(يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)**(١٠) إن بعض الحجاج قبل الإسلام كانوا يطوفون حول الكعبة عراة رجالا ونساء، والآية نزلت بسبيل التنديد بذلك وتقرير وجوب أخذ الناس زينتهم والظهور بمظهر الحشمة والوقار عند كل عبادة ومسجد، بارتداء الملابس التى هى مظهر الزينة والحشمة، وقد كان العرب يكرهون أن يطوفوا بالكعبة وعليهم ثيابهم الاعتيادية، مخافة أن يكونوا قد اقترفوا من الآثام وهى عليهم ، ويطوفون عراة، فإذا طافوا بها كانوا يلقونها ثم لا يأخذونها بعد ذلك أبدا، ويتركونها لا يقربها أحد حتى تبلى. وقد سن لهم الأحماس ـ وهم أهل الحرم ومواطنو مكة ـ خلعها والتستر بملابس أحمسية (محلية)، وهى مآزر كان الأحماس يعدونها خصيصا للحجاج مقابل مال معلوم، وكان الذين لا يجدون مآزر أحمسية أو لا يقدرون على شرائها ويضنّون بثيابهم أن يفقدوها، يخلعونها قبل الطواف ويطوفون عراة رجالا ونساءً.

وقد ظلت عادة الطواف بالعرى إلى مابعد فتح مكة، حتى أبطل النبى صلى الله عليه وسلم، حين حرم الحج على المشركين بإعلان بيان براءة للناس سنة ٩هـ بواسطة أبى بكر الصديق فى رواية أو على بن أبى طالب فى رواية أخرى.

وكان السعى بين الصفا والمروة من الطقوس التى يقوم بها الحاج أو المعتمر فى الجاهلية،

والصفا والمروة صخرتان قريبتان من الكعبة وتبعد إحداهما عن الأخرى نحو أربعمائة متر، وكان المشركون قد نصبوا عندها بعض أصنامهم، وكانوا يقومون عندهما ببعض الطقوس ويقربون بعض القرابين، ومن جملة هذه الطقوس الطواف بهما، ولذلك تحرج المسلمون من الطواف بهما كما كانوا يفعلون قبل إسلامهم، فنزل قوله تعالى: (**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم**)(١١).

ولا شك أن أعظم أيام الحج هو يوم عرفة، وهو اليوم التاسع من شهر ذى الحجة، وحين يفيض (يعود) الحجاج من عرفات يأتون إلى مكان يعرف اليوم بالمزدلفة، وكانوا يسمونه فى الجاهلية، «جمعا»، وهو المكان الذى سماه القرآن الكريم «المشعر الحرام» فيبيتون عنده إلى الفجر ثم يفيضون منه إلى منى. وكان الحمس يتركون الوقوف بعرفة والإفاضة منه، مع إقرارهم بأن ذلك من المشاعر والحج ودين إبراهيم، ويرون لسائر الناس أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها، إلا أن الحمس قالوا: «نحن أهل الحرم فليس ينبغى أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها(١٢)»، إذ لايصح - فى اعتقادهم - أن يعظم «الأحمس» (مفرد الحمس) شيئا من الحلّ (أى الأرض التى وراء الحرم ومنها عرفات)، وقالوا لأنفسهم: إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم». وقد عاب القرآن الكريم. عليهم ذلك، فقال الله تعالى: (**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**)(١٣).

وكان للعرب فى الجاهلية تقليد آخر فى منى، وهو عقد مجالس المفاخرة بعد أن يكونوا قد انتهوا من مناسك الحج، وقد ذكر المفسرون هذا التقليد فى سياق تفسير الآية الكريمة قال الله تعالى: (**فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وما له فى الآخرة من خلاق**)(١٤)، وقالوا: إن الحجاج كانوا بعد قضاء مناسكهم يعقدون المجالس فى منى ليتناشدوا الأشعار ويعددوا مفاخر الآباء والقبائل، فأمرت الآية بذكر الله والتحدث بنعمه بدلاً من المفاخرات الجاهلية التى تزيد من قوة العصبية الضيقة، التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يهدف إلى إضعافها والخروج من مجالها الضيق إلى مجال الوحدة العربية الشاملة، بل إلى مجال أوسع من تلك الوحدة الإنسانية(١٥).

وقد ظل المشركون من العرب يؤمون المسجد الحرام، ويقومون بشعائر الحج إلى مابعد فتح مكة استمراراً لممارستهم السابقة، إلى أن حرم الإسلام الحج على المشركين سنة ٩هـ وحوله إلى حج إسلامى خالص بعد قوله تعالى: (**يا أيها الذين آمنو إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**)(١٦).

وهكذا نرى أن الإسلام قد احتفظ بطقوس الحج وتقاليده كما هى، ولكنه حولها إلى طقوس وتقاليد إسلامية، وعفّى على ذكر الوثنية فيها بذكر الله تعالى:

الهوامش :

١ - أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ١٨٣ وما بعدها.
٢ - آل عمران، ٩٦.
٣ - البقرة ١٢٧.
٤ - إبراهيم ٣٧.
٥ - ابن هشام: السيرة، جـ ١ ص ٤٣ وما بعدها.
٦ - أحمد إبراهيم الشريف: نفسه
٧ - التوبة ١٩.
٨ - البخارى ١٤/٣.
٩ - البخارى ١٤٣/٢.
١٠ - الأعراف ٢١.
١١ - البقرة ١٥٨.
١٢ - ابن هشام، جـ ١ ص ٢١٦.
١٣ - البقرة ١٩٩.
١٤ - البقرة ٢٠٠.
١٥ - تفسير الطبرى، جـ ٤ ص ١٩٦ - ١٩٨.
١٦ - التوبة ٢٨.

الحج أشواق وصحة

كما قال شيخنا الجليل الإمام محمد متولى الشعراوى رحمه الله ،فإنه ليس هناك عبادة مفروضة يؤديها الإنسان وهو شغوف بها سوى فريضة الحج. فالصلاة تؤدى مع مجاهدة الشيطان بالتكاسل عنها، والزكاة تعطى مع مجاهدة شح النفس بها، والصوم يؤدى مع مجاهدة النفس ووسوسة الشيطان للتمتع بمباهج الدنيا وملذات الحياه. إلا الحج فجميع النفوس تتشوق إلى أدائه سواء كان فرضا أم كان نفلا، ويتسابق الجميع فى ذلك صغارهم وكبارهم ، شيوخهم وعجائزهم، صحيحهم ومريضهم، ويبذلون فى سبيل ذلك كل غال ونفيس. فما هو السر فى ذلك ياترى؟! إنها الاستجابة لأمر الله للناس وهم فى عالم الذر بدعوة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام حينما قال له ربه: «وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق» الحج: آية ٢٧.

د. حسين عباس الأنصارى

وقد تعجب سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو صاحب القدرات المحدودة كيف سيسمع الناس هذا النداء لكن الله أوحى إليه أن عليك النداء وعلينا البلاغ، إنها قدرة اللامحدود للمحدود، والخالق للمخلوق. ومن يومها سرت روح الله لأرواح عباده المؤمنين وتعطشت قلوبهم لتلبية أمره وهى تتجه نحو بيته العتيق مرددة: لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

إنه نداء ينعش القلوب ويرتفع إلى عنان السماء بين الملائكة الأطهار، مقرا بالوحدانية لرب الكون، شاكرا له على نعمه التى لاتحصى، شاهدا أن الملك لله وحده، فهو رب الأرباب ومهوى الأفئدة.

وقد رأيت بعينىَّ رأسى بعض العجائز والشيوخ يطوفون حول البيت العتيق وهم معتمدون على العصا وظهورهم فى انحناء شديد، لكنهم يكملون شوطا بعد شوط فى همة وإصرار عجيب وكأنهم فى عنفوان الشباب، كما أنه من المألوف أن نرى المقعدين والمرضى وهم يطوفون حول البيت محمولين على الأعناق أو على الأسرّة رغم أنهم غير مطالبين بأداء الفريضة، فهم غير مستطيعين شرعا، لكن الأشواق إلى رؤية بيت الله وتحصيل نفحة إلهية يتزودون بها استعدادا للقائه، جعلتهم يستعذبون كل هذه الصعاب، بل يستمتعون وهم يتغلبون عليها.

هذه النفحة الربانية وتلك الطاقة الروحية تمنح الجسم صحة والنفس طمأنينة، فيرجع الحاج بوجه غير الذى ذهب به وبحال غير التى كان عليها. ثم إن الحاج ملتزم بأمر ربه له حيث يقول الله سبحانه وتعالى: **«الحج أشهر معلومات فمن**

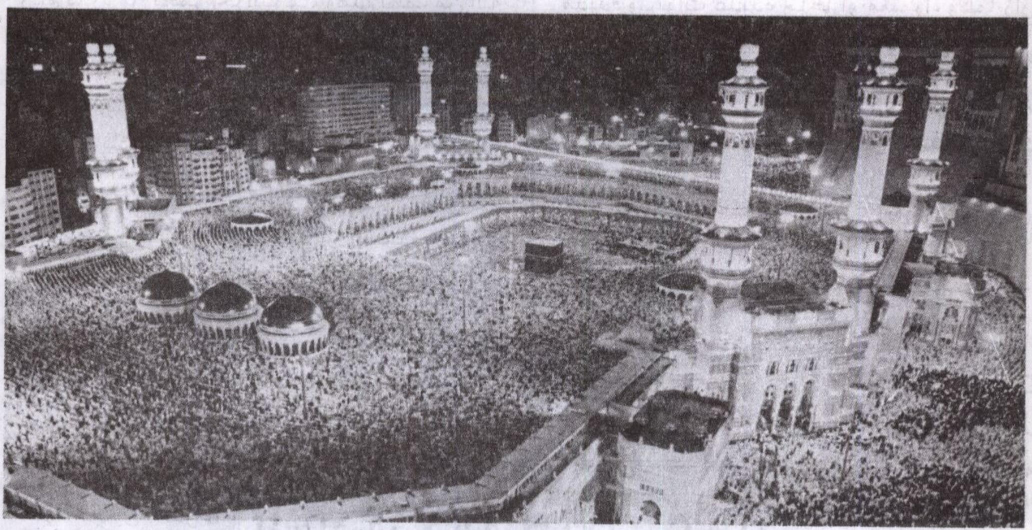

فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج..» البقرة: آية ١٩٧. إنها لحظات للتدريب على حسن الخلق والصدق مع النفس وإخلاص النية لله، فلا شاغل للإنسان هناك سوى ربه الذى لبى نداءه وجاءه من كل فج عميق مع إخوة له فى العقيدة، لا فرق بين رئيس ومرؤوس، ولا غنى وفقير، ولا شريف ووضيع، ولا أبيض وأسود، فالكل سواسية فى هذه البقعة المباركة بين يدى الله، فهم الناس وهو ربهم وهم الخلق وهو خالقهم والقائل لهم : **«ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»** الحجرات: آية ١٣. فالمقياس الوحيد عند الله هو التقوى والتقوى لا تكون إلا بالعمل الصالح **«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»**. أما اختلافهم من كل الوجوه فهو من آيات الله **«ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ...»** الروم: آية ٢٢.

وبذلك يعرف المسلم قدر نفسه ويلتزم حدوده ويعلم أنه بدون رضا الله لايساوى شيئا ورضا الله لا يكون إلا بالتزام أوامره وحسن معاملته لأخيه الإنسان أيا كان هذا الإنسان لأنه أولا وقبل كل شىء صنع الله. وهذا درس من دروس الحج العظيمة.

من الناحية الصحية فإن أعمال الحج كلها تعود على الحاج بالصحة الجسدية والمتعة النفسية، فالسياحة فى الأرض صحة والحج رحلة سياحية من الدرجة الأولى، فهى تمثل التنقل والمشاهدة وزيادة المعلومات وتعميق المعرفة، فليس راء كمن سمع. والبقاع التى تؤدى فيها مناسك الحج تمثل طبيعة نقية بهوائها الصافى رغم مايتكدس فيها من ملايين البشر وقلما تنتشر فيها الأمراض الوبائية

رغم كثرة من يحمل جراثيمها، وهذا لطف من الله ونعمة إكراما لأطهر بقعة شرفها الله ببيته العتيق.

وأرض منى تلك البقعة الطيبة التى يقيم بها الحجيج ثلاث أو أربع ليال قلما يتواجد بها الذباب رغم ماينتشر بها من مخلفات الذبائح والبشر وهذا سر إلهى عجيب، كما أن التمتع بمناظر الجبال والهضاب المحيطة بالمسجد الحرام وخارجه تبعث الخشوع والبهجة فى قلوب الحجيج ونفوسهم بما تحمل من ذكريات وماتحكى من عبر لمجاهدة صاحب الدعوة ﷺ فى غار حراء بجبل حراء، وغار ثور بجبل ثور، والطريق بين مكة والطائف ورحلته التى لاقى فيها مالاقى والتى أكرمه الله بعدها بأعظم جائزة فى رحلة الإسراء والمعراج. كذلك أماكن الذكريات العظيمة بالمدينة المنورة حيث موقعة بدر وجبل أحد الذى قال رسول الله ﷺ فيه: **«أحد جبل يحبنا ونحبه»** . أو كما قال ﷺ.

كذلك مسجد القبلتين حيث استجاب الله لأشواق رسوله ﷺ فى الصلاة نحو البيت العتيق مهوى الأفئدة ومستراح النفوس **«قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ..»** البقرة آية ١٤٤. فيزداد الحاج شوقا إلى بيت الله الحرام الذى تعلق به قلب رسوله ﷺ فيسأل الله أن يوفقه لزيارته أياما مديدة وسنوات عديدة حاجا أو معتمرا، وكلما زاره اشتاق إليه أكثر وأكثر. وحينما يرى الحاج ملايين المسلمين حوله وقد جاءوا من جميع فجاج الأرض يمثلون كل ألوان البشر وينطقون بجميع اللغات واللهجات، لكنهم يرددون جميعا نداءً واحداً هو : لبيك اللهم لبيك ويتجهون فى صلاتهم نحو بقعة واحدة، فإن ذلك يشعره بعظمة الإسلام نحو هذا التوحد الفريد ويوحى إليه بأن كل واحد من هذا الجمع الغفير إنما هو أخ له فى العقيدة يفرح لفرحه ويحزن لحزنه مصداقا لقوله ﷺ **«مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»** ثم يجعله يفكر: مابال المسلمين اليوم متفرقين فى مشاربهم متناحرين فيما بينهم، يترك بعضهم البعض يؤكل من عدوه دون أن يدرى أنه المأكول غدا لا محالة، لا شك أنه يوقن أن المسلمين قد ابتعدوا عن إسلامهم الذى يستمدون منه المهابة والقوة، فالمسلمون كانوا قلة لكنهم أقوياء، فقراء لكنهم أعزاء، حديثى عهد بالحضارة والعلم، لكنهم أصبحوا مصدرا للحضارة القيمة والعلوم الإنسانية فى زمن قياسى، وماذلك إلا لتمسكهم بدينهم واستيعابهم لرسالة نبيهم.

المسلمون كانوا حديثى عهد بالحضارة وأصبحوا مصدرا للحضارة لتمسكهم بدينهم

فهل سيعيد التاريخ نفسه؟!

نحن لانشك فى ذلك تحقيقا لوعد الله بأنه سينصر دينه وبأنه سينصر من ينصره.

قرأت لك أول دليل صحى للحجاج

الحج المبرور لا تزول آثاره بزوال المؤثر

هذا المؤلف الذى نقلب صفحاته الحية النابضة هو أول دليل صحى للحجاج نبحر بين دفتيه عبر رحلة شيقة وسياحة ممتعة بقلوب عامرة بالإيمان، مفعمة بالروحانيات، تسبقنا أشواق العاشقين ولهفة المحبين فى لقاء الحب الإلهى على أشرف بقعة على وجه البسيطة وأطهرها ثرى، وأفوحها عطرا وأعلاها قدرا وأسماها شرفا، تلك البقعة التى وضع إبراهيم أبو الأنبياء قواعد البيت الحرام على أرضها وشهدت مولد إسماعيل الذبيح، ذلك الفتى الفدائى الذى ضرب أعظم المثل فى التضحية والإيثار، فامتثل للأمر الربانى بطاعة خالصة لله تعالى حتى افتدى بذبح عظيم.

للدكتورة سوسن الغزالى

عرض وتلخيص / مصطفى إبراهيم خيَّان

وهذه البقعة التى شهدت مولد خير الأنام وسيد المرسلين وخاتم النبيين، وأعظم خلق الله على الإطلاق محمد بن عبدالله - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين - والذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة وحمل لواء الدعوة لدين الله فى صبر وأناة وبجلد وصبر فى ظل مشاق تنوء بحملها الجبال، وتتوارى إلى جوارها أعظم التحديات وأشد الصعاب، فأضاء بنوره جنبات الكون وأخرج الناس من ظلمات الجهالة إلى نور الحرية والحق.

الكتاب للدكتورة سوسن الغزالى أستاذ الطب السلوكى بجامعة عين شمس وهو مقسم إلى عشرة فصول تقع فى مائة وأربع صفحات:

الفصل الأول: بيولوجية التفكير والحج

بدأته الكاتبة بالآية الكريم: **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾** آل عمران: آية ٩٧. فالحج - كما تقول الكاتبة - هو القصد وهو شقان: مادى ومعنوى، فالمادى هو المقدرة الاقتصادية والبدنية، والمعنوى هو النية الخالصة المخلصة لوجه الله تعالى التى تجعل الإنسان متواجدا فى الزمان والمكان مع الله سبحانه وتعالى فى أشرف بقعة فى الكون.

فبيولوجية التفكير فى الحج تقوم على التوازن

ماء زمزم يمنع تسمم الحمل ويقى من الضغط المرتفع

بين القدرة المادية والقدرة الصحية والقدرة الروحية، لذلك كانت دعوة إبراهيم عليه السلام: **﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾** إبراهيم: آية ٣٧.

واستجابة لدعوة أبى الأنبياء تكون الرغبة فى الحج مرات عديدة وليس مجرد إسقاط فريضة.

وتتساءل الكاتبة أيهما أهم: العمل أم أثره؟

وتجيب بأن الحج عبادة وفريضة تترتب عليها آثار عملية فى سلوك الفرد، وهذه الآثار إن لم تكن إيجابية ومثمرة ومفيدة للفرد ومغيرة فى واقع حياته إلى الأفضل فلا يكون الحج قد أثمر العمل المراد منه ويكون الفرد فى موقف «زوال التأثير بزوال المؤثر»، فالحج إذن عمل يغير إلى الأفضل وفيه منافع للناس، وفيه التكافل والتراحم والترابط بين أجناس الأرض وفيه التعاون على البر والتقوى، والصحبة الصالحة الآمنة، وهكذا يجب أن يكون فكر الحاج بعد عودته إلى أهله.

السعى والنتيجة

ومن الشعائر العظيمة التى يجب أن يتدبرها كل حاج ويعى حكمتها البالغة السعى بين الصفا والمروة؛ فهى ليست مجرد طقوس تؤدى وحسب ولكنها موعظة عظيمة تبين قيمة السعى للوصول إلى النتيجة وهذا ما فعلته السيدة هاجر أم إسماعيل التى رأت وليدها وفلذة كبدها يعانى الظمأ فى أرض قاحلة لا زرع فيها ولا ماء فظلت تسعى وتهرول بين جبلى الصفا والمروة لعلها تجد أحدا ينقذ وليدها حتى تفجر الماء بعد سبعة أشواط ذهابا وإيابا، فالأمر يتطلب الصبر والمثابرة، صبر الواثقين المثابرين المتوكلين على الله.

وعن فكرة التضحية تصور الكاتبة موقف أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام حين رأى فى المنام أن يذبح ابنه فيذعن لأمر ربه بنفس راضية بقضاء الله ويستعد لذبح ابنه الذى يتقبل الأمر الإلهى بشجاعة وخضوع لربه.. مشهد مهيب وموقف جلل ولحظات عصيبة تمر حتى يأتى العفو من الله **﴿إنا كذلك نجزى المحسنين﴾ ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾** الصافات: الآيات ١٠٥ ـ ١٠٧.

إحياء الذكرى

وتشير الكاتبة إلى أن كثيرا من الحجاج لا يدركون المعنى الحقيقى للحج وكيفية ربطه بفكرة التطهر الحقيقى من أهواء النفس وشهواتها، فالحج عبادة «إحياء الذكرى» أو «استعادة الماضى فى زمن الحاضر».

أما حكمة التهليل والتكبير والتلبية لله رب العالمين فى عرفات؛ فهى تحرير الإنسان من كل خوف ومن كل ريبة وبعث السلام النفسى فيه وهو قمة الإيمان؛ فحين تسلم النفس تستقبل العدل، والعدل يعنى أن كل الناس سواء أمام الله الخالق. فالكل يبتهل إلى الله والكل يذرف الدمع دموع الندم على ما فات ودموع الشكر على ماهو آت بإذن الله.

حجة الوداع

وتعرج بنا الكاتبة ـ بين صفحات دليلها الشيق ـ على ذلك الموقف المهيب فى وقفة عرفات من

السنة العاشرة للهجرة فى حجة الوداع حين وقف سيد المرسلين محمد بن عبدالله ﷺ يخطب فى الناس ليوصيهم ويودعهم فى كلمات بليغة مؤثرة تهتز لها المشاعر وتبكى الأفئدة: «أيها الناس: اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا».

أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم.. كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون إلى آخر ما قاله الرسول ﷺ.

الفصل الثانى: ماذا نأكل ونشرب أثناء الحج؟

نظرا لأن الحج مجهود ومشقة فلابد أن يتعرف الحاج على الطاقة اللازمة له ولسنه.

ومدة الحج ليست بالقصيرة فهى قد تصل إلى ثلاثة أو أربعة أسابيع ويجب على الحاج أن يهتم بالأغذية التى تمده بالفيتامينات والأملاح خاصة فيتامين (ج)، (أ)، والكالسيوم والحديد والبروتينات البانية لعضلات الجسم. وفيتامين (ج) يوجد فى الموالح عموما، أما (أ) فيوجد فى الجزر والقرنبيط والسبانخ والطماطم والموز والمشمش بالإضافة إلى اللبن ومشتقاته.

أما البروتينات فمنها النباتى كالبقول والفاصوليا البيضاء والبسلة والعدس. ومنها الحيوانى مثل اللحوم والأسماك والطيور والألبان ومشتقاتها والبيض. وبالنسبة للحجاج فإن المصادر النباتية هى الأسلم والأضمن لصحتهم، فبالنسبة للأضاحى فعلى الحاج أن يحسن اختيار الذبيحة من الناحية الصحية لأنه يأكل منها هو وغيره من الحجيج. ويفضل أكلها مسلوقة.

ويعد عسل النحل من الأغذية الهامة التى يجب أن يصطحبها الحاج ففيه شفاء للناس كما جاء بالقرآن الكريم، وهو الغذاء الوحيد الذى لايصيبه العفن مهما طال الزمن. وبالنسبة للخبز فإنه يفضل تناول الخبز الأسمر الذى يحتوى على قشور القمح الغنية بالفيتامينات والأملاح المعدنية والألياف.

ماذا يشرب الحاج؟

يقول الله تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شىء حى**﴾ الأنبياء: الآية ٣٠.

وتكمن أهمية الماء فى كونه يلعب دورا حيويا فى حفظ توازن الجسم وتركيبه الكيميائى ويخرج الجسم ما يعادل من لترين إلى ثلاثة لترات من الماء يوميا يجب تعويضها عن طريق الشراب، وتجدر الإشارة إلى أن كثرة العرق يصاحبها نقص فى الأملاح يجب تعويضها بتناول المياه، ويمكن أن يعوض الحاج فقد المياه بسوائل أخرى غير الماء لأغراض متعددة فمنها ما يؤخذ كفاتح للشهية ومنها ماهو مدر للبول، أو يؤخذ كعصير طازج أو مجهز، ويجب التأكد من تاريخ صلاحيتها، وهناك كذلك المنبهات كالقهوة والشاى ويفضل عدم شربه بعد الأكل مباشرة حتى لا يقلل من امتصاص الجسم للحديد.

«ماء زمزم»

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على فائدتها فقد قال الرسول ﷺ: «زمزم مباركة، إنها طعام طعم وشفاء سقم» وقد أشار بحث علمى إلى أن ماء زمزم يحتوى على نسبة أملاح من الكالسيوم والماغنسيوم يساهم فى منع تسمم الحمل والوقاية من ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب.. وسبحان الله.

نصائح غذائية

بالنسبة للحوامل والمرضعات تنصح الكاتبة

بالاهتمام بالعناصر الغذائية الأساسية من بروتينات ونشويات ودهنيات بالإضافة إلى الفيتامينات والأملاح المعدنية.

أما بالنسبة للمسنين فتنصح بتجنب الملح والدهون خاصة الحيوانية منها مع الاهتمام بأكل الخضراوات وعدم الإكثار من اللبن الحليب لصعوبة هضمة وتعويضه بالرايب أو الزبادى مع الأكل ببطء والمضغ جيدا.

وتؤكد الكاتبة على ضرورة الحفاظ على وجبة الإفطار لأنها تزيد الطاقة وتساعد على العمل بكفاءة، وتعدل من الحالة المزاجية وتساعد على مقاومة الأمراض.

أطعمة ضارة

من الأطعمة التى يجب عدم الإكثار منها: البروتينات الحيوانية، والدهون المشبعة (الحيوانية) والأطعمة المدخنة واللحوم المعلبة.

التدخين

من العادات السيئة التى يجب الإقلاع عنها، عادة التدخين فإذا كان الإنسان يستحى أن يدخل بسيجارة على مسئول كبير، أفلا يستحى من الله وهو فى حضرة الله وفى أطهر بقعة على وجه الأرض أن يأتى بهذا الخبث؟ لقد كان الحج سببا فى إقلاع الكثيرين عن التدخين فلماذا لا تنضم إليهم أيها المدخن؟

النظام الغذائى الصحى للحاج المريض

وفى الفصل الثالث تناولت النظام الغذائى الصحى للحاج المريض فقالت: بالنسبة للمريض بزيادة الدهون فى الدم يراعى أن يقتصر طعامه على الأطعمة الخالية من الدهون كالسمك الخالى من الدسم، والفراخ التى بدون الجلد، واللبن ومشتقاته الخالية من الدسم إلى جانب الخضراوات والفاكهة والخبز الأسمر.

أما الحاج المريض بالتهاب جدار المعدة والقرحة فيفضل تناوله للماء الفاتر، ومغلى زهور البابونج وحساء الخضر وكذلك الجبن الأبيض قليل الأملاح والخبز المحمص، وعلى الحاج المصاب أن يدفئ منطقة المعدة بلَفِّها بقطعة قماش قطنية.

ضربات الشمس قاتلة.. فلنحذر من التزاحم فى الأماكن المكشوفة

ويراعى للمصابين بالقرحة ألا تكون المشروبات ساخنة جدا أو باردة جدا. وأن توزع المأكولات على خمس وجبات ويراعى عدم ملء المعدة وأفضل المأكولات حساء الخضر، ويراعى عدم الإكثار من المأكولات المسبكة والمأكولات ذات القشرة.

بالنسبة للمصاب بالذبحة الصدرية والتى من أعراضها شعور المريض بألم حاد فى الجهة اليسرى من أعلى ويمتد الألم إلى الظهر وإلى اليد اليسرى وهبوط ضغط الدم.

وهنا يجب وضع المريض على السرير ممددا مع تجنب تحريكه حتى يذهب إلى المستشفى وعليه الإقلال من الدهون مع تناول الخضر والفاكهة.

أما المصاب بضغط الدم فعليه تقليل الدهون والامتناع عن التدخين، ويصرح له بالأكل غير

زيارتك للبقاع الطاهرة فرصة سانحة للإقلاع عن التدخين

الدسم وأن تكون شوربة الخضار قليلة الملح.

بالنسبة لمريض الكلى فيفضل تناوله الجبن الأبيض غير المالح، ونشويات مسلوقة، أو الخضر كالجزر والكوسة، والخس والفواكه الطازجة مع تناول الماء والسوائل، تخفيف الوزن.

أما مريض السكر فعليه تقليل وخفض المواد السكرية والنشوية مع عدم إنقاص نسب البروتين والفيتامينات.

الفصل الرابع: النظافة الشخصية

ويقصد بها مساعدة الجسم على القيام بوظائفه الطبيعية على أكمل وجه، وتؤكد الكاتبة على ضرورة الحصول على قسط وافر من الراحة فى أثناء ممارسة الشعائر، لا يجب أن يغفل الحاج عن النوم لأنه من الوظائف الحيوية للجسم وهو ضرورى لراحة البدن والذهن، وعدم النوم الكافى يؤدى إلى التوتر وتغير الطباع والإجهاد العصبى وقلة التركيز الذهنى فتكثر الأخطاء وتقع الحوادث، وتختلف عدد ساعات النوم اللازمة باختلاف الأعمار والحالة الصحية ودرجة النشاط.

ويجب أن يكون الفراش مناسبا للنائم من حيث الأغطية والأطوال والتكوين.

سوء التهوية

هناك بعض الممارسات التى تؤدى إلى إفساد الهواء كحرق المواد المستعملة فى التسخين، وتخمر المواد العضوية والتدخين.

ومن أعراض ذلك الشعور بالخمول والكسل والضيق ويؤدى إلى فقد الشهية ونقص التمثيل الغذائى فى الجسم.

الفصل الخامس: ماذا تعرف عن طب السفر؟

ظهر هذا النوع من الطب عام ١٩٨١م، وقد لوحظ أن المسافرين عموما والحجاج على وجه الخصوص معرضون للإصابة بأمراض كثيرة لأسباب عديدة منها: عدم تعودهم على الحركة الكثيرة والسريعة، والمشقة الجسمانية والنفسية التى تؤدى إلى الإجهاد للحاج أثناء قيامه بتأدية الشعائر، وكذلك تغير المناخ بين بلده الأصلى والأراضى الحجازية، بالإضافة إلى تواجد الحجيج من بقاع مختلفة من العالم وبالطبع وجود تباين فى عاداتهم السلوكية والصحية ومنها بعض السلوكيات التى تؤدى إلى العدوى ونقل الأمراض. لذلك يجب على الحاج الإلمام بطبيعة الأمراض المختلفة التى يمكن أن تنتقل أثناء الحج بالإضافة إلى ذلك. فمن الضرورى أن يحمل معه بعض العقاقير التى تستخدم فى الإسعافات الأولية، ومن أهم هذه الأمراض:

- دوار البحر وينصح بتناول حبة الدرامامين صباحا ومساء.
- الأمراض المعدية : وأهمها الكوليرا ويجب أن يتوخى الحاج الحرص فى مصادر الأكل والشرب مع ضرورة أن يحصل الحاج على كبسولات تراسيكلين بالفم.

الفيروس الكبدى الوبائى بالنسبة للفيروس (أ) يجب توخى الحرص عند تناول الطعام، أما بالنسبة للفيروس (ب)، (س) فيجب استعمال محاقن تستخدم لمرة واحدة.

وللوقاية من الإنفلونزا يجب الحرص على التهوية الجيدة.

ضربات الشمس

وهى من أخطر ما يمكن أن يتعرض له الحاج، وعند الإصابة بها يجب الإسراع بخفض درجة حرارة المصاب بحمامات الثلج، ونظرا لخطورة الإصابة بضربات الشمس فينصح بعدم التزاحم بالأماكن المكشوفة أثناء الظهيرة القادحة مع استخدام الشماسى خاصة البيضاء.

الفصل السادس: أصعب مراحل الحج على الصحة العامة:

تعد أيام التشريق الثلاثة «بمنى» هى أكثر الأوقات صعوبة على الصحة العامة حيث يجتمع معظم الحجيج فى مساحة محدودة بوادى «منى» بالإضافة إلى ما قد يمارس من سلوكيات سلبية تؤدى إلى بعض المشاكل الصحية ومنها سلوكيات تناول الغذاء والطهى، وسلوكيات التخلص من القمامة وقضاء الحاجة وسلوكيات التزاحم أثناء رمى الجمرات.

على كل حاج أن يتعرف على الطاقة التى تتناسب مع عمره

الفصل السابع: لغة الحوار والأخلاقيات فى الحج

تدعو المؤلفة فى هذا الفصل إلى أنه يجب علينا أن نتعلم أسلوب الحوار، والحج هو أفضل الأوقات لتعلم ذلك.

وكما تقول فهذا هو حوار المؤمنين وهذه هى بداية أخلاقيات الحج.. الكلام الطيب.. الحوار الهادف المثمر الذى يليق بالحاج. ولغة الحوار الهادئ لابد أن تسود ولابد أن تكون واضحة وأسلوبا ينتهجه الحاج حتى قبل أن يخرج من وطنه.

فالحوار الهادئ ـ كما تقول ـ بداية الراحة النفسية داخل الفرد ولمن حوله، فالكلمات الطيبة هى مفتاح للسكينة، والأمور الحياتية نعقدها بحصائد ألسنتنا، وديننا يوجهنا بأن الكلمة الطيبة صدقة، والتبسم فى وجه أخيك صدقة، وعلمتنا الأيام بأن الماء يطفئ النار.

وأسلوب الحوار الجميل هو هذا الماء الطيب الذى يثلج صدورنا.

إن هذه الفريضة العظيمة تخرجنا من حياتنا الدنيوية.. نشد الرحال لنعيش قصص الأنبياء والصالحين ونتعايش معها.

وعلينا أن نترفق بالضعفاء وكبار السن، والسيدات، وقد أمرنا الرسول ﷺ فى خطبة الوداع بأن نستوصى بالنساء خيرا، فهى الأم وهى الأخت وهى الابنة. ولنعلم أن «عفة اللسان» عبادة والمرء الذى يسبق فكره أو عقله لسانه هو ذلك الإنسان الحكيم، وهو الذى يزيح عن نفسه الكثير من هموم الحياة ويكفى نفسه شر القيل والقال.

الفصل الثامن: الحج على الإنترنت

فى هذا الفصل تنقلنا الكاتبة إلى استخدام تقنية الإنترنت الحديثة للتعرف على النواحى الصحية وعلاقتها بموسم الحج، وذلك لتحديد نسبة الأمراض المعدية وتحديد أنواع البكتريا والفيروسات المسببة لها، وذلك حتى يمكن تلافيها أو الحد منها.

وقد أوضحت الأبحاث أن الحج يعد نوعا من التعرض للمجهود الذهنى والبدنى ويتطلب بنية جسمانية سليمة خاصة لمن يعانون من مرض

السكر أو الأمراض المزمنة.

وفى بحث عن العدوى بمرض السل أثناء الحج نشر بمجلة العدوى الدولية عام ١٩٩٨، أورد البحث بأن التشخيص والعلاج للالتهابات الرئوية يشكل تحديا كبيرا فى ظروف الحج.

الفصل التاسع: حج مبرور.. وكيف نحافظ عليه؟

استهلت الكاتبة الفصل التاسع بحديث للرسول ﷺ عندما سئل عن أى الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ: إيمان بالله، ثم جهاد فى سبيل الله، ثم حج مبرور.

والحج المبرور - كما تضيف الكاتبة - هو حج خالص مخلص لوجه الله لا يخالطه إثم، وجزاء الحج المبرور كما يقول الرسول ﷺ هو الجنة.

احرص على تعويض الأملاح المفقودة مع السوائل التى تتناولها

أما صفات الحج المبرور فهى أن يقصد المرء من حجه وجه الله، وأن تكون نيته خالصة فى التوبة من الذنوب، وأن يصون الحاج لسانه، ويخلص قلبه من الغرور والتعالى، وأن يكون إنفاقه من حلال.

أما كيفية الحفاظ على الحج المبرور - كما تبينه الكاتبة - فيتمثل فى المكابدة التى يتكبدها الحاج فى استمرارية العمل الصالح بعد الحج، وأن يتعايش مع معانى الحج ويتذكر الذكريات الجميلة كلما حل عليه موسم الحج كل عام، ولابد أن تكون مظاهره ومعانيه حاضرة فى الأذهان فلا غيبة ولا نميمة ولا رفث ولا فسوق ولا أحقاد ولا حسد. وإنما رضا وشكر وإحسان وتراحم.

الفصل العاشر: دعاء عرفة

وتختتم الكاتبة فصول الدليل بختام رائع وهو دعاء عرفة، وهو ما يقوله الحاج عند وقوفه بجبل عرفة بعد ظهر يوم عرفة أو متى وصل إلى عرفات، ومن هذا الدعاء: «لا إله إلا الله، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير».

ومنه أيضا: «اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا وعملا صالحا مقبولا، اللهم لا قوة لى على سخطك ولا صبر لى على عذابك ولا غنى لى عن رحمتك ولا قوة لى على البلاء ولا طاقة لى على الجهد، أعوذ برضاك من سخطك، ومن فجاءة نقمتك، يا أملى ويارجائى ياخير مستغاث، ويأجود المعطين يامن سبقت رحمته غضبه».

ويمضى الحاج فى دعائه وتضرعه الذى يحمل الخشية والرجاء والرهبة والأمل، ويبعث فى نفسه السكينة والطمأنينة حتى يختمه قائلا: ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحج والتاريخ

شعر/ أ.د: عبدالغفار حامد هلال

طهر ذُنُوبك فى هذا المقام وقُلْ ... إنّ الحجيجَ لهذا الطُّهرِ قد نَفرُوا
يَعْلُو وُجوههمُ نورٌ على شَرَفٍ ... يُزيلُ رجسَ الخطايا وَهْو مُنْهَمِرُ
كأنَّهمُ حين تنْسابُ الجموعُ بِهِمْ ... زَواحفُ الموجِ مَدًّا ثُمَّ تنحَسِرُ

***

هبَّتْ نسائمُ من ذكراه تَدفعهُمْ ... يُهَرْوِلُون لَهَا والوَجْدُ يَسْتَعِرُ
كانَتْ هُنا هاجرٌ تجرى يُؤرقُها ... شوقُ الحبيب وقد الْفَتْهُ يَنْتَهرُ
بحثا عن الماء هَلْ تلقاهُ واهمةً ... حرَّى الفؤاد وفى أنفاسَها بَهَرُ
تلوى أعِنَّتهَا للبيْت هَائمةً ... وَوَجْهُهَا بلظى البَيْداء يَنْصَهِرُ
هلْ منْ صريخ لإسماعيل يُنْقِذُه ... مِنَ الأُوام فهذا الطّفلُ يُحتضرُ
ضجتْ له الأرضُ والآفاقُ هَالعةً ... وكادَت السموات بالأنات تنْفَطِرُ
لكنْ عِنايةُ ربِّ العالمين قَضتْ ... فلْتَنْبجِسْ زَمْزمٌ ولْيرتَوِ البشَرُ
مِنْ تحتِ رِجْليه فاضتْ سَلْسَلاً وهَمَتْ ... كالسُّحْبِ هطّالةً ما شَابَها كَدَرُ
فهلَّلتْ لِلُّقا تمشِى على عَجل ... أُمُّ الصَّبىِّ وَفيضُ الماء يَنْحَدِرُ
وكَبَّرتْ حولَ بيْت الله كوكبةٌ ... مِنَ المَلائِكِ للرُّؤيا التى عَبَرُوا
ودَعْوةٌ لخليل الله قد صَدقَتْ ... فالنَّاسُ من كلِّ فجٍّ ثُمّ تَنْتَشِرُ

***

هَذا الغُلامُ الذّى مِنْ تَحْت أرجُله ... تَدفَّقَ الماءُ حتّى أخْضَلَ الحجرُ
قد قامَ يَرْفعُ للمعمور قاعدةً ... مع الخليل بأمْرِ اللّهِ يأتمرُ

بثَّ الأذانَ عبادَ اللهِ قاطبةً ... هيّا تعالَوْا هُنا للحجِّ واعتمرُوا
وشبَّ عَنْ طوقِهِ واشتدَّ ساعِدُه ... وأوْرق العودُ فيه الحبُّ والثَّمرُ
ثم اجتبَاه الَّذى أعطَى لوالدِهِ ... رسالةً نُورها الإسلامُ تَنْتَشرُ
وافى أباه برؤيا ولَّهتْ كبدا ... والقلبُ منها مَرُوع الفكْر مُختَبَرُ
كَيْفَ الخلاصُ وفيها فَقْدُ فِلْذته ... بذَبْحِه وَفقْ وَعْد اللَّهِ. ما النَّظَرُ؟
ويَلُمُّها حادثاً ما مثلُهُ فَزع ... أوْ خندقٌ لنبىِّ اللَّه يُحْتَفَرُ
آهَاتُهُ فى الوَرَى ذَاعَتْ ضَرَاوتُها ... كالأُسْدِ يَعْظم فى آكامِها الزَّأرُ
عَطْفُ الأُبُوَّةِ سِكِّينٌ تُمَزِّقُه ... يا قسوةَ القلْبِ هلاَّ جاءهُ الحَذَرُ؟
هذا الغلامُ حَلِيمٌ مُذْ سَرَى نَبأُ ... يُجيبُ وَالِدَهُ ما هَالَهُ خَطَرُ
مُطَمْئناً لأبيه إذْ يُناوِلُه ... سِكِّينَهُ غيرَ عاصٍ إنَّهُ قدرُ
عادَتْ له تَرْتجى كُلُّ الدنا بدلاً ... لَوْ يُفْتَدى أو تغورُ البيدُ والحَضَرُ
أو يَهْبطَ البدْرُ أو شمسُ السَّماءِ تُرَى ... فى خِدْرِها وَهْىَ غرقى الوَجْدِ تَسْتَتِرُ

***

جَاءَ الفداءُ بذَبْحٍ جَلَّ وَاهِبُهُ ... جَزاءَ مَنْ صَدَّقُوا الرؤيا ومَنْ صَبَرُوا
وصَارَ نُسْكاً بِهِ جاءَتْ شريعتُنا ... وكانَ عَوْناً لِمنْ بالتُّربِ يَعْتَقِرُ
فى مَوْكِبِ الحجِّ هَدْىٌ سيقَ مَقْرُبَةً ... يَحْيَا بِهِ بَائِسٌ أو قَانِعٌ حَفِرُ

***

كم رَدَّدتْهُ على طُولِ المَدَى أُمَمٌ ... تَنَاقَلَتْهُ حَديثاً ظَلَّ يُدَّكَرُ
منه اسْتَمِدَّتْ خُيُوطٌ راح ينسجُها ... تُعَلِّمُ النَّاسَ أنَّ اللَّهَ مُقْتَدِرُ
هى الحقيقةُ هَذا البيت مَعْلَمُها ... توْحِيدُ ربِّكَ لا زيفٌ ولا غَرَرُ
لِلَّه خالصةُ السُّلطانِ ليسَ لها ... مِنْ دُونه مَنْفَذٌ فى الكونِ أو وَزَرُ
هذى الفريضةُ فِيها وِحْدَةٌ لكُمْ ... فِيها مَنَاقِبُكُم تسمُو وتزْدَهِرُ

حفنى ناصف

الشاعر الكاتب البحاثة

أتفنى معى إن حان حينى تجاربى
وما نلتها إلا بطول عناء
وأبذل عمرى فى اكتساب معارفى
ويفنى الذى حصّلته بفنائى
إذا ورَّث المثرون أبناءهم غنى
وجاها، فما أشقى بنى الحكماء

د. محمد رجب البيومى

لا يقول هذه الأبيات إلا شاعر بذل جهده الجاهد فى اقتناص الحكمة، وارتشاف العلم، ورجلٌ محنك ذو تجاريب قاساها فى حياته الشاقة، فلبس لكل حالة لبوسها، وقابل الخير والشر بعزم وحزم، وهو بعد غنىُّ النفس، فقير اليد، ترك من خلفه أولادا يصفيهم الود، ويشاطرهم الحب دون أن يترك لهم مالا يقيهم نكبات الدهر، وصروف الأيام! لا يقول هذه الأبيات إلا أديب كبير مثل حفنى ناصف، ذلك الرجل الذى برع فى فنون شتى لا فى فن واحد، ومن بلاء الذين يبرعون فى فنون مختلفة، أن تضيع جهودهم فلا تذكر على حقيقتها، لأن الذين يحاربون فى عدة جبهات مختلفة ليسوا كالذى يحارب فى جبهة واحدة، فصاحب الجبهات المختلفة، يترك الجبهة إلى غيرها وقد نال منه التعب، وأضناه الجهد، فيبذل قدر طاقته مكافحا مناضلا، ثم يلقى الجبهة الثالثة، ومعه جهاد جبهتين سابقتين، فيتشجع ويقابل الصعاب بثغر باسم، وعزم لا يفتر، أما صاحب الجبهة الواحدة، فقد خبر دروبها، وعرف آكامها ووهادها، وصابر مكايدها وأهوالها حتى استطاع أن ينتصر بجهده انتصارا تلوح معالمه ويدوّى صداه، فلو اقتصر حفنى ناصف على الشعر يوليه همه، ويحصر فى أجوائه نشاطه لكان شاعرا له سمعة أحمد شوقى، ولو قصر حفنى ناصف جهده على النثر الفنى يكتب المقالات والرسائل، ويصور خلجات النفوس فى أدب يترقرق ترقرق الماء فى الغدير لكان كاتبا له سمعة، مصطفى لطفى المنفلوطى، ولو اقتصر على البحوث العلمية بفرعيها اللغوى والفقهى لكان عالما كبيرا كمحمد عبده أستاذه وصديقه، ولو اقتصر على المسائل القانونية التى عالجها قاضيا ومشرعا، لكان قانونيا ضليعا كعبدالرزاق السنهورى! لم يقتصر حفنى ناصف على فرع واحد أو فرعين، ولكنه جال وصال فى شتى ضروب المعرفة، وطار وحلق فى أفانين الفن، فترك آثارا مختلفة، ذات تشعب وافتراق، ولا أعنى بذلك أن آثاره الباقية لم تكن فى كثير منها تحلق فى الذروة، فله سبق مشهود فى كثير مما روى عنه شعرا ونثرا، ولكنه سبق المتعب المجهود، الذى تكاثرت أعباؤه، وتنوعت مناصبه، واختلفت شئون حياته رفعا وخفضا، ومدا وجزرا، وذو الموهبة مهما قل إنتاجه فى ناحية من نواحى الإبداع، فإن هذا القليل ينبئ عن معدن نفيس، يتمنى القارئ لو

كثر ونما، ولعل حفنى كان يود أن يفرغ لموهبته الأولى فى الشعر، ولكن هل يملك الإنسان من أمر نفسه فى الحياة شيئا، وهو مشهود المكانة، متعدد المواقف يدعوه كل منصب فيستجيب، ويناديه كل موقف فلا يتخلف، بل يكون رئيسا نابها بين زملائه المشاركين، هكذا كان حفنى المدرس بكلية الحقوق، والمدرس بمعهد الخرس والعميان، والمترجم بوزارة الحقانية، والقاضى القانونى فى محاكم الدولة جنوبا وشمالاً، والمفتش الأول للغة العربية فى وزارة المعارف، ورئيس المحافل العلمية فى ندوات البحث والمناظرة، والمصلح الاجتماعى فى جمعيات الخير والمعروف، ثم هو بعد هذا الكاتب الشاعر الباحث المربى المؤلف! وله فى كل من ذلك نتاج مرموق وموقف مشهود.

ولد حفنى ناصف فى إحدى قرى مديرية القليوبية فى ١٦ من سبتمبر ١٨٥٥م فى أسرة ذات مجد سالف، وفقر حاضر إذ توفى والده وهو جنين فى بطن أمه، فكفله خاله. كما كفل حافظ إبراهيم خاله أيضا، والخال إذا كان رب أسرة كبيرة فإنه مضطر لأن يجود ببعض ما يحوز على ابن أخته، وكانت ظروف حفنى أفضل من ظروف حافظ، لأن والد شاعر النيل لم يترك له شيئا، أما والد حفنى فقد ترك له بعض ما يقوم به الأود، فنشأ كما نشأ أبناء القرى متوجها إلى فقيه القرية يحفظ كتاب الله. وقد لاقى التلميذ من شيخه عناء لأن رجال التحفيظ بالأمس كانوا يرون العقاب البدنى طريق الحفظ والتسميع، وقد صبر التلميذ ما صبر حتى حفظ القرآن الكريم، وعلم من زملائه الذين كانوا معه، ثم رحلوا إلى القاهرة لتلقى العلم بالأزهر، وجاءوا فى شهور العطلة، علم أن هناك علما أكثر من علم الشيخ، ومعهدا للعلم يخرج منه الطالب أستاذا جليلا، فدفعته نفسه إلى السفر إلى القاهرة ليكون أحد هؤلاء الأزهريين لم يستشر أمه أو خاله، بل سافر على قدميه فى سن الرابعة عشرة حتى بلغ مراده، وطار النبأ إلى والدته فاستعطفت أخاها كى يمد له معها العون، وعكف الشيخ الصغير على علوم الأزهر مدى عشرة أعوام، وعلى الاتصال بالصحف الأدبية والعلمية قراءة واستيعابا، حتى عرف بالنبوغ فى محيطه، وقال الشعر المناسب لسنه، وسعد بنشره فى بعض الجرائد، وقد افتتحت مدرسة دار العلوم فى هذا الأمر، واختارت طلابها من نابغى الأزهريين، وفى طليعتهم حفنى ناصف، وكان نظامها التعليمى مضبوطا منسقا على غير ما عهده فى حلقات الأزهر بالمسجد الجامع، فسعد بما تهيأ له من مورد، وقال فى ذلك مراسلا أحد أصدقائه إذ ذاك:

حين سمعت بدار العلوم، ذات الفضل المقسوم، فوردت منهلها الرائق، واهتديت بنورها الشارق، فما سمعت أذنى بأطيب مما رأى بصرى، فنظمت نظرى فى سلكها، وأطربتنى حمائم الفنون تغرد على أيكها. وقد نقلت هذا النص ليعلم القارئ طريقة التعبير الكتابى الذائعة فى هذا العهد، وكيف احتذاها الناشئ المتطلع، وليعرف أنه أيضا قد ألم بدروس الأدب والشعر قدر طاقته فأحسن الاقتباس من قول القائل:

كانت مساءلة الركبان تخبرنا
عن جابر بن سعيد، أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت
أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

وقد تخرج من دار العلوم فعين مدرسا بمدرسة الخرس والعميان، وهو تعيين غير مناسب لمؤهله العلمى، ولكن صلة حفنى بالشيخ محمد عبده وبعض المشجعين للثور العرابية جعلت التعيين

عقابا لا وظيفة، وحفنى واسع الصدر، أخذ كل شىء مأخذ الجد. ففكر وتأمل وجرب، حتى وفق فى عمله، ولكن أحد رجال القانون المرموقين فى الدولة احتاج إلى سكرتير يتقن اللغة العربية ليكون ساعده فى ترجمة ما يريد من القوانين الأوربية، وقد اختبر بعض المتقدمين للسكرتارية فاختار من بينهم «حفنى ناصف»، وحفنى نشيط غير خامل، إذ عكف على فهم ما يشاور فى شأنه من القوانين حتى ألم إلماما كافيا بأكثرها، وصارت بذلك دربه، رشحته للتدريس بكلية الحقوق، وهى موطن القوانين ومجال دراستها، فأكب على دراسة مواد الكلية ليكون فى مستوى أساتذتها، وتضلع فيما عكف عليه، حتى أقيم امتحان لاختيار القضاة بالمحاكم الأهلية، فتقدم للامتحان وأدرك الفوز فصار رجل اللغة العربية قاضيا رسميا يزامل من تخصصوا فى القانون فى كلياته المتخصصة، ولكن القاضى لم يترك مجال التفكير فيما يشغل الأمة أثناء قيامه بالقضاء، إذ كان يسهم بنتاجه الفكرى شعرا ونثرا فى كل مناسبة تدعو إلى القول، وصار اسمه يتألق جوار شوقى ومطران وحافظ وصبرى من الشعراء، وجوار المويلحى وعلى يوسف والبكرى من الكُتّاب، وبعض الذين يتحدثون عن النهضة النثرية فى أوائل هذا القرن، يجعلون «حفنى ناصف» من مدرسة عبدالله فكرى التى تميل إلى النثر الفنى المسجوع، وقد يعدون ذلك مدعاة تأخر لا تقدم، وهو خلط نعرفه لدى من يتصدرون للتاريخ الأدبى المعاصر فيهرفون بمالا يعرفون، لأن حفنى ناصف أولا، لم يلزم طريقة النثر الفنى فى كل ما يكتب، بل كان يرسل المقالات الصحفية على النهج الصحافى الذى يميل إلى الاسترسال دون قيد، وله فى هذا المجال مقالات يذكرها قراء اللواء والمؤيد والجريدة، بل إنه دعى لرئاسة تحرير المؤيد بعد اعتزال صاحبه الشيخ على يوسف فاعتذر مؤثرا عمله الحكومى على موضع قد يكون غيره أولى منه فى القيام عليه، هذا شىء. والشىء الآخر، أن الأسلوب الفنى المسجوع، لا يعد موضع انتقاص، إذا جاء وفق الطبع، ومتمشيا مع المعنى المراد دون تكلف، بل يعد مصدر نبوغ وتفوق لصاحبه، وهل كان بديع الزمان الهمذانى إلا سابقا مجليا فى مقاماته، لأنه انفرد بلون من السجع المصور الذى يرسم المواقف والعواطف يتغلغل إلى النفوس فى قوة وابتكار، هكذا كان نثر حفنى ناصف، يقرأه الدارسون فيعجبون بدقة تصويره، وسلاسة تعبيره، فكيف يكون الأسلوب المسجوع موضع مذمة على الإطلاق، وإذا أردنا مثلا ما كتب حفنى بأسلوبه الفنى المطبوع فلنقرأ رسالة للسيد البكرى حين تحاشى تحيته وهو زائره، وفى ساحة منزله. وانصرف إلى غيره متجاهلا وجوده، فلم يشأ حفنى أن يسكت على هذه الغميزة بل وجه إليه فى الصحف رسالة أدبية ممتازة. قال فيها:

زرت السيد، وسألت عنه، فقيل إنه انصرف لتشييع زائر، وهو عما قليل حاضر، فانتظرت رجوعه، وترقبت طلوعه، ولم أزل أعد اللحظات، وأستطيل الأوقات، حتى بزغت الأنوار، وارتجّ صحن الدار، وظهر الاستبشار على وجوه الزوار، وجاء السيد فى موكبه، وجلالة محتده ومنصبه، فقمنا لاستقباله، وهيننا بكماله، فمرّ يتعرف بوجوه القوم حتى حاذانى، وكبر على عينه أن يرانى، فغادرنى ومن على يسارى، وأخذ فى السلام على جارى، وجر السلام الكلام، وكثر القعود والقيام، وأنا فى هذه الحال أوهم جارى، أنى فى دارى، وأظهر للناس أن شدة الألفة، تسقط الكلفة، ومر السيد من أمامى ثلاث مرات، ولم

يتدارك ما فات! وكنت أظن أن مكانتى عند السيد لا تنكر، وأن عهدى لديه لا يخفر، فإذا أنا لست فى العير ولا فى النفير، وغيرى عند السيد كثير، وذهاب صاحب أو أكثر عليه يسير.

ومن مدت العليا إليه يمينها،

فأكبر إنسان لديه صغير

والرسالة ذات طول، وهى من هذا الطراز الأنيق، فهل يكون ما بها من السجع المطبوع مدعاة تخلف وانحدار؟ هذا عن نثر الرجل، أما شعره فقد سار أكثره على الأفواه، لأن الشاعر الكبير وإن زامل الفحول من أنصار الجزالة كان يميل فى أكثر شعره إلى السهولة، وقد قرنه الأستاذ محمود غنيم فى كتابه الخاص به بالبهاء زهير الشاعر المصرى الناشئ فى العصر الأيوبى! وهو شبه قريب غير بعيد، فالشاعران يتمتعان بصفاء الروح، وعذوبة التعبير، مع عدم الغوص فى أفكار تثقل الشعر فتعجزه عن الطيران، وإذا كان شعر حفنى من هذا الطراز، فهو أقرب مسلكا للنفوس، وأسرع سيرا على الألسنة، لقد كان قاضيا فى محكمة طنطا، وأصدر حكما صادقا مخلصا لم يرتح له أولو الأمر ممن كانوا يتوقعون ثبوت الاتهام على برىء لم يقترف إثما، ارضاء لبعض الرؤساء من ذوى الغرض ولكن الحق لا يعدم النصير فقد عصف القاضى الفاضل بكل ما جاء من الشفاعات المغرضة، وهتف بالحكم جهيرا ساطعا لا يحتمل اللبس، وضاق ذوو الأمر به، وهم لا يستطيعون عزله بحكم استقلال القضاء، فأرهقوه بنقله إلى أقصى الصعيد قاضيًا فى محكمة قنا، ولاشك أن هذا النقل كان ظلما جائرا لا مبرر له، وكان فوق احتمال قاض ذى أسرة كبيرة يرعاها بالقاهرة، ولكنه أراد أن يفوت فرصة الشماتة على من نقلوه فنظم قصيدة مشتهرة ذاعت وصلصلت فى الآذان، حتى قرعت الأسماع، لأنه فى قصيدته لم يلجأ إلى التبرم، بل جعل النقل مكافأة طيبة، وأملا كان ينتظره، وكمدا للحساد، وغيظا للأعداء، هكذا قرر الشاعر المتهكم حين قال مخاطبا وزير الحقانية الذى أمضى قرار النقل:

رقيتنى حسا ومعنى

فليصنعك الشكر مثنى

وجعلت رأس الحاسد

ين بمصر من قدمى أدنى

أسكنتنى فى بقعة

فيها غدوت أعز شأنا

بلدٌ إذا حلت به

قدماك قلت حللتُ حصنا

قالوا شخصت إلى قنا

يا مرحبا بقنا وإسنا

هاقد أمنتُ البرد والبر

داء والقلب اطمأنا

فالشمس تكفل راحتى

فكأنها أمىّ وأحنى

عش فى القرى رأسا ولا

تسكن مع الأذناب مدنا

واربأ بنفسك أن ترى

مستمرئا فى العيش جبنا

والبيت الأخير، هو بيت القصيد، من قصيدة طويلة ممتازة لا أستطيع نقلها فى هذا المقام، لأنه رد صريح على ذوى الجبن ممن يطيعون أوامر الرؤساء وأن حادت عن الحق، وقد سارت القصيدة مسير الشمس منذ نشرها فى الصحف، وعارضها كثير من الشعراء مما يفتح مجالا لموازنة نقدية مثمرة، وممن عارضوها هذا الذى خاطب الشاعر الكبير قائلا(١):

حفنى قَلبْتَ الحق مُجتر

ئاً فدعنا منك دعنا

قد ناح قلبك معلولا

لكن شعرك قد تغنّى.

ونحن نعرف أن القاضى بالمحاكم مرهق بعمله المضنى، لأنه يضطر إلى قراءة مذكرات قانونية، واستماع مرافعات الاتهام والدفاع، ومناقشة الشهود، ثم يخلو لنفسه ليوازن بين ما رأى وسمع وقرأ، هذا فى القضية الواحدة، مع أن عشرات القضايا تعرض فى الأسبوع الواحد، وهذا الجهد المتصل قد شغل كثيرا من القضاة عن ممارسة هواياتهم الذاتيـة فى الأدب والعلم والفن، ولكن حفنى ناصف لم ينس أنه رجل اللغة العربية، وأن لها أمانة فى عنقه مهما بذل فى سبيلها من مُشاق، وقد كانت قواعد اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغـة تـدرس فى كتب ألفت للكبار لا للصغار، فالأزهرىّ المبتدئ يبدأ بدراسة شرح الأجرومية للعلامة الكفراوى، وهو كتاب لا ينفع غير من له إلمام وافٍ بالقواعد الأولى للنحو، وغير الأزهرى من تلاميـذ المدارس الابتدائيـة يبدأ بدراسـة (تقـريب فن العـربيـة لأبناء المدارس الابتدائية) وهو كتاب وضعه الشيخ أحمد محمد المرصفى فى دروس النحو، وهو صورة مختصرة للمنهج الأزهرى فى التأليف، حيث يبدأ بتعريف المصطلح، ثم يأخذ فى إخراج المحترزات، ويأتى بالاعتراضات التى يمكن أن توجه للتعريف، وهذا كله بمنأى شاسع عن إدراك تلميذ صغير يريد أن يعرف المراد من كلمات الاسم والفعل والحرف على وجه يتفق وإدراكه المحدود، لذلك قام الأستاذ حفنى ناصف برياسة لجنة علمية من زملائه مهمتها تأليف كتب مدرسية فى النحو والصرف والبلاغة على نحو يفيد الطالب المبتدئ، فألفّتْ سلسلة الدروس النحوية فى أربعة كتب، الأول والثانى والثالث للمدارس الابتدائية، والرابع للمدارس الثانوية، ثم اتجهت لتأليف كتاب خاص بالبلاغة وفروعها من معان وبيان وبديع، فظهر التأليف المدرسى لقواعد اللغة العربية لأول مرة على نحو تربوى يفيد التلميذ والمدرس معا، وتقوم الفكرة العامة لهذه السلسلة الدراسية على التدرج المتصاعد، بحيث يكون درس باب كالمبتدأ والخبر سهلا فى الجزء الأول ثم يضاف إليه فيما تلاه ما يكمله من التقسيمات اللازمة، وقد ظلّت هذه السلسلة تدرس فى المدارس المصرية قرابة نصف قرن، فآتت أكلها على قدر ما يتيسر، ثم أتبعت بسلسلة النحو الواضح للأستاذين على الجارم ومصطفى أمين فاكتمل التأليف المدرسى بها على وجه مفيد حين تنقل الأستاذ حفنى ناصف فى عواصم المديريات بالملكة المصرية، رأى من سعادته الأدبية أن ينشئ مواسم للمحاضرات الأدبية لأول مرة فى الأقاليم، إذ كانت المحاضرات مقصورة على الوعظ الدينى، ومكانها المساجد الكبيرة، وصادفت الفكرة هوى فى النفوس فكان الإقبال شديدا على هذه المحاضرات، وقد حاضر حفنى عن حسان بن ثابت، وشجع غيره على مواصلة البحث، فرأت طنطا وقنا وبعض الحواضر الأخرى نشاطا فكريا كان الأساس للمحاضرات العامة التى نراها اليوم، وحين انتقل إلى القاهرة قاضيا بمحكمة الأزبكية، رأى أن يتسع بالمحاضرات إلى مسائل هامة تشغل الأذهان وتتطلب الحل السريع، فعمل على إنشاء ناد لدار العلوم يقوم أعضاؤه بالنشاط الفكرى فى العاصمة، وأسندت إليه رياسته عن سرور وارتياح وهنا وجه الأنظار إلى ضرورة بحث موضوعين هامين يمثلان أزمة فكرية معاصرة، أحدهما

موضوع الألفاظ الأعجمية التى بدأت تغزو اللغة العربية، وثانيهما موضوع الربا، والحديث عن دور البنوك الاقتصادية التى أنشئت فى البلاد، ومدى موافقة أعمالها لما تقرره الشريعة الإسلامية، وقد بدأ بالموضوع الأول فعقد ندوة جمعت أساطين المفكرين من رجالات مصر، لبحث الموضوع من جميع أطرافه، وبدأت الندوة بتقديم لحفنى ناصف يشرح موضوع الاجتماع وأهميته، ثم قام الأستاذ محمد الخضرى فمال إلى طريقة اتباع التعريب فى تسمية المسميات الحديثة واصطلاحات العلوم وعرض شذورا من تطور اللغة العربية التاريخى مؤكدا أن المحافظة على لغة الأجداد لا تكون بالتحجر الجامد على ألفاظ قديمة تختار لأسماء مستحدثة ليس بينها وبين ما اختيرت له صلة قريبة أو بعيدة، بل بزيادة ما يمدها بالنماء والحيوية بإيجاد ألفاظ جديدة تواكب العصر المطرد فى نموه الحيوى، والدعوى بأن عدم الحاجة إلى المزيد من لغة ذات قواميس واسعة دعوى تخالف ما عليه لغات العالم جمعاء، لأنها دائما تضيف الجديد إلى قاموسها المتنامى، مع أن الواقع المشهود فى الصحافة المعاصرة هو استعمال الألفاظ الأوروبية دون تعريب كالتليفون والأوتومبيل وغيرهما، فلابد إذن من اختراع أسماء تناسب اللغة العربية لأمثال هذه المخترعات! وقد قام أحمد زكى باشا فشكا مر الشكوى مما يكابده أثناء ترجمته القانونية من عناء فى إيجاد ألفاظ جديدة للمصطلحات القانونية، وله اجتهادات فى هذا المجال لا يستطيع الحكم عليها، وقام أحمد فتحى زغلول باشا فأفاض فى وجهة نظره وأكد أن لغات دول أوربا الحديثة جميعها متطورة، وأن الفرنساوى المعاصر من حيث هو مجرد مواطن غير متخصص لا يعرف كلمة واحدة من أصل لغته القديمة، والفرنسيون يستعيرون من جميع اللغات لا من اللغة اللاتينية وحدها، وأحيانا يستعيرون كلمتين من كل لغة كلمة، وينحتونهما ويصقلونهما، ثم يدمجون هذا المزيج فى لغتهم، ويفسحون له مجالا فى كتب اللغة الجديدة باعتباره صار لفظا فرنسيا، فليس لنا أن نتمسك بالقديم لقدمه، ولكن لابد من التعريب المناسب، أما صاحب الرأى المخالف فهو الأستاذ أحمد الإسكندرى الذى ألقى بحثا مستفيضا فى منع طريقة التعريب فى تسمية المسميات الحديثة، واتباع طريقة التوسع فى استعمال الألفاظ العربية ذات الوزن الخفيف على السمع، ثم كان القول الفصل فى الكلمة النهائية التى اختتم بها حفنى ناصف الندوة فلخص ما قيل، وأبدى رأيه منتصرا لمن قال بضرورة التعريب، وانتهى المنتدون إلى قرار نهائى فى تسمية المسميات الحديثة جاء فى نصه (يبحث فى اللغة العربية عن أسماء المسميات الحديثة بأى طرق من الطرق الجائزة لغة فإذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الأعجمى بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية ويستعمل فى اللغة الفصحى بعد أن يعتمده مجمع لغوى سيؤلف لهذا الغرض)، وجاء القرار بتوقيع (حفنى ناصف رئيس النادى).

أما موضوع الربا فقد كان أكثر إثارة لأن الجمهور يهتم بالبحوث الدينية ويراقبها دون إغفال، وإذا نشرت فى الصحف سارع المثقف وغير المثقف بقراءتها، كلٌّ على حسب فهمه، وقد دعا حفنى ناصف إلى بحثه فى ندوة أعقبت الندوة الأولى بنادى دار العلوم بدأها بضرورة البحث فيما تدل عليه كلمة الربا، وأن الذين سيتحدثون فى هذا الموضوع لهم من الكفاية العلمية ما يهدى إلى الصواب، وهذا ما كان فعلا،

فقد تحدث السيد محمد رشيد رضا والشيخ عبدالعزيز جاويش والشيخ عبدالوهاب النجار والشيخ محمد الخضرى، ونادوا بوجوب إنشاء مصرف مصرى يزاحم البنوك الأجنبية التى ملكت اقتصاد البلاد، وحددوا المراد بلفظ الربا، ومدى انطباقه على المعاملات المعاصرة، وقام حفنى ناصف ليقول فى خطبته الدقيقة «لست أخشى اعتراض الذين يبيحون السّلم المخرب للقرى،ويتعوذون من القرض بفائدة وإنما أخشى الذين يرمون دين الإسلام بالجمود ويصمونه بمضادة العمران مع أنه صالح لكل زمانٍ ومكان، ثم انتقل إلى القول الذائع (كل قرضٍ جرٍّ نفعا فهو حرام) فنفى أن يكون حديثا نبويا لأن فى رجاله متروكا، وقد قالوا إنه بكلام المناطقة أشبه، وإذا كانت الندوة لم تنته إلى قرار حاسم فى تحديد المدلول بلفظ (الربا) كما انتهت إلى قرار حاسم فى استعمال اللفظ الأعجمى بعد صقله، فإنها فتحت أبوابا جديدة للبحث الفقهى وشجعت الفقهاء على مواصلة البحث الجاد، ولازلنا إلى الآن نقرأ بحوثا كثيرة فى الربا بين متسرعين ومتئدين، ولابد أن تقرر المجامع الفقهية رأيا يكون موضع اتفاق!

نترك حديث النادى بمحاضراته الدسمة ذات التوجيه الحار إلى ضرورة البحث اللغوى والاجتهاد الفقهى إلى بعض آثار حفنى ناصف التأليفية، فقد دُعى إلى المحاضرة عن تاريخ الأدب العربى فى الجامعة المصرية التى كان من دعاة إنشائها فقد جاهد مع سعد زغلول وقاسم أمين ومصطفى كامل فى الدعوة إلى إبرازها من عالم الأمانى إلى عالم الواقع، وحين بدأ العمل بها سنة ١٩٠٧م اختير أستاذا لتاريخ الأدب العربى بها، فألقى محاضرات لم تطبع إلا بعد وفاته بأمد بعيد، وقد كان الرجل يسير فى طريق لم يسر فيه باحث عربى من قبله، فاتسع بمفهوم تاريخ الأدب إلى مفهوم آخر يتضمن فقه اللغة العربية وأصولها اللغوية حيث فسح المجال لبحوث شافية عن حروف الهجاء وطريقة نطقها فى القبائل وعن المخارج واللهجات والإماله والاتباع، والخط العربى فى زمنه القديم من عهد عرب الرعاة والنبط والبابليين، ونشأة الشكل والنقط، وأنواع الخط من مسند ومقور وكوفى ومبسوط، ولا أشك فى أن حفنى ناصف قد ألمّ بمنهج المستشرقين فى كتابة تاريخ الأدب، ولكنه عدل عنه، إلى حيث خلط به غيره، أو امتد بكلمة الأدب من مفهومها الخاص إلى المفهوم العام، وهذا ما صنعه مصطفى صادق الرافعى - رحمه الله - حين كتب كتابه الرائع (تاريخ أدب العرب) لأنه تحدث عن طريقة المستشرقين، فقال إنهم اصطلحوا(٢) على تقسيم التاريخ الأدبى إلى عصور كالتاريخ السياسى، ولكن طريقة العصور لا تصلح لكتابة تاريخ الأدب وإن صلحت لتكون تاريخا لبعض أجزاء الحضارة العربية، ومن ثم راح الرافعى يتحدث فى الجزء الأول عن عيوب النطق العربى وعن الارتجال، والاشتقاق، والمجاز والحقيقة والإبدال والقلب والنحت والترادف والمشترك والمسلسل والأضداد والدخيل وما يتصل بفقه اللغة من هذه الشجون، وإذا كان حفنى قد بدأ محاضراته سنة ١٩٠٧م، وأخرج الرافعى كتابه فى طبعته الأولى سنة ١٩١١م، فأنا أميل إلى أنه توسع فى شئون فقه اللغة متأثرا بحفنى ناصف، لأن محاضراته كانت عامة، وكان بعضها ينشر فى الصحف على حين نرى جورجى زيدان فى كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) وقد ظهر قبل كتاب الرافعى بأشهر معدودة ينأى عن طريقة حفنى والرافعى إلى ماهو أقرب إلى تاريخ الأدب فى مفهومه الخاص، وقد

سار على نهج زيدان من تلاه من مؤرخى الأدب على طريقة العصور مثل الشيخ أحمد السكندرى ومصطفى عنانى فى الوسيط، وأحمد حسن الزيات فى تاريخ الأدب العربى، ومؤلفو كتاب المفصل بجزءيه الجليلين، وحفنى بعد ذلك رائدٌ فى مجاله، والرائد يبتدع ولا يتبع، كما كان رائدا فى بحوثه التى تقدم بها إلى مؤتمرات الاستشراق، إذ مثل مصر فى عدد منها، وحازت بحوثه تقدير المؤتمر، فأشار القائمون على تنظيمه بطبعها على حين لم تطبع بحوث زملائه، ومنهم من هو أعلى منه مركزا فى مناصب الدولة بمصر، لأن الشأن لدى هؤلاء شأن الإبداع لا شأن الرتب والألقاب، ومن البحوث التى قام المؤتمر بطبعها بحث حفنى عن (مميزات لغة العرب) الذى تقدم به إلى مؤتمر فينًا المنعقد سنة ١٨٨٦، وقد جعله خاصا بدراسة ميدانية للهجات مديريتى المنيا وبنى سويف، حيث لاحظ فروقا فى نطق بعض الحروف من أبناء المديريتين، وأرجع هذا الاختلاف إلى القبائل العربية التى نزلت بالمكانين بعد الفتح الإسلامى، فعرب قريش تتجلى لهجتهم لدى سكان مديرية المنيا، وغير قريش تبدو لهجتهم لدى سكان مديرية بنى سويف، وهو اجتهاد يصيب ويخطئ، ولكنه بحث ميدانى يعجب الدارسين، ويرونه على ما به من مآخذ، سبيلا لمباحث أخرى تنحو منحاه، متباعدة عن مآخذه، والعجيب أن الرجل كتب هذه البحوث جميعها وهو فى مناصب لا تتصل باللغة، فقد كان يلقى محاضراته بالجامعة وهو قاض مرهق بأعباء الوظيفة الدقيقة، كما كان يبعث إلى المؤتمرات وهو فى القضاء تارة أو فى مدرسة الحقوق تارة أخرى، ولعله لو فرغ للبحث الأدبى دون شاغل آخر لرزق توفيقا كبيرا أكثر مما حازه ودروس الجامعة تحتاج إلى نصب وكدح، وإلى قراءة فى مخطوطات لم تر النور لعهده فكيف استطاع أن يقوم بها، وهو صاحب بالين، فصباحه فى المحكمة، ومساؤه فى قاعة المحاضرات بالجامعة، ذلك عبء كبير، ولا يعرف الشوق إلا من عاناه!

ونحن نقرأ المصحف الشريف برسمه وطريقة الوقوف على كلماته، ورموز السجدات والأرباع، ولا ندرى أن من قام بهذا الجهد الكارب حفنى مع زميليه السكندرى وعنانى، فالآية التى تحتل سطرا واحدا تحتاج إلى مراجعة فى طريقة الرسم لتأتى مطابقة للرسم العثمانى الذى التزم به حفنى وزميلاه، وتحتاج إلى بحث فى القراءات والقواعد النحوية، لترسم علامات الوقف والوصل على الوجه الصحيح، وقد أرهقت اللجنة نفسها حين جعلت علامات للوقف الواجب والوقف الجائز والوقف الممتنع وما يدور هذا المدار، ومن أعجب العجائب فى دنيا الأخلاق أن يتعدد طبع المصحف الشريف كما انتهى منه حفنى وزميلاه، ويجرأ ناشر الكتاب العزيز على أن يذكر فى الخاتمة ما كتبه المحققون عن إيضاح الرموز، ثم لا تذكر أسماؤهم، بل يذكر أناس آخرون قاموا بالإشراف المطبعى فحسب! وذكر أسمائهم بدل الأسماء الأصلية تدليسٌ كبير، حيث يظن الظان المتسرع أنهم أصحاب الجهد العلمى ماداموا قد كتبوا أسماءهم بآخرة المذكرة التفسيرية التى كتبها الأصلاء، وقد استمر عمل اللجنة الحفنية ست سنوات نال بعدها مائة جنيه على مجهوده المضنى من الحكومة المصرية، ويقول الأستاذ عصام الدين حفنى ناصف نجل الرجل الكبير متهكما(٣) «لقد كانت الحكومة سخية حيث قدرت جهوده فى ست سنوات بمائة جنيه أى بمعدل ١٣٠ قرشا فى الشهر» وأنا أقول للأستاذ عصام إن ما عند الله أوفى وأعظم، وسيأتى والده يوم القيامة حاملا

كتاب الله بيمينه، أفما يكفى هذا!؟؟

أما أطرف بحوث حفنى ناصف العلمية فهو ما كتبه عن قرية السيدة مارية القبطية زوج رسول الله ﷺ، فقد كان يبحث مبدئيا عن كلمة حفنى التى سمّى بها إذ رأى أناسا فى مديريات مختلفة ينطقون الحاء بالكسر، والفتح، والضم، لكل إقليم لهجته فى النطق، فلجأ إلى المعاجم اللغوية فلم يظفر بطائل، فاهتدى إلى كتاب (معجم البلدان لياقوت الحموى فقرأ فيه أن (حفن) بفتح الفاء ناحية من نواحى مصر، وفى الحديث (أهدى المقوقس إلى النبى ﷺ مارية من حفن من رستاق أنصنا، فكان هذا النص الكريم باعثا لنفسه على البحث عن تلك الناحية التى سعدت إحدى بناتها بالانتساب إلى رسول الله زوجا ذات ولد، فأخذ يوالى البحث حتى اهتدى إلى حديث عن (أنصنا) فعرف أن ابن دقماق قال فى كتاب الانتصار «إنصنا بلدة قديمة بها آثار عظيمة وهى على ضفة النيل قبالة الأشمونيين» وحفنى يعرف بلدة «الأشمونين فاتجه إليها كباحث فى علم الآثار وأخذ يجوس بين أطلالها، ويحاول قراءة ما تحمله تماثيلها من إشارات، ثم واصل القراءة فعرف أن الناحية تضم قرية «حفن» وكانت معفاة من الضرائب فى عهد الصحابة، وقد بنى بها عبادة بن الصامت مسجدا تجدد بعد موته، وصارت القرية تسمى باسمه! وإذن حفن بلدة مارية قد حظيت باهتمام الصحابة تكريما لنبى الإسلام، وأصبحت ذات مسجد حافل، وسميت باسم صحابى كبير تكريما لأعماله بها، وشاء الأستاذ أن يختلط بأبناء القرية فوجد عندهم جميعا خبرا يتوارثونه، وهو أن مارية من بلدتهم، فاطمأن إلى ما انتهى إليه وكتب بحثا مستفيضا عن تحقيقه الأثرى نشره أولاده بعد كتابته بثلاثين عاما بمجلة الهلال (نوفمبر سنة ١٩٣٢م).

وبعد فهل لى أن أشير إلى المستفيض الذائع من فكاهات حفنى ناصف، إذ عرف بالنادرة الطيبة، والفكاهة الباسمة حينا، اللاذعة أحيانا، إذ كانت روحه روح إنسان منبسط باسم للحياة على فرط سمنه، وضخامة جثته حتى ليصدق عليه قول القائل:

لئن ناء من سمن جسمه

فما عرفت روحه ما السِّمن

ولكن بعض هذه النوادر مدونة فى مقالات صحفية، وقد وعى الأستاذ الشاعر البليغ محمود غنيم قدرا منها فى كتابه عن حفنى ناصف، والرجوع إليها مما يسر النفس ساعة الضيق، فرب فكاهة كشفت هما، وأزاحت كربا، وبعض الفكاهات لا يفهم إلا لمناسبته الطارئة، فلابد من الإلمام بالجو السياسى أو الاجتماعى الذى نطق فيه القائل بفكاهة، وتعقب هذه المناسبات مما يطول، وقد انتقل حفنى رحمه الله إلى جوار ربه سنة ١٩١٩م، وقامت الثورة، فلم تستطع البلاد أن تفيه حقه من التأبين كعادتها حينئذ مع الراحلين أيام كان تقرير النبوغ أمرا مفروضا لا حائل دونه، ولكن كُتب الرجل وشعره ونثره تشهد بقدره، وهى حفلة ذكرى تتصل باتصال قراءتها المتتابعة، ورب كتاب مجفو فى مكتبة نائية أبلغ من تمثال ضخم أقيم نفاقا لمن أورث البلاد رهقا وضيقا غير ناظر إلا لكسبه الشخصى، فغدا تمثاله مذكرا بسوءاته، وكان من نفعه أن تنقطع الذكرى، ويخفت الحديث.

الهوامش

١ - ديوان (حنين الليالى) للدكتور محمد رجب البيومى ص٢١٩.

٢ - تاريخ آداب العرب للرافعى جـ١ ص١٨ ط. رابعة.

٣ - مجلة المقتطف - ديسمبر سنة ١٩٣٢ ص٦٠١.

فتوح مصر وأخبارها

لأبى القاسم عبد الرحمن ابن عبد الحكم

- ١ -

الحديث عن دخول الإسلام مصر منذ ١٤٠٠ عام، حديث لاينتهى لتعدد محاوره: التاريخية - الحضارية - الثقافية - السياسية - الاجتماعية، وكل محور من هذه المحاور العامة يشتمل على عدة عناصر كل عنصر منها يستحق الدراسة المتأنية، فهى حياة أمة بأثرها بما لها وما عليها، وعلينا واجب دينى فالإسلام غير وجه مصر أرض الرسالات السماوية، ومهد الحضارات الإنسانية، لابد أن نغرس قيمه ومبادئه فى نفوس الناشئة. وواجب وطنى يتمثل فى إلقاء الضوء على فضل الإسلام على مصر حتى تعرف الأجيال الصاعدة أنها فروع من شجرة أصيلة، نبتت بأرض مباركة - مصر المحروسة - يجب الحفاظ على كل ذرة رمل من ترابها.

ومن بين الكتب القديمة والتى اهتم أصحابها بأخبار دخول الإسلام مصر كتابنا اليوم: **«فتوح مصر وأخبارها»** لابن عبد الحكم.

تحقيق الأستاذ/ محمد صبيح

عرض الدكتور / محمدبهى الدين سالم

عاش عبد الرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم - أبو القاسم القرشى - سبعين سنة بدأت بميلاده عام ١٨٧هـ، وانتهت بوفاته عام ٢٥٧ هـ، أى أن خمسين سنة من حياته العامة، وقعت كلها فى القرن الثالث الهجرى ولهذا القرن طابع يميزه، ويجعله فريدا فى حياة الأمة الإسلامية فهو فترة حافلة فى تاريخ الدولة العباسية بكل مجدها وتعثرها وبكل نورها وظلامها.

وهو فترة بدأت فيها دولة الإسلام الأموية فى الأندلس مسيرتها نحو مجد لا يبلى، وحضارة بقيت على مر الزمن.

وثمة ظاهرتان جديرتان بالتأمل فى دراسة هذه الفترة من العصر العباسى تشكل بدعة الاستعانة بالجنود الأتراك الظاهرة الأولى، أما الظاهرة الثانية فهى النشاط الهائل للفكر والعلوم بأنواعها، وظهور فطاحل من المؤرخين والمحدثين والعلماء والفلاسفة والشعراء، والعناية بتدوين مؤلفاتهم التى أثرت الفكر الإسلامى والفكر العالمى بصفة عامة.

وفى هذا العصر ظهر البخارى أعظم المحدثين، والطبرى أكبر المؤرخين والمفسرين، والإمام الشافعى صاحب المذهب الفقهى المعروف وكان

هناك أيضا مكان (لابن عبد الحكم) بل عُدَّ رائد المؤرخين عن مصر والمصريين، وعنه أخذ من جاء بعده.

وصية الرسول ﷺ بقبط مصر

بدأ ابن الحكم كتابه **«فتوح مصر وأخبارها»** بذكر وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالقبط قال: **«إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، فإن لهم ذمة ورحما»** وكان يقال: إن أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام منهم. وعن عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: **«إن الله عز وجل سيفتح عليكم بعدى مصر، فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم صهرا وذمة».**

وعن يزيد بن أبى حبيب أن أبا سلمة بن عبدالرحمن حدثه:

"أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من جزيرة العرب وقال: **«الله الله فى قبط مصر - فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانا فى سبيل الله»** وفى أخبار مصاهرة الأنبياء يقول ابن عبدالحكم: حدثنا عثمان بن صالح، أخبرنا مروان القصاص قال: «صاهر القبط من الأنبياء صلوات الله عليهم ثلاثة: إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام تسرى هاجر، ويوسف عليه السلام تزوج بنت صاحب عين شمس، ورسول الله ﷺ تسرى مارية» رافعا الحديث.

فضائل مصر

وينتقل ابن عبدالحكم إلى ذكر بعض فضائل مصر قال: إلى عبدالله بن عمرو وقال: «قبط مصر أكرم الأعاجم كلها، وأسمحهم يدا، وأفضلهم عنصرا، وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة .. ومن أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها فى الدنيا فلينظر إلى أرض مصر حين تخضر زروعها وتنمو ثمارها»، وعن كعب الأحبار قال: «من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة، فلينظر إلى مصر إذا أخرفت".

ويردد ابن عبدالحكم ماتناقله الرواة: "ولم يكن فى الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر، وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله إلى آخره فى الجانبين جميعا ما بين أسوان إلى رشيد، وسبع خُلج: خليج الأسكندرية، وخليج سخا، وخليج دمياط، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنهى، وخليج سردوس جنات متصلة لاينقطع منها شىء عن شىء، والزرع بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها مما يبلغه الماء، وكان جميع أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا من قناطرها وخلجها وجسورها فذلك قوله عز وجل: **﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾** قال: والمقام الكريم: المنابر، كان بها ألف منبر".

وفى ذكر نزول القبط بمصر وسكناهم بها ينقل ابن عبدالحكم عن عبدالله بن عباس قوله: "وكان مصر بن بيصر بن حام نائما إلى جنب جده حام، فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى إلى نوح فقال: .

«ياجدى قد أجبتك إذ لم يجبك أبى ولا أحد من ولده، فاجعل لى دعوة من دعواتك، ففرح نوح عليه السلام ووضع يده على رأسه وقال: «اللهم إنه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الأرض المباركة، التى هى أم البلاد، وغوث العباد، التى نهرها أفضل أنهار الدنيا، واجعل فيها أفضل البركات، وسخر له ولولده الأرض، وذللها لهم وقوهم عليها».

وتتوالى ذكر الأحداث التى مرت بمصر: دخول إبراهيم - ظفر العمالقة بمصر، وأمر يوسف الذى اشترى أرض مصر كلها، وينتقل ابن عبدالحكم إلى ذكر دخول أهل يوسف مصر، ووفاة يعقوب ودفنه

بمصر، وكان قد دخلها هو وولده زمان الريان بن الوليد الذى شهد وفاة يوسف ـ صلوات الله عليه ـ وكان درام بن الريان أول الملوك بعد موت يوسف ﷺ طغى وتكبر وأظهر عبادة الأصنام فركب سفينة فى النيل، فبعث الله عليه ريحا عاصفا فأغرقته ومن كان معه فيما بين طُرة إلى موضع حلوان، فملكهم من بعده كاشم بن معدان وكان جبارا عاتيا». ثم هلك كاشم بن معدان، فملكهم بعده فرعون موسى، وفى زمانه حُمل عظام يوسف ﷺ من مصر إلى الشام، وحين اتبع فرعون وجنوده بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر أغرقه الله ومعه أكثر من ألفىّ ألف من أشراف أهل مصر وأكابرهم، وبقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد، ولم يبق بها إلا العبيد والأجراء والنساء، فأعظم أشراف من بمصر من النساء أن يولين منهن أحداً وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة ابنة زباء، وكان لها عقل ومعرفة وتجارب، وكانت فى شرف منهن وموضع ، وبعد الملكة دلوكة يذكر ابن عبدالحكم من ولىّ مصر من الملوك إلى أن دخلها بختنصر وتتوالى الأحداث على مصر وأهلها: ظهور الروم وفارس ـ ابكشاف فارس عن الروم ـ توجيه هرقل ملك الروم المقوقس أميرا على مصر، وجعل إليه حربها وجباية خراجها فنزل الاسكندرية "وكان الذى بنى الاسكندرية وأسس بناءها ذو القرنين الرومى واسمه الاسكندر، وبه سميت الاسكندرية، وكان أبوه أول القياصرة.

دخول عمرو بن العاص مصر

وينتقل بنا ابن عبدالحكم عبر ما تضمنه كتابه القيم من معلومات إلى ذكر سبب دخول عمرو بن العاص مصر وفتحها.

كان عمرو قد دخل مصر فى الجاهلية، وعرف طرقها، ورأى كثرة ما فيها، فلما كانت سنة ثمانى عشرة قدم عمر بن الخطاب الجابية، قام إليه عمرو فخلابه وقال: يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أسير إلى مصر، وحرضه عليها، وقال: إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم، وهى أكثر الأرض أموالا، وأعجزها عن القتال والحرب، فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين، وكره ذلك، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها، ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر فعقد له على أربعة آلاف رجل، ويقال: بل ثلاثة آلاف وخمسمائة، وقال له: سر وانامستخير الله فى مسيرك، وسيأتيك كتابى سريعا إن شاء الله فإن أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها فانصرف، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره، فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس، واستخار عمرو الله فكأنه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك، فكتب إلى عمر بن الخطاب أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك الكتاب عمرا وهو برفح، فتخوف ابن العاص إن هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش ـ فسأل عنها؟ فقيل: إنها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين فقال عمرو لمن معه: ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر؟ قالوا : بلى، قال: فإن أمير المؤمنين عهد إلىّ وأمرنى إن لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله».

وأتم عمرو بن العاص فتح مصر كلها سنة عشرين للهجرة.

وتطرق ابن عبدالحكم إلى ذكر من يقول: إن مصر فتحت بصلح، ومن يقول فتحت عنوة.

أما عن الصلح فقد نقل ابن عبدالحكم حديثا

ينتهى عند عبيد الله بن أبى جعفر قال: "سألت شيخا من القدماء عن فتح مصر فقال: هاجرنا إلى المدينة أيام عمر بن الخطاب وأنا محتلم فشهدت فتح مصر قلت له: فإن ناسا يذكرون إنه لم يكن لهم عهد فقال: ما يبالى ألا يصلى من قال: إنه ليس لهم عهد، فقلت: فكل كان لهم كتاب؟ فقال: نعم كتب ثلاثة، كتاب عند طلما صاحب إخنا، وكتاب عند قزمان صاحب رشيد، وكتاب عند يحنس صاحب البرلس. قلت: كيف كان صلحهم؟ قال: ديناريين على كل إنسان جزية وأرزاق المسلمين. قلت: فتعلم ما كان من الشروط؟ قال: نعم ستة شروط لايخرجون من ديارهم، ولاتنزع نساؤهم ولاكفورهم، ولاأراضيهم، ولايزاد عليهم».

أما من قال فتحت مصر عنوة فعن ابن أبى بردة يقول: سمعت سفيان بن وهب الخولانى يقول: "إنا لما فتحنا مصر بغير عهد، قام الزبير بن العوام فقال: أقسمها ياعمرو بن العاص ـ فقال عمرو: والله لاأقسمها. قال الزبير: والله لتقسمنها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر، قال عمرو: والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين. فكتب إليه عمر أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة" أى حتى يغزو منها أولاد الأولاد، ويكثر المسلمون فى تلك البلاد بالتوالد.

وكان للخطط ذكر عند ابن عبدالحكم ... فعن. يزيد ابن أبى حبيب قال: «إن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتا وبناءها مفروغا منها هم أن يسكنها، وقال: مساكن قد كفيناها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك، فسأل عمر الرسول: هل يحول بينى وبين المسلمين ماء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل فكتب عمر إلى عمرو: إنى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولاصيف فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية إلى الفسطاط وبنى مسجده فيها.

واختط عمرو حول المسجد وقريش والأنصار وأسلم وغفار، وجهينه، ومن كان فى الراية ممن لم يكن لعشيرته فى الفتح عدد مع عمرو.

فاختط وردان مولى عمرو القصر الذى يعرف بقصر عمر بن مروان، واختط قيس بن سعد بن عبادة فى قبلة المسجد الجامع دار الفلفل، وكانت فضاء فبناها لما ولىّ البلد، وتوالت الخطط حول المسجد الجامع .. المقداد بن الأسود، عبدالله بن عديس، كما اختطت ثقيف فى ركن المسجد الشرقى إلى السراجين هذا إلى جانب العديد من الخطط ذكرها وأصحابها من خلال ما أورده ابن الحكم من أخبار، لكنه ـ أى ابن عبدالحكم ـ نقل عن يزيد بن أبى حبيب، وابن هبيرة يزيد أخبار خطط الجيزة فقال: "فاستحبت همدان ومن والاها الجيزة فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يعلمه بما صنع الله للمسلمين، وما فتح عليهم، وما فعلوا فى خططهم، وما استحبت همدان ومن والاها من النزول بالجيزة، فكتب إليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له: كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك، لم يكن ينبغى لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينهم وبينك بحر، لا تدرى ما يفجأهم، فلعلك لا تقدر على غياثهم حتى ينزل بهم ما تكره فاجمعهم إليك فإن أبوا عليك وأعجبهم موضعهم فابن عليهم من فىء المسلمين حصنا .. فعرض عمرو ذلك عليهم فأبوا وأعجبهم موضعهم بالجيزة ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرها، وأحبوا ما هنالك فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن الذى بالجيزة فى سنة إحدى وعشرين، وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين.

وأقف بك ـ عزيزى القارىء ـ عند هذا القدر من كتاب "فتوح مصر" الذى ضمنه ابن عبدالحكم مجموعة هامة من أخبار مصر تعتبر الأساس ونقطة الابتداء التى تحرك منها كل من تناول «دخول الاسلام مصر» بالبحث والدراسة وإلى لقاء قادم نكمل فيه بقية أخبار الكتاب إن شاء الله.

الحضارة والعلوم

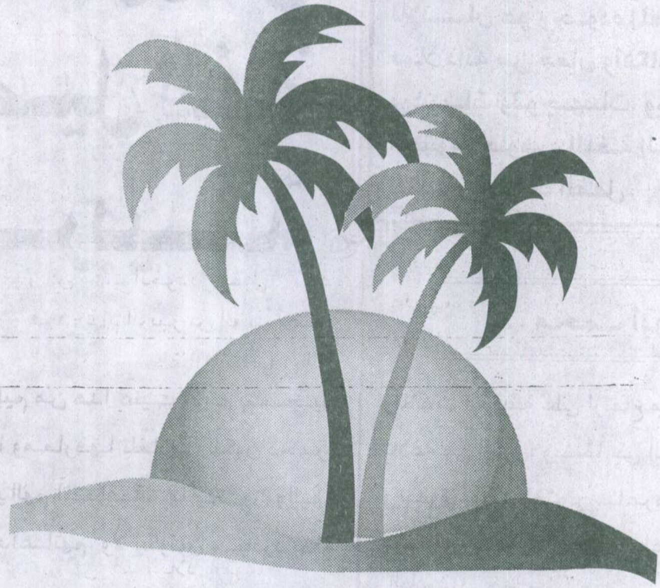

- فى محراب العربية لغة القرآن الكريم
- ابن الرزاز الجزرى أحد أبرع التقنيين العرب
- الـذوق الإسـلامى

في محراب العربية لغة القرآن الكريم (١)

بعض الملامح الكبرى فى التأصيل للغة العربية

فى البداية نذكر أن لغة الإنسان هى ذاته، وجميع أبعاد كيانه الإنسانى؛ بها يدرك المعانى والأفكار والإحساسات ويعبر عنها. وباللغة يتم تشكيل الإنسان وتلوينه فى أبعاده المختلفة؛ لأن الجوهر الحق للإنسان هو وجوده المعنوى، أى ما يملأ ذاته من معان وأفكار وإحساسات ورغبات وتوجهات، وهذا الوجود المعنوى جوهره اللغة التى هى أصل التصور ومناط الفعل.

د. محمد أبو الأنوار

ولسبب عظيم من هذا عنيت الأمم بتسجيل آدابها وعلومها ومعارفها بلغاتها، لتكون ذخيرة لأبنائها فى أجيالهم المتعاقبة، بها يهتدون وإليها يضيفون بإبداعاتهم، ولا يكونون مجرد نقلة تابعين.

واللغة العربية بالذات لها رحلة ذات أبعاد وسمات خاصة، ومن أكبر شرفها أن الله سبحانه وتعالى اختصها لتكون لغة كتابه العزيز (القرآن الكريم) الذى نزل وحيا من عنده تعالى على رسوله محمد ﷺ ولعناية إلهية خاصة كان الأدب العربى قبل نزول القرآن فى خدمة القرآن، وتم ذلك عند التأمل على محورين:

اللسان العربى والملكات العربية

المحور الأول: الدربة الهائلة للسان العربى والملكات العربية على ارتفاع مستوى التعبير الفنى، بلاغةً فى القول، وعمقا فى الفهم، ونفاذاً فى الرؤية والتذوق. ولقد افتخر شاعرهم بأن قصيدته تروع السامعين بلذة إنشادها وسماعها وعمق تذوقها.

يقول الشاعر المسيّب بن علس يصف قصيدته:

ترد المياه فماتزال غريبة
فى القوم بين تَمثُّل وسماع

فهو يدرك فى ذلك العصر الفنى المبكر معنى التمثُّل بأنه التصور والتذوق.

فَدُرْبة العربى لمئات السنين على أن يبرع فى صياغة أفكاره ومعانيه شعرا ونثرا تمثل المرحلة الهامة التى تدرّب فيها على الارتقاء الفنى ليكون مؤهلا لتلقى النص القرآنى الكريم بكل إعجازه وسموه البيانى صياغة ودلالة.

وعند التأمل نجد أن النص القرآنى الكريم نزل بلاغاً، وحجة، والبلاغ هو البيان المراد توصيله إلى متلق، وهو لا يستقيم أمره حتى يكون مفهوما فهما كاملا لمتلقيه. فكانت دُربة العربى على أساليب الأدب الرفيعة وفى مقدمتها الشعر مدرسته التى نما فيها واستقام استعداده الأدبى، ليفهم البيان الموجه إليه من الله تعالى فى النص القرآنى الكريم، وهكذا كان الأدب العربى محورا أساسيا فى خدمة القرآن قبل نزول القرآن الكريم حيث استطاع العربى عن طريق تكوينه الأدبى السابق الارتفاع إلى فهم القرآن الكريم عند تلقيه.

براعة العرب فى صياغة أفكار ومعانى لغتهم والارتقاء الفنى بها أهلتهم لتلقى النص القرآنى بإعجازه وسموه البيانى

الرواية والتدوين

المحور الثانى:

يتضح لنا إذا تأملنا مقولة العلامة الأستاذ مصطفى صادق الرافعى وهى: «أن العرب قوم معنويون» ، فالعرب أمة تم تكوينها على شدة إحساسها، وتوقد شعورها، وتعلقها بالمعنى الكريم، والإحساس النبيل، والفعل الشريف، ومن فرط اعتزازها بهذا كانت تحرص على تسجيل مآثرها المعنوية والحسية فى قولٍ أدبى، وهى لا تفرّط فى هذا القول الأدبى، بل تحرص عليه وتتداوله وتُبقيه للأجيال بعدها، ومن هنا نشأت الرواية للشعر والأدب، وأخذت مكانتها فى هذه الأمة بحيث لا تضارعها فى ذلك أمة أخرى، وكانت الرواية تعتمد على الذاكرة اعتماداً واسع المدى ـ إلى جانب ما سجله التاريخ من محاولات التدوين أيضا ـ ومن هنا تدربت ذواكر الأمة على الرواية، على الحفظ لمئات السنين قبل نزول القرآن الكريم، وكانت هذه الدربة هى الظاهرة الثانية فى خدمة الأدب للقرآن الكريم.

فالقرآن الكريم وصل إلينا غاية فى الدقة والصحة بطريقين: طريق الرواية، وطريق التدوين.

والتدوين قطع الطريق على كل ناعق أو زاعق يحاول التشكيك فى صحة النص للقرآن الكريم، وهو طريق متواتر تواترا لا يقف عند حد.

ولا يظنَّن ظان أنه كان من الممكن أن يستغنى العرب الأوائل عن طريق الرواية فى وصول القرآن إلينا نصاً صحيحا موثقا، ذلك أن الرواية حفظت أموراً لا يمكن للتدوين أن يحفظها، وهذه الأمور تتصل بأصوات اللغة فى النطق الصوتى للقرآن الكريم وهو الذى تترامى أبعاده فى علوم تجويد القرآن الكريم، ودعوة القرآن صريحة فى وجوب إتقان تلاوته كما نزل على النبى ﷺ، فالآيات (من ١٦ - ١٩) فى سورة (القيامة) تقول: **«لا تُحرِّك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨) ثم إن علينا بيانه (١٩)»** فاتباع التلاوة كما نزلت أصل هام فى المحافظة على نصّه العزيز ، وإن التدريب على أصوات التلاوة المتقنة للقرآن الكريم

هى التى حفظت لنا الصورة المثلى للنص القرآنى، وهى التى حفظت لنا البناء الصوتى الصحيح لمخارج الحروف فى اللغة العربية، ولاتزال بالمملكة العربية السعودية سلسلة الرواة للقرآن عن رسول الله ﷺ متصلة إلى اليوم، وهى بحفظ الله لها باقية إلى أن تقوم الساعة.

وقد درجت الأمة الإسلامية على تدريب الصبيان فى سن مبكرة على الحفظ الصوتى لأجزاء من القرآن الكريم، وكان لهذا الدور ولايزال عند من يحرصون عليه أكبر الأثر فى تدريب أبناء العربية على صحة النطق، وعلى صحة التلاوة للقرآن الكريم، وهى التى جعلت العلاَّمة مكرم عبيد المسيحى الجليل شيخا من شيوخ البلاغة فى عصره.

الرواية العربية حفظت ما لم يحفظه التدوين خاصة النطق الصوتى للقرآن الكريم فتحقق حفظه وإتقان تلاوته

وهنا ألفت النظر إلى أن أكبر العلماء فى العربية، إذا لم يكن قد تدرّب فى صباه على تلاوة القرآن على شيخ يتابع التلاوة معه، فإنه لا يستطيع بحال من الأحوال أن يتلو القرآن تلاوة صحيحة.

وهكذا كان الأدب العربى قبل نزول القرآن فى خدمة القرآن وأصبح القرآن الكريم بعد ذلك هو حصن العربية.

فالعربية باب القرآن الكريم والقرآن حصن العربية. هذه اللغة العربية قطعت مسيرتها إلينا وسط عوامل مشتجرة، ما بين نصرٍ لها وحربٍ عليها، لكنها ظلت راسخة آمنة بفضل القرآن الكريم. وقد تتابعت الأجيال تبدأ الحياة التعليمية لأطفالها وصبيانها بتلاوة القرآن الكريم سماعاً حتى قبل تعلّم الكتابة والقراءة على النحو اللائق وهذه الخبرة الهائلة فى التدريب على تلاو الأصوات القرآنية عند الصبيان أهلتهم للتفوق فى العربية، ويسّرتْها لهم.

فهل يصح أن نتنكر لهذا الدور البنّاء الذى يحفظ لغتنا الكريمة التى هى ضرورة حياة وبقاء للأمة؟!

ما أسعد أعداء الأمة الإسلامية بانهيار العربية فيها، وزحف العاميات واللغات الأخرى عليها، فهذه هى السبيل الوحيدة للقضاء مستقبلا على كيان الأمة فى لغتها ودينها وحضارتها، دع عنك مستقبلها الذى يصبح عدماً لا حديث عنه.

لابد لنا أن نستوعب أطراف المشكلة وأن نسعى جميعا إلى علاجها، وهذا أمر واجب على الجميع لاسيما من يدركون أبعاد الشر الذى يحيط بنا إن أهملنا أو قصرنا أو استسلمنا فى إهمال اللغة العربية.

وليست هذه بحال من الأحوال دعوةً إلى عدم تعلّم اللغات الأجنبية أو عدم إجادتها، فنحن فى عالمنا المعاصر فى أشد الحاجة إلى إتقان هذه اللغات إتقانا ننافس فيه أبناءها، وما أشد الخسران إن أهملنا بسببها اللغة العربية، بل إنه لا قيمة لعالم فى بلد عربى لا يستطيع نقل ما يعرف إلى لسان عربى مبين.

وسوف نتناول فى مقالين قادمين تتمة جوانب الموضوع.

ابن الرزاز الجزرى أحد أبرع التقنيين العرب

يكثر الحديث بين الحين والآخر عن التقنية ثم يخبو وكأن التقنية خطبة عصماء نفتح بها دياجير الظلام التقنى الذى نحياه. نتحدث عن التقدم العلمى وحينما نقف على عتبة التطبيق عند أول صف من صفوف مرحلة التعليم تجدنا ننسى تلك الخطبة العصماء ولا نتذكر منها شيئاً البتة. وبدلاً من أن نفخر بما أنجزناه فى عصور ماضية أو نتعامل مع منجزات العلم الحقيقية بصورة تنمى فينا المنهج العلمى فى التفكير وتُشعرنا بقيمة العلم ومنجزاته، ترانا نأخذ من العلم قشوره فنضع صور الآلات؛ ومنها أكثرها تقدماً وأعنى بها الحاسبات؛ أمام النشء الغض ليتسلى بها فى ألعاب يقتل معظمها أى فائدة مرجوة من احتكاكه بها؛ فلا نحن أصبنا الشعور بالفخر من ماضٍ تليد ولا نحن أصبنا محاكاة الحديث من ضروب العلم التقنى، وضاع منا كل شئ.

أ. د/ محمد يونس الحملاوى

عالمنا ابن الرزاز هو أحد قادة التنمية التقنية ولا أقول التكنولوجية لأن كلمة تكنولوجيا فقدت الكثير من مدلولاتها حين وجدناها تشير إلى مفاهيم متعددة لا رابط بينها، بل قل: هى تتضاد فى بعضها أو تتسم بالغموض فى دلالاتها على أضعف الافتراضات. ومن البدهى ألا يقودنا هذا الغموض سوى إلى سراب، لأن أبسط متطلبات التنمية هى الدقة وهو مالا يتوفر فى فهمنا لهذا المصطلح الأجنبى الذى يقصد به البعض الإيهام بأن مدلوله أجنبى عن بلادنا وعن ثقافتنا وعن كياننا مع أن التقنية علم له جذوره فى تراثنا العربى بدءاً مما شيده الأقدمون من آثار تحاكى الزمن فى صمودها ومروراً بمخترعات قذفت بالبشرية إلى الأمام فى سلم التقدم كان لنا فيها نصيب لا يُنسى فالتنمية (التكنولوجيا) طبقاً لتعريف منظمة التجارة والتنمية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، تعنى مجموعة المعارف والمهارات المستعملة واللازمة لإنتاج السلع والخدمات وكذلك تسويقها وتوزيعها. والتكنولوجيا كلمة ترجمتها الحرفية علم الصنعة ويشار إليها أحياناً بالتقنية من الإتقان. ولا أظن أننا باستيعابنا لكلمة تقنية بهذا المدلول يمكننا أن نستوردها أو ننقلها بل

يمكننا فقط أن نستوعبها، لأنها تعتمد أولاً على الفكر البشرى الذى يستوعب ثم يبدع ويبتكر، ومن ثَمَّ يقوم بتحويل الأفكار بكفاءة إلى منجزات. إن حقيقة كلمة تقنية (تكنولوجيا تعنى أنها علم ينبع من عملية إنتاجية مرادها إنتاج سلعة أو خدمة من خلال عدة محددات منها التوصيف والدقة والإتقان والجودة حتى تفضى منظومة الإنتاج إلى تقدم.

ولد عالمنا بديع الزمان إسماعيل بن الرزاز الجزرى نسبة إلى جزيرة ابن عمر فى نهر دجلة ببلاد العراق التى ولد فيها حوالى عام ٥٥٥ هـ (١١٦٠م) فى فترة حكم «بنو الأرتق» التابعين للسلاجقة. وكانت هذه الجزيرة مما فتحه القائد العربى عِيَاضُ بْنُ غُنْمٍ الفِهرِيِّ فى السنة السابعة عشرة للهجرة (٦٣٨م) فى عهد الخليفة الثانى الفاروق عمر بن الخطاب. بدأ عالمنا أبو العز كما كنَّاه جده، حياته بحفظ القرآن الكريم والكثير من الأحاديث إضافة إلى بعض علوم اللغة ونشأ منذ نعومة أظافره محبّاً لعلم الحيل وهو علم تحريك الأشياء بأدنى مجهود. وسار أبو العز على الدرب فقرأ واستوعب ثم أبدع العديد من الآلات ونفذها. لقد كانت إضافات ابن الرزاز الجزرى فى هذا الجانب التطبيقى من العلم بعدما قرأ واستوعب كتابات اليونان القديمة وإبداعات من سبقوه من علماء العرب كالبيرونى والخوارزمى وثابت بن قرة والفارابى وابن سينا وابن الهيثم والخازن والرازى وموسى بن شاكر وبنيه محمد والحسن وأحمد. بدأ عالمنا ابن الرزاز مشواره العملى فى بستان بيته بصنع النموذج الأول لما أبدعه من أيسر تلك الآلات وأقلها كُلفة ليقدمها إلى والى الجزيرة علَّه يجد عنده العمل المناسب ليستكمل مشواره العلمى، حتى لا يذهب له بمجرد كلمات يجيدها غيره أكثر منه. ولكم كان هذا الطريق مقنعاً حين رأى الوالى تلك النماذج التى أنتجها ابن الرزاز فألحقه بالعمل عنده. وفى خلال عمله هذا أبدع الجزرى العديد من المنتجات التى أشاعت السرور بين سكان تلك الجزيرة وسهَّلت أعمالهم سواء فى مزارعهم بما أنتجه من آلات تتوقف عن دفع الماء كلما ارتفع فيها عن مستوى معين أم فى منازلهم بما أنتجه من قناديل ينصب فيها الزيت تلقائياً كلما فرغت. كانت تلك الأجهزة والآلات من تصميمه ومن تصاميم سابقيه كبنى موسى الثلاثة. ومكث عالمنا بديع الزمان كما كنَّاه والى الجزيرة فى قصر الولاية مُكَرَّماً مُطَاعَاً حوالى العامين ذاع صيته، فعرفه أمير مدينة حصن كيفا التى تتبعها الجزيرة. ومدينة حصن كيفا تقع على الشاطىء الشرقى لنهر دجلة عند حدود سوريا مع تركيا حالياً. وكانت وقت السلاجقة مركزاً للتجارة على نهر دجلة بين ديار بكر (آمد) فى الشمال وبغداد والبصرة فى الجنوب. ويرجع تاريخ حصن كيفا إلى القرن الثامن قبل الميلاد حيث كانت من المدن العسكرية التجارية التى يتنازع السيطرة عليها الفرس والرومان قبل أن يفتحها العرب وبعدها وقعت فى قبضة الرومان حتى القرن العاشر الميلادى حين استردها السلاجقة مرة أخرى. وكان أن استقدم أمير حصن كيفا عالمنا

وخرجت فرسانه لتحية عالمنا إلى أن استقبله الأمير عند باب قصره معانقاً ومصاحباً لحين حفل الاستقبال الفخيم الذى أقامه له الأمير. ومبالغة فى الحفاوة خصص له الأمير جناحاً فى قصره ليقيم فيه. وكان إسماعيل يدرى أن مُكثه فى حصن كيفا لن يدوم طويلاًفبدأ من فوره فى تدريب مهرة الصُنَّاع على إنتاج آلاته كما درب سابقيهم فى الجزيرة. وفى خلال العام الذى مكثه فى حصن كيفا انتشرت فى ميادين المدينة النوافير وصار نقل البضائع من المراكب إلى البر وبالعكس يتم عن طريق الروافع التى بناها عالمنا الجزرى.

وبعد أن ذاعت شهرة عالمنا لبَّى عام سبع وسبعين وخمسمائة هجرية (١٢٨٢م) دعوة أمير ديار بكر والتى كانت تسمى آمد أو قرة آمد كما يطلق عليها الأتراك، وهى بلدة تقع حالياً جنوب شرقى تركيا بإقليم كردستان ويرجع تاريخها إلى العصر الرومانى وبها قلعة شيدها الإمبراطور الرومانى قسطنطين تسمى ايج قلعة. وعند ديار بكر يصبح نهر دجلة صالحاً للملاحة. ومثلها مثل جزيرة ابن عمر التى ينتسب إليها الجزرى فتحها القائد العربى عِياضُ بن غُنْم الفِهرِىٍّ فى السنة التاسعة عشرة للهجرة (٦٤٠م). وبعد ثلاثمائة وثمان وعشرين سنة استرد الروم البيزنطيون المدينة من العرب ثم إستردها فيما بعد العرب لتبقى حتى وقتنا هذا مدينة عربية؟ استقر الجزرى فى ديار بكر وعمل مع أميرها نصير الدين بلا انقطاع لمدة خمس وعشرين سنة ملأ فيها أرجاء المدينة ببديع آلاته من ساعات وفوارات وآلات لرفع المياه من الآبار العميقة. وحوالى العام الرابع بعد الستمائة من الهجرة (١٢٠٧م) انطفأ شعاع من أشعة النور بعدما خلَّفَ لنا كتاب الهيئة والأشكال فى هندسة الموائع وهندسة الحركة مثل الساعات المائية وآلات رفع المياه وشارحاً فيه تقنيات إنتاج تلك الآلات التى أخذها من الأولين ومما أبدعه عقله وتفكيره؛ وكان بحق من أفضل ما أنجز العلم العربى المسلم فى علم الميكانيكا وتقنياتها. وتُرجم كتابه هذا فى ذات القرن الذى توفى فيه إلى اللغة اللاتينية ليلعب دوراً مهماً فى صناعة الآلات والأجهزة مما دفع الدوميلى وسارتون وهونكة إلى الإشادة بجهود عالمنا ابن الرزاز التى أنارت لنا طريقاً أبينا أن نسير فيه وسار فيه غيرنا! ويذكرنا الحديث عن الساعات بالساعة التى أهداها الخليفة العباسى الرشيد فى عام ١٩١ هـ (٨٠٧م) إلى القيصر الألمانى شارلمان والتى أفاضت الكثير من المراجع فى وصفها والإشادة بها. فالساعة وإلى أيامنا الآن تمثل تقنية متقدمة لا تتوفر للعديد من الدول. كما يذكرنا ذلك بجهود التقنى المصرى ستيسيبيوس الذى كان يعمل فى الإسكندرية حوالى عام ٢٥٠ ق.م. وقد كان هذا العالم السكندرى إبناً لحلاق وأراد الولد النابه أن يساعد والده عن طريق اختراع طريقة لرفع مرآة الحلاقة وإنزالها بطريقة ميكانيكية وكانت تلك أول اختراعاته التى جرت بعدها عدة اختراعات ومنها أول ساعة مائية.

ومن الجديد الذى نجده فى كتاب الجزرى مضخة تتكون من زنجير (جنزير) متصل به

مجموعة من الدلاء وتنتقل الحركة فيها عن طريق مجموعة من المسننات (التروس). ومن المفيد أن نشير (على ما نعلم) إلى أن أول وصف لنموذج منشأة مائية تستعمل الزنجير والدلاء والمسننات جاء عام ١٥٥٦م على يد العالم أجريكولا. كما نجد فى قسم الآلات المائية من نفس الكتاب وصفاً لتصميم مضخة يعتبرها المؤرخون الجد الأقرب للآلة البخارية، تتكون من ماسورتين متقابلتين فى كل منهما ذراع يحمل مكبساً أسطوانياً تكون إحداهما فى حالة ضغط حينما تكون الأخرى فى حالة سحب والعكس بالعكس. وتسمح المضخة بحركة المياه فى اتجاه واحد فقط من أسفل إلى أعلى. وتُمَكِّنُ مضخة الجزرى هذه من رفع المياه إلى مسافة عشرة أمتار وتدار بقوة الريح أو بواسطة حيوان يدور حولها.

ويتميز كتاب أبو العز الجزرى ذو الخمسين فصلاً بإقراره الدائم بأهمية من سبقوه من العلماء، يونانيين كانوا أم عربا، إضافة إلى تبيانه التطوير الذى أدخله إلى تلك الأعمال. لقد قدم لنا الجزرى عدداً من التقنيات والأفكار المبتكرة التى قام بتنفيذها عملياً. فالكتاب مع غيره من تراث المسلمين يثبت أن تقنيات الدقة كانت حرفة عربية، تفوق فيها العرب على أسلافهم من أمم الحضارات الأخرى إضافة إلى ما أضافوه من أعمال أصيلة. لقد تضمن كتاب الجزرى فى كل فصل إضافة إلى النص والرسوم تعليمات دقيقة مخصصة لصناعة تلك الآلات فى المستقبل وهو أمر مرده فى الغالب أن أبا العز كان عالماً حِرفياً قادراً على تصميم الآلات وصناعتها فى ذات الوقت. فكتاب الجزرى لهذا يُعَدُّ من أحسن المؤلفات الإسلامية التى وصلتنا فى مجال علم الحيل. لله دُرُّ هذا الجهد الذى أنار للعالم طريق التقدم التقنى.

كان العلم عند العرب صنعة الرجل العادى حتى قيل فى وصف الحضارة العربية أنها تحوى فقط عالماً أو متعلما، على عكس أوروبا التى كانت نسبة الأمية فيها تزيد على ٩٥٪ حتى القرن الثانى عشر الميلادى. فبينما كان الملك شارل الأكبر يجهد نفسه فى شيخوخته لتعلم القراءة والكتابة وبينما كان أمراء الغرب يعترفون بعجزهم عن القراءة أو الكتابة وبينما كان فى الأديرة من النادر بين الكهنة من يستطيع إمساك القلم لدرجة أنه لم يكن فى دير القديس جالينوس؛ على سبيل المثال؛ من الكهنة والرهبان من يستطيع الكتابة أو القراءة؛ كانت المدارس والكتاتيب سمة مميزة للعالم الإسلامى. كانت الدولة تهتم بالتعليم حتى صار التعليم للجميع واجبا ترعاه الدولة فى قرطبة والقاهرة وبغداد وسمرقند والزيتونة وجميع المدن والقرى العربية. وكم كان دقيقاً وصف المستشرقة الألمانية لشعبنا بأنه شعب يذهب إلى المدرسة. ولو كان اللفظ يقبل أن يقف عند الماضى وحده لكان أوقع وأدق تعبيرا، فالأمية التى سادت أوروبا منذ قرون أصبحت وللأسف سمة من سماتنا دون أن نحرك ساكناً؟!

لم ينشأ علم الحيل (الميكانيكا) كعلم عربى بل نشأ يونانياً ولكم برع اليونانيون فى ذلك العلم

ولكن فى شقه النظرى فقط وبالأخص فى المسائل الفلسفية المرتبطة بالمفاهيم الميكانيكية ومنها مسألة الحركة ولكنهم كانوا دون ذلك بكثير فى ميدان التطبيق العملى حتى أن من يحقق منهم إنجازا فى الميدان العملى كان يشعر بالخجل. ولقد أفاض الباحثون فى ذلك وأرجعوه إلى عدة أسباب وفى مقدمتها تقسيم المجتمع إلى طبقات. ولعل نظرتهم إلى ذلك مردها أن العمل اليدوى والتنفيذى كان من شيم العبيد لا النبلاء. وأظن القليلين منا من يعرفون كيف سخط أفلاطون على أرخيتاس لأنه قام بتجارب فى علم الميكانيكا، رغم أن أرخيتاس الصقلى كانت له إنجازات مهمة فى علم الميكانيكا. وعلى النقيض من ذلك كان تكامل نظرة العرب إلى العلم النظرى والتطبيقى دافعاً لأن يصبح علم الميكانيكا التطبيقى من العلوم التى برع فيها المسلمون نظرياً وعملياً،

أيمكننا أن نؤيد من يقول إن العرب أمة عملية قبل أن تكون أمة شاعرة، وأن إنتاجها العقلى العلمى والتطبيقى يفوق كثيرا إنتاجها الأدبى؟ ألا يكون وعينا بهذه الحقيقة حافزاً لنا للتعجيل بنهضة علمية عربية عمادها الاعتزاز والثقة بالنفس (عن حق ووعى) وبقدرتنا الكامنة التى لا نكاد نشعر بها؟ ألا يجبرنا تاريخنا حين كان العلم صناعة عربية أن يكونَ حاضرنا صنواً لماضينا؟ ألا يجبرنا أساطين علمائنا الأقدمين الذين ملأت شهرتهم الآفاق أن نبحر فى بحور العلم؟ وأرانى متذكراً بعضاً من شعر أحمد شوقى يصف فيها أسباب العظمة:

وتؤخذ من شفاه الجاهلينا ... وليس الخلد مرتبة تلقى

إذا ذهبت مصادرها بقينا ... ولكن منتهى هممٍ كبار

فينتظم الصنائع والفنونا ... وسر العبقرية حين سرى

إلى التاريخ خير الحاكمينا ... وآثار الرجال إذا تناهت

وتركك فى مسامعها طنينا ... وأخذك من فم الدنيا ثناءً

المراجع:

١ ـ أحمد عبد الرازق أحمد؛ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية)؛ دار الفكر العربى؛ القاهرة؛ ١٩٩٧م.

٢ ـ أحمد فؤاد باشا؛ أساسيات العلوم المعاصرة فى التراث الإسلامى؛ دار الهداية؛ القاهرة؛ ١٩٩٧م.

٣ ـ رشدى راشد (المشرف)؛ موسوعة تاريخ العلوم العربية، الجزء الثالث؛ مركز دراسات الوحدة العربية؛ بيروت؛ ١٩٩٧م.

٤ ـ زيغريد هونكة؛ شمس العرب تسطع على الغرب «أثر الحضارة العربية فى أوروبا»؛ ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى؛ دار الآفاق الجديدة؛ بيروت؛ ١٩٨٦م.

٥ ـ سليمان فياض؛ ابن الرزاز أبو علم الحيل الميكانيكية؛ سلسلة علماء العرب، العدد الخامس والعشرين؛ مركز الأهرام للترجمة والنشر القاهرة؛ ١٩٩٥م.

٦ ـ محمد عبد الرحمن مرحبا؛ الجامع فى تاريخ العلوم عند العرب؛ منشورات عويدات؛ بيروت؛ ١٩٨٨م.

٧ ـ نايف معروف؛ قواعد النحو الوظيفى؛ دار بيروت المحروسة؛ بيروت؛ ١٩٩٤م.

الذوق الإسلامى

كلمة الذوق وإن كانت ترادف الأدب أو الإحساس بالشىء. إلا أن الناس قد اصطلحوا على أن يطلقوها على ماهو أسمى من الأدب، وأرقى من الإحساس والشعور، وذاق الشىء أو تذوقه بمعنى أدرك ما فيه من حلاوة أو مرارة، ومن ذاك قولهم من ذاق عرف. لأن الذوق فى الإنسان حاسة من حواسه الخمس. التى هى سبيل إلى المعرفة. ووسيلة من وسائل الإدراك. ولكنهم مع ذلك كله اتفقوا على ألا يطلقوا كلمة الذوق على مطلق الإدراك لما يكون فى الأشياء من حلاوة وملوحة. وعذوبة وبرودة. وحرارة وحرافة. إنما يطلقونها على نوع خاص من الإدراك ومعنى بعينه من المعرفة. وكأن هذا الذوق عندهم أشبه بالملكة الراسخة فى النفس التى لابد منها للعلم.

د. إبراهيم على أبو الخشب

والباحث فى علوم البلاغة - مثلا - إن لم يكن ذا ملكة تعينه على التأليف وتساعده على النقد، وتسعفه عند الحاجة. لا يكون علمه إلا جهلا، ولا أسلوبه إلا مفككا. ولا بيانه إلا عبًا، ولا لفظه إلا منحوتا من صخر، وإذا كانت الملكة من العلم روحه الحية، أو نبضه الجياش، وخلاصته الصحيحة، فإن الذوق من الخلق القويم. أو الأدب العالى. وروحه الممتازة. وخلاصته المنتقاة. والملكة العلمية إن كانت نتيجة المزاولة الكثيرة. والقراءة الواعية. والتحصيل المستمر. والاطلاع الواسع. فإن نتيجتها المحتومة لا تعدو أن تكون هى النقد الفاحص. والإدراك الحقيقى لما فى الفضائل من الحلاوة ولما فى الرذائل من المرارة. وآخر مراحله تلك اللباقة التى تجعل أصحابها فى القمة من الأدب. ومكارم الأخلاق. والمرحلة الأخيرة من الذوق التى عنينا بها اللباقة التى تجعل أصحابها فى القمة من الأدب ومكارم الأخلاق. موهبة إلهية لا تتوقف على علم. ولا تكون عدوى وجدانية من بيئة طيبة. ووسط نقى. أو مجتمع سليم من الأمراض والعلل. ولذلك نراها فيمن لم يأخذوا بنصيب من العلم أو المعرفة. وعند قوم انحدروا من بيئات خالية من الدراسة، وربما كان هذا تحقيقا لما يقوله القائلون «والذوق شىء ليس فى الكتب» وللشريعة الإسلامية فى آدابها الملتزمة. وتكاليفها المرعية. القدح المعلى

فى الذوق. لأنها لا تأمر بشىء. أو تنهى عن سلوك. إلا وهى فى ذلك ملاحظة للأدب فى أجلى صوره. وللباقة فى أبدع ألوانها. وللطباع السليمة فى أجمل أشكالها. ولا يستطيع عقل مهما انحرف. ولا رأى مهما أسف. ولا تفكير مهما التوى أن يشك أنها فى صيانتها للأعراض وحياطتها للأنساب. كانت تخالف الفطرة السليمة. أو تخرج عن حد المألوف. وذلك شأن الجبلة الأولى التى عاش الناس بها فى أظلم عصور التاريخ، ولم يعرف أن البشرية فى وقت من الأوقات أغضت عن منكر ينال عرضها. أو يخدش كرامتها. وهكذا إذا بحثنا الأحكام. وتتبعنا التكاليف والقرآن الذى وافانا بهذه الأحكام. وجاءنا بتلك الواجبات سجل الله للناس فيه الأدب فى أجلى صوره. وأروع أشكاله. وألفاظه التى يختارها. وتأليفه الذى يأخذ به. نمط من البيان العربى. لم يسبق لدهاقين اللغة العربية أن عرفته، والنبى ﷺ لم يكن له شأن بالرسالة أكثر من التبليغ، وإذا انتصر على عدوه فمن الله النصر والظفر. «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» ومع هذا يأبى اللفظ القرآنى إلا أن يجعله هو ﷺ كل شىء، فيضفى عليه ذلك الثوب، الذى يجعله هو القوة التى ترد العدوان. وتصد الطغيان، وذلك فى قوله ﴿**لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا**﴾ سورة الأحزاب: آية ٦٠. والشاهد من الآية الكريمة مأخوذ من لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا. وأنت تجد فى ذلك من الاعتداد به، والاعتماد عليه الشىء الذى لا يكون إلا من الأدب العالى. والذوق الناضج. والإحساس المرهف والخلق الكريم. والذى له مافى السموات ومافى الأرض. وهو الغنى الحميد. ويشبه هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ سورة النساء: آية ٦٥. وقد تضمنت كثيرا من الفضل الذى يخلعه على حبيبه ومصطفاه ابتداء من تحكيمهم إياه - ولا حكم إلا لله - ونزولهم على هذا الحكم نزولا ينبئ عن الرضا والقبول، والرغبة والارتياح والخضوع والتسليم. التابعين من هذا المبدأ «من يطع الرسول فقد أطاع الله» ولقد كان هذا البيان الإلهى والأدب القرآنى أستاذا تعلم منه المسلمون أروع معانى السلوك. وأحسن مقاييس الذوق ومجانبة التطفل والبعد عن الفضول. وتناولهم ماليس لهم بحق. إذ يقول الله تعالى ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم**﴾ سورة النور: آية ٢٧ و٢٨. والمسلم يجد فى أمثال هذه الصور اليانعة والدلائل الناصعة. دليلا واضحا على أن هذا الدين فيه الأمثلة للذوق والأدب. ومكارم الأخلاق التى لم تكن فى آداب الأمم ولا فى سلوكهم. ومثل هذا الأسلوب الرقيق والحديث المهذب. كان أستاذا للمسلمين. أخذوا عنه الأدب والأخلاق. فإذا ثارت ثورة عارمة. وكانت غاضبة ظالمة. تأسوا بالأدب القرآنى الذى

يقول **﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾** سورة سبأ: آية ٢٤. فهدأت حدة الخصومة. وذهب شيطان الغضب. وعادت الأمور إلى مجاريها من الود والحب والرضا والاطمئنان ولولا أنه ﷺ يأخذ نفسه بهذا الأدب. ويقوم طباعه بهذا الأسلوب لما كان هو فى ذاته معجزة الزمن. ولا كتاب الأخلاق. ولا معدن الذوق. ولا نادرة التاريخ. وتقرأ لكتابه الذى يمنح منه هذا الأدب. ويأخذ منه ذلك البيان. ويتأسى فيه بهذا الذوق. قول الله جل وعلا **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾** سورة البقرة: آية ٢٢٣. وهو ينهى الرجل أن يأتى زوجته من الخلف. أو فى زمن الحيض. والمقام شائك والمتحدث يصيبه الحصر والارتباك، ويخونه التعبير المؤدب. واللفظ المهذب، إلا أنه يمس الموضوع مسا رقيقا. ويتناوله تناولا لطيفا. وهو يقول نساؤكم متفاديا كلمة زوجاتكم. وكثير من الناس يخجل من كلمة زوجة أو امرأة، وكلمة «حرث» فى الأصل تدل على الكسب أو المال أو الزرع. والأرض التى يلقى فيها البذر لابد أن تكون صالحة لإنباته، والإنبات لابد له من تعهد خاص. كما يفهمه الخبيرون فى ذلك. وكل هذا تلويح للرجل ألا يأتى امرأته فى الدبر. ولا فى زمن الحيض. وفى قوله «حرث لكم» مع الإشارة إلى ما تقدم نشير إلى أن الهدف من الزواج ليس هو الشهوة وإنما الهدف هو النسل. الذى يباهى به النبى الأمم يوم القيامة. وهكذا ترى اللفظ القرآنى يرتفع إلى القمة. وبلاغته تسمو إلى الذروة. وكنايته تحلق فى سماء الشعراء. وأجواء الفلاسفة ولو أننا رحنا نتقصى ما احتواه من الشواهد لذلك كله ونعرض عليك أمثلته لطال بنا المدى. ولكننا نجر خيالك إليه وهو يصعد فى السماء. أو يمشى فى الأرض. أو يقص أنباء السابقين، وعبر المتقدمين. وحين يحدثك عن طبائع النفوس، وعجائب قدرة الله الذى أحسن كل شىء خلقه، وإذا كان للمنطق برهانه وحجته. ودليله وإقناعه، وكذلك الشعر الذى يخلو من القضايا المسلمة. والأقيسة الصحيحة، والموازين الدقيقة، منعته التى يسوقها للخاطر. ويجلبها للنفس. ويسعف بها الفؤاد فيفيضها على الشعور بسبب ذلك الجو الفسيح الذى يخلقه له. والفضاء الواسع الذى يحيطه به، وأنت ترى القرآن الكريم يسلك بك هذا المنهج. ويعيش بك فى هذا الجو. فى مثل قوله **﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾** سورة الأنعام: آية ١٤١. وقوله كذلك **﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار﴾** سورة المؤمنون: آية ٧٨. **﴿هو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون﴾** سورة الملك: آية ٢٤. **﴿وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾** سورة المؤمنون: آية ٨٠ **﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾** سورة المؤمنون: آية ٨٤. فإنه ينتقل بك من نعمة إلى نعمة. ومن دليل إلى دليل. ومن جو إلى جو، ومن مجال القدرة المبدعة إلى مجال سلطانه المتمكن. وأنت مع ذلك لا تدرى إن كنت تمتع خواطرك.. وتروى ناظرك وتشبع يقينك. أم تطير بك الأحلام وتسبح بك الأوهام وهكذا كان هذا الكتاب أستاذا للمسلم يعلمه الذوق ويلهمه البيان ويؤكد فى نفسه اليقين بالله الذى له مافى السموات ومافى الأرض.

الدعوة والدعاة

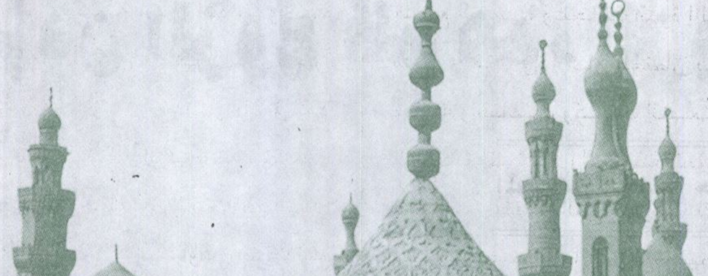

- سفر الأزواج بين الإذن والمنع
- التربية عند الصحابة
- بين ألفيتين
- مصطفى صادق الرافعي يواجه الغارة على الإسلام

سفر الأزواج بين الإذن والمنع

الأصل: المنع للزوجة من السفر إلا بإذن الزوج فلم هذه الزوبعة؟

المستشار/ حسن حسن منصور

السفر فى اللغة من الفعل الثلاثى سفر بمعنى قطع المسافة، وفى الشرع هو قطع مسافة معينة فى طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، فمن قطع أية مسافة فى معصية لا يعتبر مسافراً شرعاً فلا يستفيد من الرخص الممنوحة للمسافر مثل قصر الصلاة الرباعية والفطر فى الصوم وغير ذلك، والأزواج جمع. مفردها زوج وهو خلاف الفرد والزوج يطلق على الرجل والمرأة إذا تزوجا، لأنه فى اللغة كل شيئين اقترن أحدهما بالآخر فهما زوجان. وأحكام سفر الأزواج تتطلب البيان التالى:

أولا: الأصل العام فى هذا السفر:

يختلف هذا الأصل بالنسبة للزوجين كالآتى:

أ - بالنسبة للزوج هذا الأصل: هو السماح أى أن للزوج حرية السفر دون قيد أو شرط، لما تفرضه عليه طبيعة تكوينه ومهمته فى الحياة الدنيا من السعى فى مناكب الأرض لتحصيل الرزق وأسبابه والجهاد فى سبيل الله. ولا يرد على هذا الأصل أى استثناء إلا إذا ارتكب هذا الزوج فعلا إجراميا على درجة معينة من الخطورة، فيكون لسلطة التحقيق منعه من السفر مراعاة لمقتضيات صالح التحقيق فى هذا الجرم وصولا إلى حماية المصلحة العليا للمجتمع.

ب - بالنسبة للزوجة هذا الأصل هو المنع من السفر والاستثناء هو السماح به بإذن الزوج أو من يقوم مقامه، وذلك على التفصيل الآتى:

١ - الأساس فى منع الزوجة من السفر هو الالتزام الناشئ عن عقد الزواج الذى يفرض عليها واجب الطاعة للزوج، والذى ذكره فقهاء الشريعة

نفقة الزوجة واجبة على الزوج إلا إذا خالفت وعصت

الغراء على أنه حق للزوج فى احتباس زوجته فى مقابل التزامه بالإنفاق عليها، أو كما يقول الكاسانى من علماء الحنفية: إن المرأة محبوسة بحبس النكاح حقاً للزوج، ممنوعة من الاكتساب بحقه، فكان نفع حبسها عائدا إليه فكانت كفايتها عليه لقوله ﷺ: **«الخراج بالضمان»** ولأنها إذا كانت محبوسة بحبسه ممنوعة من الخروج للكسب بحقه فلو لم تكن كفايتها عليه لهلكت.

(بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع جـ٤ ص١٦).

٢ ـ أجاز الفقهاء الخروج على هذا المنع وقالوا بالسماح للزوجة بالسفر بإذن الزوج أو من يقوم مقامه فقال الحنفية: إن للزوج أن يمنع زوجته من الغزل وكل عمل ولو قابلة أو مُغسلة فإن عصته وخرجت بلا إذنه كانت ناشزة مادامت خارجة (حاشية ابن عابدين جـ٢ ص٧٠٢).

وقال المالكية: إن نفقة الزوجة تسقط إذا خرجت من محل طاعته بلا إذن ولم يقدر على ردها بنفسه أو رسوله أو حاكم منصف أو إذا كانت ظالمة فى هذا الخروج (حاشية الدسوقى على شرح الدردير جـ٢ ص٥٠٨).

وقال الشافعية: إن الخروج من البيت الذى رضى الزوج بإقامة زوجته فيه ولو بيتها أو بيت أبيها بلا إذن منه ولا ظُن رضاه بذلك هو نشوز (الإقناع على متن أبى شجاع جـ٧ ص١٩٥).

وقال الحنابلة: «وللزوج منع زوجته من الخروج من منزله إلى ما يمكن الاستغناء عنه ولو لزيارة الوالدين أو عيادتهما أو حضور جنازة أحدهما، ولا يجوز لها الخروج إلا بإذنه، وإن كانت مسلمة له منعها الخروج إلى المسجد (المغنى لابن قدامة المقدسى جـ٧ ص٥٩٧).

وقال الشيعة الزيدية: «تسقط نفقة المرأة بالإحرام بغير إذنه وللزوج منعها من صوم التطوع فإن صامت بعد منعه كانت ناشزة وإن لم تخرج من المنزل» (البحر الزخار جـ٣ ص٢٧٣).

٣ ـ وهذا الذى أجازه الفقهاء يستند إلى ما منحه الله تعالى للرجال من حق القوامة على النساء بمقتضى قوله الحكيم: **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾** النساء: آية ٣٤.

وقد أورد الحافظ ابن كثير فى تفسيره ما رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن الرجال قوامون على النساء يعنى أنهم أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها به من طاعته.

٤ ـ ومسافة السفر بالنسبة للزوجة تختلف عن مسافة الأعذار الشرعية، فإذا كانت هذه الأخيرة قدرها الفقهاء بما يعادل حاليًا فى حوالى خمسة وثمانين كيلو مترا فإن المسافة الأولى قدرها الفقهاء بما يعادل سفر نصف يوم أخذا من قول رسول الله ﷺ **«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليال إلا ومعها محرم»**، وفى رواية أبى داود **«ولا تسافر بريدا، والبريد**

إذا سافرت الزوجة بغير إذن زوجها فماذا يتبقى له من القوامة؟؟

مسيرة نصف يوم»، ويرى الإمام النووى أنه لا حد أدنى لهذه المسافة لرواية ابن عباس المطلقة لهذا الحديث: «**لا تسافر امرأة..**» وهذا يتناول جميع ما يسمى سفرا (صحيح مسلم بشرح النووى جـ٨ ص١٠٢ وما بعدها).

٥ ـ اجتمعت كلمة الفقهاء على ضرورة إذن الزوج لسفر زوجته، ورتبوا على هذا نتيجة واحدة هى أن الزوجة التى تسافر بدون هذا الإذن تكون ناشزاً وبالتالى تسقط نفقتها التى يلتزم بها الزوج.

ثانيا: تقنين سفر الأزواج

أراد المشرع علاج بعض المشكلات الناجمة عن سفر الأزواج سواء بالنسبة لهم أو بالنسبة للأولاد، فتضمن مشروع قانون إجراءات التقاضى فى مسائل الأحوال الشخصية نص المادة ٢٦ منه الذى يقرر بأنه: «**يختص قاضى الأمور الوقتية بالمحكمة الابتدائية دون غيره بإصدار أمر على عريضة بمنع الزوجة أو الأولاد القصر من السفر أو من استخراج جواز سفر بحسب الأحوال ـ إذا ما ثار نزاع فى هذا الشأن، ويختص كذلك بإصدار أمر على عريضة بمنع الزوج من السفر إذا امتنع عن سداد النفقة المحكوم بها عليه، أو تبين أن سفره من شأنه أن يؤدى إلى إخلاله بالتزاماته نحو رعاية أسرته، ويصدر القاضى أمره بالمنع من السفر لمدة محددة قابلة للتجديد، وذلك بعد سماع أقوال ذوى الشأن، وله فى جميع الأحوال أن يرفض الطلب إذا كان مقدمه قد أساء استعمال حقه فى طلب منع السفر، وينتهى مفعول الأمر تلقائيا بالتنازل عنه فى أى وقت، ويجوز للقاضى أن يأذن بالسفر قبل انتهاء مدة المنع إذا زالت الأسباب التى بنى عليها الأمر بالمنع، ويجب أن يكون الأمر مسببا وتقتصر حجيته على الأسباب التى بنى عليها**».

وهذا النص يثير العديد من الملاحظات تحتاج إلى مزيد من البيان نعرضها على النحو التالى:

أ ـ هذا النص سوى بين الزوج وكل من الزوجة والأولاد القصر فى المنع من السفر وأسنده فى كل الأحوال لقاضى الأمور الوقتية، رغم اختلاف المصدر المنشىء لحق القاضى فى هذا المنع بالنسبة لكل منهم، فإذا كان مصدر هذا الحق بالنسبة للزوج هو نص القانون الذى جعل من امتناع الزوج عن سداد النفقة المحكوم بها عليه أو إخلاله بالتزاماته نحو أسرته مبررا لمنعه من السفر، فإن مصدر هذا الحق بالنسبة للزوجة والأولاد القصر هو سلطة ولى الأمر فى تخصيص القضاء، وذلك يجعل القاضى وهو نائبا عنه يحل محل صاحب الحق إذا تعنت فى استعمال هذا الحق، ولما كان الزوج هو صاحب الحق فى الإذن للزوجة والأولاد القصر بالسفر فإذا رفض منح

هذا الإذن فيكون لأى منهم الحق فى اللجوء إلى القاضى وإثبات تعنت الزوج فى هذا الرفض، وعندئذ يحل القاضى محله فى منح هذا الإذن، أما أن يجعل هذا النص «المنع من السفر» فى كل الأحوال بيد القاضى بما مؤداه أن الأصل فى السفر هو من حق الزوجة والأولاد القصر والاستثناء هو أن يلجأ الزوج إلى القاضى يطلب منع أى منهم من السفر وفى هذا إخلال واضح بالحقوق والالتزامات الناشئة عن عقد الزواج وحق الوالد فى الولاية على أولاده القصر، بما يؤثر سلبيا على الروابط الأسرية والعلاقات الاجتماعية بصفة عامة.

ب ـ قصر النص الاختصاص بإصدار أمر المنع من السفر على قاضى الأمور الوقتية بالمحكمة الابتدائية دون غيره، ولما كان إصدار هذا الأمر يحتاج إلى تحقيق بسماع أقوال ذوى الشأن وغير ذلك من اجراءات قد لا يسمح بها نظام قاضى الأمور الوقتية، فإننا نرى أن يكون هذا الاختصاص للنيابة العامة وهى الآن خصم أصيل فى دعاوى الأحوال الشخصية وقد وسع مشروع قانون الاجراءات فى مسائل الأحوال الشخصية من الاختصاصات الممنوحة لها فى مسائل الولاية على النفس والولاية على المال، ولديها من إمكانيات التحقيق ما يساعد على سرعة الفصل فى طلبات المنع من السفر وتنفيذها، ولاسيما وأنها مختصة أصلا بالمنع من السفر بالنسبة للمتهمين فى بعض الجرائم الجنائية التى تباشر التحقيق فيها. وإذا كانت هناك دعاوى متعلقة بإحدى مسائل الأحوال الشخصية فيجوز للخصوم فيها تقديم طلب المنع من السفر أو الإذن به للمحكمة التى تنظر الموضوع فى هذه المسألة وتكون هى الأقدر على تقدير مبررات السفر أو منعه.

جـ ـ أضاف هذا النص جزءا آخر على الزوج الذى يمتنع عن سداد النفقة المحكوم بها عليه، ولم يكتف بعقوبة الحبس التى يقررها نص المادة ٧٧ من مشروع قانون الاجراءات فى مسائل الأحوال الشخصية التى لا تقل عن ثلاثة أشهر ولا تزيد على ستة أشهر، بالإضافة إلى التنفيذ بالطرق العادية الأخرى بدين النفقة.

د ـ أتى هذا النص بسبب فضفاض يمكن الاستناد إليه لمنع الزوج من السفر وذلك إذا تبين أن سفره من شأنه أن يؤدى إلى إخلاله بالتزاماته نحو رعاية أسرته وكأن المشرع يتلمس أى سبب لمنع الزوج من السفر تحت مظلة رعاية الأسرة، وهذا ليس بالأمر المقبول دائما فى الحياة الزوجية التى أساسها المودة والرحمة، ولاسيما وأن بعض الجرائم الأكثر خطورة على المجتمع كالقتل العمد لا يوجب القانون منع مرتكبها من السفر.

إننا نرى حذف الفقرة الخاصة بأسباب منع الزوج من السفر اكتفاء بعقوبة الحبس فى حالة عدم سداده للنفقة المحكوم بها عليه وترك تقدير مبررات المنع من السفر للقاضى المختص أو النيابة العامة حسب الأحوال.

إن مسألة سفر الأزواج والأولاد القصر من الأمور وثيقة الصلة بكيان الأسرة واستقرار المجتمع، ويجب أن يكون المرجع الأول فيها للأسس التى تحكم هذا الكيان وهى عقد الزواج والحق فى الولاية على النفس والمال فى إطار التوازن بين الحقوق والواجبات تحت رقابة ولى الأمر متمثلا فى القاضى.

التربية عند الصحابة

تحدث الكتاب العزيز عن الصحابة رضوان الله عليهم فى مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (المائدة ٥٤)

أ.د / مصطفى رجب

وقد روى الحاكم فى المستدرك أن رسول الله ﷺ عندما نزلت عليه هذه الآية أشار إلى أبى موسى الأشعرى وقال (هم قوم هذا) كما تحدث القرآن عن بعض القبائل التى أظهرت تمسكها بالدين وحبها لرسول الله ﷺ مثل جهينة ومزينة. فيما روى الإمامان الجليلان الجلالان السيوطى والمحلى. اللتين نزل فيهما قول الله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِى رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة / ٩٩).

إلا أن هناك آيتين امتازتا بأنهما تناولتا بصورة مباشرة أوصاف صحابة رسول الله ﷺ وجزاءهم ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى، وعلى هاتين الآيتين وما آزرهما من أحاديث شريفة بنى العلماء أحكامهم الخاصة بالتعامل مع الصحابة، وما ينبغى من التأدب عند ذكرهم.

أما أولاهما فهى قوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة / ١٠٠).

والثانية قوله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿الفتح/٢٩﴾

هاتان الآيتان هما الأصل فيما ينبغى على المسلم من التأدب مع الصحابة جميعا فإن الله سبحانه وتعالى اختارهم لصحبة نبيه ونقل رسالته لمن بعدهم من الأجيال المسلمة، وإلحاق العيب أو النقص بهم فيه غمز فى الشريعة عموماً لأنهم كانوا وسيلة نقلها.

وقد دأبت فرق ضالة على الطعن فى كبار الصحابة الذين تواترت الأخبار بتعظيم مكانتهم وتقدير الرسول الكريم ﷺ لمواقفهم معه. روى الإمام البغوى رحمه الله فى تفسيره (معالم الترتيل - ج ٥،

ص ١٩١) عن عبدالرحمن بن عوف ﷺ أن النبى ﷺ قال : « أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى فى الجنة، وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد ابن أبى وقاص فى الجنة، وسعيد بن زيد وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة» وروى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال : «أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأفرضهم - أى أعلمهم بالفرائض وهى المواريث - زيد ابن ثابت، وأقرؤهم أُبَىّ بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». وعن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال : «اقتدوا بالذين من بعدى أصحابى: أبى بكر وعمر، واهتدوا بهدى عمَّار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد». وعن الأعمش عن عدى ابن ثابت عن زر بن حبيش عن على بن أبى طالب ﷺ قال : «عهد إلىَّ الرسول ﷺ أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

من هو خباب بن الأرت؟:

ولقد كان خباب بن الأرت نموذجا لفئة من الصحابة تميزت بالصبر والمصابرة منذ أسلمت، وهو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمى، أبو يحيى أو أبوعبد الله كان من السابقين إلى الإسلام فقد قيل إنه أسلم سادس ستة من المسلمين الأوائل، وهو أول من أظهر إسلامه، كان فى الجاهلية قينا يعمل السيوف بمكة، ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر، إلى أن كانت الهجرة، ثم شهد المشاهد كلها، ونزل بالكوفة فمات فيها وهو ابن ٧٣ سنة، ولما رجع علىٌّ من صفين مر بقبره، فقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا.

وكان خباب واحدا من الفقراء الذين أحاطوا بالنبى ﷺ فى أول الدعوة وكان فقرهم يبدو فى مظهرهم وملابسهم فكان بعض الأغنياء والوجهاء من الذين أسلموا - وكان يسمون بالمؤلفة قلوبهم - يستنكفون أن يجالسوا هؤلاء الفقراء أمثال خباب وعمار بن ياسر وصهيب الرومى وبلال بن رباح فقد روى أبو نعيم فى الحلية (ج١، ص ١٤٦) عن خباب ابن الأرت ﷺ قال : جاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى فوجدا النبى ﷺ قاعدا مع عمار وصهيب وبلال وخباب بن الأرت ﷺ فى أناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حقروهم، فخلوا به، فقالوا: إن وفود العرب تأتيك فنستحى أن يرانا العرب قعودا مع هذه الأعبد، فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: «نعم»، قالوا : فاكتب لنا عليك كتابا، فدعا بالصحيفة ودعا عليا ﷺ ليكتب - ونحن قعود فى ناحية - إذ نزل جبريل عليه السلام فقال : ﴿**وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣) وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا**﴾ الأنعام/ ٥٢ - ٥٤)، فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة ودعانا فأتيناه وهو يقول «سلام عليكم» فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تعالى ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**﴾ الكهف ٢٨) قال فكنا بعد ذلك نقعد مع النبى ﷺ، فإذا بلغنا الساعة التى كان يقوم فيها قمنا وتركناه وإلا صبر أبداً حتى نقوم . وقد أخرجه أبو نعيم أيضاً فى الحلية (١ - ٣٤٥) عن سلمان ﷺ . قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا : يارسول الله، إنك لو جلست فى صدر المسجد ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم (أرواح جمع رائحة، جباب جمع جبة أى رائحة ثيابهم) - يعنون أبا ذر وسلمان رضى الله عنهما - وفقراء المسلمين، وكان عليهم جباب الصوف لم يكن عندهم غيرها - جلسنا إليك وخالصناك. وأخذنا عنك، فأنزل الله عز وجل: **وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن**

﴿كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا (٢٧) واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ حتى بلغ ﴿نارا أحاط بهم سرادقها﴾ الكهف (٢٧ - ٢٩) يتهددهم بالنار، فقام نبى الله يلتمس حتى أصابهم فى مؤر المسجد يذكرون الله، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى، معكم المحيا ومعكم الممات.

زهـــده:

كان خباب بن الأرت رضي الله عنه زاهدا فى متاع الدنيا الزائف، برغم أن هذا المتاع لم يكن فى عهد الصحابة رضى الله عنهم يبلغ معشار ما فى بيوت فقراء المسلمين فى عصرنا الحاضر، وكان من زهد خباب أنه كان يرى أن ملكية بيت ترف واستمتاع بالحياة وتمسك بها لا يليق بأصحاب محمد ﷺ، كما لا يليق بمن يرجو لقاءه ﷺ فى الآخرة، فقد أخرج البخارى بسنده عن الأعمش عن أبى وائل عن خباب قال هاجرنا مع رسول الله ﷺ وحدثنا مسدد حدثنا يحيى عن الأعمش قال سمعت شقيق بن سلمة قال حدثنا خباب قال هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغى وجه الله ووجب أجرنا على الله فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم نجد شيئا نكفنه فيه إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه فإذا غطينا رجليه خرج رأسه فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطى رأسه بها ونجعل على رجليه من إذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها.

وقد أخرج أبو يعلى والطبرانى بإسناد جيد عن يحيى بن جعدة قال: عاد خباباً رضي الله عنه فى مرضه ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: أبشر يا أبا عبدالله، ترد على محمد ﷺ الحوض، فقال: كيف بهذا؟ وأشار إلى أعلى البيت وأسفله، وقد قال رسول الله ﷺ: «إنما يكفى أحدكم كزاد الراكب». أى أنه رضي الله عنه كان يستكثر على نفسه أن يمتلك بيتاً.

وروى أبو نعيم فى الحلية (١. ١٤٤) عن حارثة بن مضرب، قال: دخلنا على خباب وقد اكتوى فى بطنه سبع كيات، فقال لولا أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنين أحدكم الموت»، لتمنيتُه، فقال بعضهم: أذكر صحبة النبى ﷺ والقدوم عليه، فقال: قد خشيت أن يُبقىَّ ما عندى القدوم عليه، هذه أربعون ألف درهم فى البيت.

مواقفه مع الكفار:

روت كتب السيرة بعض جهاد خباب رضي الله عنه مع المشركين قبل هجرته وكيف عذبوه بالنار فأثرت فى جلده حتى كان ظهره يظهر كما لو كان أبرص من آثار الحرق، فقد أخرج ابن سعد فى طبقاته (١١٧/٣) عن الشعبى قال: دخل خباب بن الأرت رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجلسه على متكئه فقال: ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد. قال له خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال فقال خباب: ما هو بأحق منى، إن بلالاً كان له فى المشركين من يمنعه الله به ولم يكن لى أحد يمنعنى فلقد رأيتنى يوماً أخذونى فأوقدوا لى ناراً ثم سلقونى فيها، ثم وضع رجل رجله على صدرى فما اتقيت الأرض - أو قال: برد الأرض - إلا بظهرى، قال: ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص.

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده عن خباب رضي الله عنه قال: كنت رجلا قيناً وكان لى على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه (أى أطالبه بما لى عنده من دين). فقال: لا، والله، لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت: لا، والله، لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث. قال: فإنى إذا مت ثم بعثت جئتنى ولى ثم مال وولد فأعطيك. فأنزل الله تعالى ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ إلى قوله ﴿ويأتينا فردا﴾ (مريم ٧٧-٨٠).

مروياته:

ذكر الزركلى فى ترجمته لخباب رضي الله عنه فى كتابه الشهير «الإعلام» أن له اثنين وثلاثين حديثا فى البخارى ومسلم، وهناك من ذكر أن مرويات خباب ابن الأرت رضي الله عنه فى البخارى وحده تبلغ تسعة وثلاثين حديثاً متصلة الأسانيد بالإضافة إلى ستة أحاديث

بها سقط فى السند، وقد روى له الإمام مسلم ستة وعشرين حديثاً فى صحيحه، وروى له الترمذى فى سننه سبعة أحاديث، وروى له النسائى ثمانية أحاديث، وابن ماجة فى سننه سبعة أحاديث، وروى له الإمام أحمد فى مسنده خمسة وثلاثين حديثاً متصلة الأسانيد وأربعة أحاديث بها سقط فى السند.

نماذج من مروياته:

(أ) من صحيح البخارى ـ كتاب المناقب ـ حديث رقم ٣٣٤٣ حدثنى محمد بن المثنى حدثنا يحيى عن اسماعيل حدثنا قيس عن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون.

(ب) من صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ حديث رقم ٩٨١ حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم عن أبى اسحق عن سعيد بن وهب عن خباب قال شكونا إلى رسول الله ﷺ الصلاة فى الرمضاء فلم يشكنا. (الرمضاء: الرمل الذى اشتد حر الشمس عليه، فلم يشكنا : أى لم يسمع أو لم يستجب لشكوانا).

(جـ) من سنن الترمذى ـ كتاب الفتن ـ حديث رقم ٢١٠١ حدثنا محمد بن بشار حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى قال سمعت النعمان بن راشد يحدث عن الزهرى عن عبدالله بن الحارث عن عبدالله بن خباب بن الأرت عن أبيه قال صلى رسول الله ﷺ صلاة فأطالها قالوا يارسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال أجل إنها صلاة رغبة ورهبة إنى سألت الله فيها ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألته أن لايهلك أمتى بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لايذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب.

(د) من سنن أبى داود ـ كتاب الصلاة ـ حديث رقم ٦٧٨ حدثنا مسدد حدثنا عبدالواحد بن زياد عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبى معمر قال قلنا لخباب هل كان رسول الله ﷺ يقرأ فى الظهر والعصر قال نعم قلنا: بما كنتم تعرفون ذاك؟ قال : باضطراب لحيته.

(هـ) سنن ابن ماجه ـ كتاب الأشربة ـ حديث رقم ٣٣٦٣ حدثنا العباس بن عثمان الدمشقى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا منير بن الزبير أنه سمع عبادة بن نُسَىٍّ يقول سمعت خباباً بن الأرت عن رسول الله ﷺ أنه قال إياك والخمر فإن خطيئتها تفرع الخطايا كما أن شجرتها تفرع الشجر.

(و) من مسند أحمد ـ مسند البصريين ـ حديث رقم ٢٠١٥٤ حدثنا اسماعيل أخبرنا أيوب عن حميد ابن هلال عن رجل من عبدالقيس كان مع الخوارج ثم فارقهم قال دخلوا قرية فخرج عبدالله بن خباب ذعرا يجر رداءه فقالوا لم ترع؟ قال والله لقد رعتمونى قالوا أنت عبدالله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ قال نعم قال فهل سمعت من أبيك حديثا يحدثه عن رسول الله ﷺ فحدثناه قال نعم سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى قال فإن أدركت ذاك فكن عبدالله المقتول قال : أيوب ولا أعلمه إلا قال ولاتكن عبد الله القاتل قالوا: أأنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله ﷺ ؟ قال نعم قال فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل ما ابذقر وبقروا أم ولده عما فى بطنها ، حدثنا أبو النضر حدثنا سليمان عن حميد بن هلال نحوه إلا أنه قال ما ابذقر يعنى لم يتفرق وقال لا تكن عبد الله القاتل وكذلك قال بهذا أيضا.

رحم الله هذا الصحابى الجليل ونفع المسلمين بسيرته وعلمه.

«بين ألفيتين»

شهد العالم من خلال شاشات التليفزيون ما حدث فى العالم من إطلاق للصواريخ المخصصة للألعاب النارية.. وسهر العالم مع الموسيقى والغناء والطرب إلى غير ذلك مما شهده العالم أجمع.. وكان المأمول من العالم أن تكون له وقفة يسترجع الألفية الماضية ويستعرض الأحداث التى وقعت خلال الألفية الماضية المليئة بالصراعات والتى شهدت أحداثا ضخمة كان المفروض أن نذكر بها أنفسنا وأن نذكر الجيل الذى سيحمل راية الألفية الجديدة ويتحمل المسئولية.. وبلا شك الذكرى بالأحداث تنفع العقلاء ويستفيد منها المفكرون.

الشيخ / منصور الرفاعى عبيد

لقد كان الأولى بكل الدول أن تقيم محافل علمية.. ومنتديات ثقافية.. ودوائر مستديرة ليكون هناك لقاءات تدرس أسباب الحروب التى قامت .. والصراعات التى دبت بين بعض الدول فعندنا مثلا الحروب العالمية ومثلا أمريكا مع فيتنام.. وإيران مع العراق.. والعراق مع الكويت.. وفلسطين مع اليهود.. والصرب مع البوسنة والهرسك.. وروسيا والشيشان والأخوة الأعداء فى أفغانستان.. كان المفروض فى المجتمع الدولى أن يقيم محاور لدراسة هذه الأمور.. وماهى الأسباب التى دعت إلى الذى حدث ولم تعجلت أمريكا فى استعمال السلاح الذرى مع اليابان.. وما هو الهدف من رفع الرؤوس الذرية للتهديد بها بين الحين والحين.. إن الحاقدين على الإسلام والمتربصين له يقولون إن محمداً ﷺ استعمل السيف لإرهاب الناس وأجبرهم على الدخول فى دينه بحد السيف.. ونقول لهم تعالوا إلى كلمة سواء.. خذوا حقبة زمنية.. ولتكن مثلا من بدء الرسالة المحمدية إلى نهاية الدولة العباسية.. وقوموا بعمل إحصاء للقتلى من ١٩٠٠ إلى ٢٠٠٠ ثم تعرفوا على الحقيقة وسوف تجدون أن الإسلام دين رحمة لم يرفع السيف فى وجه أحد ولم يجبر أحداً على الدخول فى دينه وأن الذين سقطوا قتلى خلال هذه الفترة وهى أكثر من مائتى سنة سوف تجدون أن ماقتل فى الصراع بين أمريكا وفيتنام أضعاف أضعاف ما قتل خلال هذه الحقبة التاريخية مما يشهد للإسلام بأنه دين يحافظ على الجنس البشرى ويعمل على تنمية قدراته ويحافظ على الطبيعة لينعم الإنسان بجمالها ويحيا فى ظل رغد من العيش، إننا كنا

نرجو بدل الطبل والزمر أن تكون هناك دراسة تحليلية لهذه الأحداث المفجعة التى مرت خلال هذه الفترة الماضية لأن الذى يريد أن يخطط للمستقبل لابد أن يكون الماضى أمام عينيه يحلل بعد دراسة مستفيضة الأسباب التى أدت إلى نشوب الصراعات وهذا الدمار الذى يلحق بما شيده الإنسان ثم ما يترتب على ذلك من وجود انحلال اجتماعى وتفسخ أسرى وظهور طبقة من المتشردين الذين لاينتمون لقومية ولايحسون بالولاء لأحد وهنا يأتى دور الاجتماعيين وتكون دراستهم لما ظهر على الساحة الإنسانية من تغير فى السلوك الاجتماعى والعلاقات الإنسانية والأسباب التى أدت إلى تعاطى المخدرات التى تدمر الإنسان وتفقده وعيه وغياب الأب عن أسرته وعدم رعاية الأولاد من جانب الأم لانشغالها هى الأخرى بالسعى وراء لقمة العيش إلى غير ذلك مما ظهر فى المجتمع نتيجة الحروب المدمرة وأزمة العلاقات بين الدول وهنا دور لقادة السياسة والذين يحتلون المقاعد النيابية فى المجتمع عليهم كذلك أن يدرسوا دور هيئة الأمم التحدة ومدى فاعليتها وتفاعلها مع المجتمع وهل أدت الدور المنوط بها والذى جاء فى بروتوكول انشائها ونصت عليه مواثيقها ودساتيرها ولِمَ عجزت عن رأب الصدع ولم الشمل ولِمَ يختفى صوتها عند الأزمة وأين مجلس الأمن مما يجرى على الساحة الإنسانية من دفن الناس فى مقابر جماعية تضم المقبرة الألف والألفين فأين صوت العقل من هيئة الأمم هذه أمور يجب أن تدرس من عقلاء العالم وأن تقدم الدراسة إلى شباب الجيل لنقول له.. هذا طريق صحيح فسر فيه على بركة الله.. وهذا طريق شر علينا أن نتجنبه وأن نبتعد عن السير فيه ثم الأمة العربية لها جامعة مرفوع على بنيانها أعلام الدول العربية فأين دورها يوم أن اعتدت العراق على الكويت ولم تركت الساحة لأمريكا تأخذ مع كل طلعة شمس فاتورة حساب وتملى شروطها، أين نحن ياعرب سؤال كان الأولى بنا أن نجيب عليه بتشكيل لجنة سياسية تشارك فيها الدول العربية كلها وأن يكون هناك تحليل للواقع السياسى الذى نعيشه ونبين نقاط الضعف كيف نعالجها ونقويها لأن العرب هم قوة الإسلام، بقوتهم يقوى وبضعفهم يضعف مع الوضع فى الاعتبار أن العرب أصحاب مبادئ وقيم عالية وأخلاق نبيلة رفيعة وعلى مدار التاريخ لهم دور قيادى لأن الإسلام أخرجهم من مجتمعهم الضيق إلى سعة العالم وبعد أن كانوا رعاة غنم أصبحوا قادة أمم.. ومما لاشك فيه أن قيام الحروب والصراعات والتفتح الاجتماعى وعدم الوعى السياسى نتيجة لغياب العدل الذى أمر الله به لأن الدول لا تؤسس مسلكها وسلطانها إلا على العدل، وكان المطلوب من عقلاء الأمة مع بداية العام الجديد أن يجمعوا رجال الفقه الدستورى والشخصيات التى تعرف القوانين ولاشك أن وزراء العدل أقدر على ذلك فكان لابد من اجتماعهم لتصحيح المسار الاجتماعى وتحريك محكمة العدل الدولية والتى تحاكم مجرمى الحرب ليكونوا عبرة لغيرهم علماً بأن هناك جرائم ارتكبت فى أساليبها وطرق تنفيذها فكان من الواجب أن يسمع صوت هذه المحكمة ثم وضع نقاط العلاج ووضع ضوابط لكل من يخرج عن هذه النقاط خاصة وأننا نسمع عن شرطة الأنتربول ولها السلطة فى اعتقال أى شخص متهرب من المحاكمة على ما ارتكبت يده.. لقد كان الأولى

بالمجتمع العالمى أن يجمع وزراء الصحة والأطباء ليدرسوا ظاهرة الأمراض التى بدأت تظهر فى المجتمع (كالإيدز) (والسرطان) (والحساسية) ومدى خطورة تفشى الفشل الكلوى والوباء الكبدى وآخر ما ظهر الانفلونزا القاتلة.. لابد أن تكون هناك دراسة من المجتمع الدولى ماهى الأسباب وراء ذلك أمع هذا التقدم والتفرق على الكثير من الأعشاب الطبية وظهور صناعات كيميائية أمع كل هذا يقف المجتمع حائرا أمام تشخيص العلاج لهذه الأمراض وغيرها كثير مما بدأ يظهر على الساحة.. إن المجتمع الإنسانى وهو يتحدث عن الثورة الإعلامية والسماء المفتوحة نجح فى نقل أفلام الجنس والإثارة إلى غير ذلك من أفلام الرعب وطرق السطو على المنازل والبنوك وبعض الأفلام تعد مدرسة لطلاب الإجرام وماعندنا أقل بكثير مما نراه على شاشات العالم لكن ماهى النتيجة؟.. تصدع هنا وهناك وتفكك للأسرة وتشرد للأولاد فالذى كنا نرجوه أن تكون هناك دراسة تحليلية لنقدم العلاج خاصة وأن المجتمع الإسلامى بيده (الروشتة) العلاجية يقدمها للمجتمع الإنسانى ليتخفف من أوجاعه ويبرأ من أمراضه لأنه اليوم اتسع الخرق على الراقع وأصبحت المشاكل متعددة وإن اتفقت فى غايتها إلا أن الأساليب المؤدية إليها متنوعة ومختلفة.. وإذا كنا قد ذكرنا بعض العينات فتعالوا بنا نقرأ فى روشتة العلاج التى نقدمها للعالم أجمع ونقول إذا كان العالم قد اكتوى بنار الحرب وذاق المرارة بسببها كما ظهرت فئة المعوقين بكثرة نتيجة المتفجرات واستعمال العنف والإرهاب فإن الإسلام ينادى على الإنسانية تعالوا نتفاهم ونقيم حواراً وأن كل واحد يأخذ ماله ويعطى ما عليه وعلينا أن نستشعر أن القرآن الكريم وهو روشتة السماء لعلاج أمراض الأرض نبهنا إلى السلام وقال هو أفضل أسلوب تتعايشون به على أن كل واحد ينصف الآخرين من نفسه وأن الحاكم لايستبد بالرأى بل عليه أن يشاور أهل الحل والعقد وهم أصحاب الفكر المنظم المنضبط على قيم الحق والإحسان والمساواة لأن الناس جميعا خلقوا من أب واحد وأم واحدة فلا تفاضل لأحد على أحد إلا بالعمل الصالح الذى يكون من ورائه خير المجتمع ونشر الأمن الاستقرار.

إن دخول الناس تحت راية السلام أمر تباركه عناية السماء ويفرح به العقلاء حيث تقوم الحضارة وتظهر الصناعات ويتقدم العمران وتستصلح الأرض لزراعتها حيث إن الإسلام يحث على زراعة الأرض وتوسيع الرقعة الخضراء وليأكل الناس من فضل الله وخيره مع بذل جهدهم واستعمال عقولهم إن الإنسانية فى حاجة إلى رغيف الخبز بدل الرصاصة والمدفع وهنا سؤال يطرح نفسه كم أنفقت الدول فى شراء البارود والأسلحة بكافة أنواعها وما هى نتيجة هذه الصناعة وترويجها وكم أنفقت الدول على استصلاح الأراضى وتربية المواشى والثروة الحيوانية والداجنة. إن الإسلام دعا إلى السلام ليتعانق الناس فى إخوة ومحبة كل له دين أو اعتقاد يتمسك به لكن لا يؤذى غيره فى عقيدته أو دينه ولا يبيت له الشر ولايعتدى على ماله أو عرضه وهذا ماينشره الإسلام عندما قال **﴿لكم دينكم ولى دين﴾** وعلَّم أتباعه ألا يتطاولوا على أصحاب الديانات الأخرى، بل التعامل بالأدب والاحترام فقال سبحانه **﴿ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾** (١٠٨ الأنعام) أرأيت إلى هذا الأدب الذى وجه الإسلام أتباعه إليه لهذا نقول إن الإسلام هو علاج هذا

الصراع الذى يؤدى إلى الحرب واستعمال السلاح بداعٍ وبغير داع إننا إذا نظرنا إلى خريطة العالم اليوم نجد أن شعوبا تقدمت وانتجت وأتخمت وبسبب ذلك سارت الحيوانات الأليفة مرفهة عندهم فهناك غذاء الكلاب الذى يحفظ فى العلب والقطط كذلك، وهناك سيارات تنزه هذه الحيوانات وكوافير مخصص لهذه الحيوانات، فى الجانب الآخر ترى دولا متخلفة يظهر عليهم الجوع وملابسهم ممزقة علماً بأن أرضهم الزراعية من أجود الأراضى وأخصبها لكن التخلف الذى تتصبه الدول الغنية حول هذه الدول هو السبب لكن لماذا؟ لأن الأنانية سيطرت على البعض فردد الواحد منهم (أنا ومن بعدى الطوفان) وسبب ذلك غياب عنصر الدين لأن الأديان السماوية كلها تدعو إلى عبادة الله والإخلاص له والرحمة بالمخلوق والعطف عليه والأخذ بيده والنهوض به لكن.

إذا الإيمان ضاع فلا أمان

ولادنيا لمن لم يحى دينا

ومن رضى الحياة بغير دين

فقد جعل الفناء لها قرينا

إن الإنسانية لم تنعم فى ظل الحضارة التى صنعتها بأيديها وأصبح الكل يخاف من الكل حتى قال القائل:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطير

إذا تعالوا بنا نقدم الروشتة كاملة إلى المجتمع الإنسانى إنه القرآن الكريم الذى نزل بلسان عربى مبين أنزله خالق القوى والقدر وقال **﴿ما فرطنا فى الكتاب من شئ﴾** وقال كذلك **﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** وقال من تلقى هذا القرآن النبى العربى سيدنا محمد ﷺ **(ستكون فتن كقطع الليل المظلم!!! قالوا وما المخرج منها يارسول الله؟ قال.. كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وهو الصراط المستقيم هو الذى لاتشبع منه العلماء ولايمله الأتقياء من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم..)** تلك هى الروشتة العلاجية التى إن أخذ بها المجتمع الإنسانى كان الشفاء له وإن لم يأخذ بها فكما يقول الحق سبحانه **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾**.. وكما يقول سبحانه **﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك أياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾**...

إن المسلمين مطالبون اليوم كما كانوا مطالبين بالأمس بأن يقدموا الإسلام إلى العالم بأنه العلاج لهذه الصراعات المدمرة وبأن علاج كل شئ موجود فى القرآن وعلينا نحن أن نحسن عرضه ونقول للعالم ولاتحكموا على الإسلام بتصرفات بعض أتباعه بل احكموا بالإسلام على الرجال واعلموا بأن سعادة الدنيا واستقرار المجتمع هو أن نفئ إلى كلمة الله وأن نحتكم إلى آياته وأن نستعمل العقل وبدل أن نرفع السلاح ندير الحوار ونناقش القضايا بروح المحبة والفهم الصحيح ونذكر المجتمع بما قاله (برناردشو) لو كان محمد بن عبدالله حياً وبيده كتابه لقاد سفينة المجتمع إلى شاطئ الأمان وبر النجاة... والفضل ما شهدت به الأعداء....

مصطفى صادق الرافعى يواجه (الغارة على الإسلام)

مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادى (الثالث عشر الهجرى) أدرك الغرب بثاقب نظره أن وجوده (السياسى العسكرى) لن يستمر كثيرا فى بلاد المسلمين، وأدرك أن هذا الوجود الواضح ينشئ ردود أفعال قوية تلجئ أصحابها إلى دينهم وحضارتهم فى سبيل إخراج الاستعمار من بلادهم، وأدرك أن هذه الجيوش التى يبعثرها فى بلاد العرب والمسلمين هنا وهناك تكلفه الكثير، وقد يأتى اليوم الذى تقوم فيه حركات وطنية إسلامية عامة، تلجئه إلى حروب كثيرة فى مساحة واسعة قد تكبده الكثير ماديا وبشريا، بل لعله أدرك بعد الحرب العالمية الأولى بخاصة (١٩١٤ - ١٩١٩م) أنه لا يقوى فى المستقبل على المقاومة ولاسيما وأن أوروبا تمزقها نزعات مختلفة بين ليبرالية ورأسمالية وشيوعية ماركسية ونازية عنصرية، وأدرك أيضا أن المواجهة العسكرية المباشرة والاحتلال المباشر خلال القرن الثامن عشر لم تحقق أهدافها، فلم يترك المسلمون دينهم ولا لغاتهم على الرغم من وطأته الثقيلة عليهم!!

د/ عبد الحليم عويس

ولعله عبر جهابذة التخطيط عنده قد اهتدى إلى أن مصالحه توجب اصطناع طبقة من أبناء البلاد الإسلامية والعربية، تدين له وتؤمن به، وتتنكر لدينها ولغتها وحضارتها تحت مسميات «سيادة الحضارة الأوربية الواحدة» واللغة العالمية الواحدة، والحرية التى تتفلت من كل قيود الدين، والعقلانية التى لا تؤمن بتوجيهات الوحى، بينما تتمسك هذه الطبقات الخائنة المسحوقة فكريا بشعارات القومية اللادينية والعالمية، وتبقى بينها وبين الإسلام نسبا ظاهرا، لا يؤيده نسب عقلى أو قلبى أو سلوكى!!

ووجد أديبنا الكبير مصطفى صادق الرافعى ت(١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) نفسه يواجه هذه الحالة الشاذة.. وبينما كان التخطيط قائما على قدم وساق منذ سنة ١٨٩٧م فى «مؤتمر بال» لإنشاء دولة يهودية تقوم على التوراة، كانت هذه الطبقة الخائنة المنافقة المسحوقة الشخصية من حيث تدرى أو لا تدرى، أو تعرف أو تكاد تعرف - تقوم

بعملها فى الاعتداء على القرآن وتشويه الإسلام، ودعوة الأمة إلى الاستسلام الكامل لأعدائها الحضاريين، والذوبان فى مخططاتهم وأفكارهم ومنظومتهم القيمية والحضارية.

وقد بلغ الأمر أرذله وأدناه فى بعض هؤلاء الذين زعموا: أن قصص القرآن بدءا من إبراهيم وما بعده.. إنما هى عمل فنى جمالى، وليست تاريخا صحيحا. وأن الله قد أنشأها إنشاء، واصطنعها اصطناعا ليحقق فى الناس العظة والعبرة، وكل الآيات التى تدل على أن الله قصَّ هذه القصص (بالحق)، وتمنُّ على الرسول بأنه ما كان لدى هؤلاء حتى يعرف هذا الماضى، وما كان له ثقافة تسمح له بهذه المعرفة.. كل هذه الآيات لا معنى لها عندهم؛ بل ربما تدخل أيضا فى باب الحبكة الفنية، وقد انحط إلى هذا المستوى الكثير.

«وقد تاب أكثرهم عن هذا الانحطاط فيما بعد (والله أعلم (!!)» وفى اللغة لغطوا ما لغطوا وانحطوا أرضا إلى مستوى العمل على إلغاء اللغة العربية تحت أى مسمى.

- وكان التخطيط الاستعمارى يقف وراء كل هؤلاء، ويدعمهم ويمكنهم من التعليم والصحافة، ويجعل من الجامعات المصرية مكانا لهدم الأزهر والإسلام والعروبة، واللغة والتقاليد، وينشر اللغة الأجنبية، ويهدم الأسرة المصرية، ويدعو إلى حرية الإلحاد والانحلال باسم حرية الرأى والفكر، وينشر الشكوك فى العقائد والثوابت.

هذا.. بينما كانت القوى الاستعمارية تضع أيديها فى يد الحركة اليهودية العالمية، وتنشئ للتوراة دولة فى إسرائيل، فهنا فى الساحة الإسلامية فى تركيا والشام ومصر يتمكن أعداء القرآن والإسلام واللغة العربية، وهناك فى أرض فلسطين تقوم «الدولة التوراتية العصرية» التى لا ترى فى توراتها ولا فى لغتها العبرية، ولا فى تقاليدها المعقدة.. لا ترى فى كل ذلك عائقا دون التقدم، بل تراه منطلقا للفعالية والقوة والهيمنة، ودافعا للاستبسال والقتال والتضحية، فلا حضارة بلا عقيدة، ولا دولة بلا مقومات، ولا تطور بدون ثوابت، ولا أمة من غير أهداف واضحة تضحى من أجلها، وتموت فى سبيلها.

- أجل: وجد الرافعى هذه الغارة وعرف ما وراءها، وأدرك المخطط ببواعثه وأهدافه، وعرف صلته بالغارة الاستشراقية، وبما يعمد إليه الاستعمار منذ زمان بعيد من صرف هذه الأمة عن القرآن واللغة العربية والحضارة الإسلامية؛ لأن هذه هى مقومات البقاء التى تتشبث بها الأمة وتقاتل تحت رايتها، وتمنعه من أن يحقق هيمنته عليها، وأن يمكن لمشروعاته فيها، ومن بينها تمزيقها وغرس مجموعة من الدويلات الطائفية اليهودية والصليبية فيها؛ بحيث يجعل من تضامنها الإسلامى وقوتها العالمية أثرا بعد عين، وحسْبُ كل دويلة منها أن تتقرب إليه، وأن تقترض منه، وتستعير آلياته، ويستمد أصحاب السطوة فيها وجودهم من وجوده، وقوتهم من قوته، فيرعون بالتالى هذه الجماعات المنافقة، المؤتمرة بأمره فيمكنون لها، ويحيطون المنافحين عن ثوابت الأمة بعشرات من القيود التى تمنعهم من الفاعلية الحقيقية والتأثير الصحيح!!

❖❖❖

وجد الرافعى هذه الغارة.. فقرر أن لا ييأس من رحمة الله، وألا يستسلم، وأن يترك الشعر،

لأنه لم يعد المؤهل لهذه المرحلة.. وأن يدخل المعركة ضد هذه الفئة الخائنة المنافقة «تحت راية القرآن» هكذا بوضوح لا مواربة فيه، وانتماء لا مساومة عليه: **«ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة»!!**

- ويرصد الأديب الإسلامى الكبير مصطفى صادق الرافعى خصائص هذه المدرسة المنافقة وملامحها ومنطلقاتها، ويضع الأيدى عليها ليعرفها المسلم ويلمسها، ولتفتضح أمام الناس، ولا يتأثر الناس بغثائها، وهو - رحمه الله - يتعامل معها من موضع الثقة، ولا يبالى بإطلاق النعوت الصريحة عليها إسقاطا لهيبتها، حتى لا يفتتن بها الناس، ولاسيما وأن هذه الفئات المنافقة درجت على أن تتعاون كما يتعاون الذباب لتجعل من أقزامها عمالقة، ومن جهلائها ومرددى غثائها عباقرة، ويعلم الله أنهم إنما يأكلون ما طبخه المستشرقون فى مطابخهم ثم يخرجونه للناس حاملا روائحهم الكريهة وعفنهم الفكرى، فهم أساءوا إلى المستشرقين عندما أخذوا أحط مافى الاستشراق، بل إن للاستشراق منهجيته ومحاذيره التى تضفى على أغاليطه نوعا من العلم، وتخرج كلامه للناس إخراجا يحترمونه، وإن كانوا يعرفون دخائله وأغاليطه وما وراءه!!

- أما الواحد من أصحابنا المنافقين هؤلاء الذين ينقلون أسوأ مافى الاستشراق فحسبه «أن يقلد الهدامين من جبابرة العقول فى أوربا، وإنه منهم ولكن كما تكون هذه الكرة الجغرافية المدرسية التى تصور عليها القارات الخمس من كرة الأرض التى تحمل القارات الخمس.. والأيسر عليه أن يملك أوربا أو أمريكا من أن يملك عقلا كتلك العقول التى يحاول مثل عملها فى غير هندستها ولا حكمتها ولا سموها ولا معانيها(١)»..

- فهؤلاء المنافقون شىء والاستشراق - على ما فيه وعلى أغراضه الفاسدة - شىء آخر!!. وهؤلاء المقلدون تقليد مَسْخ وتشويه للأوربيين إنما يسمون - فى الشائع - كُتَّابا وعلماء وأدباء؛ غير أنهم على التحقيق غلطات إنسانية تخرجها الأقدار فى شكل علمى أو أدبى لتعارض بها صوابا كاد يهمله الناس، فيخشى الناس أن يتحيف الخطأ صوابهم أو يذهب به، فيستمسكون بحبله ويشدون عليه، ويعود ذلك الصواب بعد ظهور الخطأ الذى يقابله ووقوفه بإزائه موقف العدو من العدو، كأنما ظهر دليله لا نقيضه، فيعرف الناس وجه الحاجة إليه، ومكان الفناء فيه، وضرورة المنفعة به(٢).

والمقلدون المنافقون هؤلاء - دائما - شذوذ المجتمعات وجملها الاعتراضية، ودعاة هدمها من داخلها، مناصرة لدعاة هدمها من خارجها..!!

واللعبة التى يلجأ إليها هؤلاء أنهم دعاة التجديد، ودعاة هدم القديم، والثورة عليه، وتقليد الغرب فى فنه وأدبه وأفكاره وعقائده (وليتهم دعوا إلى تقليده فى علمه ومؤسساته وآلياته ونظمه، كما فعلت اليابان!!) مع أنهم يعلمون أن هذه الفنون والآداب والعقائد والإنسانيات، إنما هى ثوابت الأمة، ووجهة نظرها فى الكون والحياة، وخلاصة مشروعها الإنسانى، وعندما تهدم لغة الأمة ويهدم دينها وتاريخها وتراثها .. عندئذ تفقد الأمة معنى (الأمة) وتفقد كل ثوابت وجودها وتصبح مجرد «مادة خام» خادمة لكل من يركبها ويصوغها.

- يقول الرافعى مخاطبا أحد دعاة الهدم هؤلاء

عندمـا قـال له ذلك الكاتب الداعى للهـدم: «إن الميراث العربى القديم الذى ورثناه يجب هدمه كله وتسويته بالعدل.. فقال له الرافعى: «أَفتُحَدِّثُ أَنْتَ للناس لغة وأدبا وتاريخا ثم طبائع متوارثة تقوم على حفظ اللغة والأدب والتاريخ أم تحسب أنك تستطيع بمقالة عرجاء فى صحيفة مقعدة أن تهدم شيئا أنت بين أوله وآخره كعود من القش يؤتى به لاقتلاع جبل من أصوله..؟!

- «ومن ذا الذى يزعم أن العرب هم كل الأرض، وأن آدابهم خلقت على الكفاية لا تحتاج إلى تحويل أو تبديل؟ ولكن من ذا الذى يرضى أن يجعل لكل أرض عربية لغة غربية قائمة بنفسها، ولكل مصر أدبا على حياله، ولكل طائفة من الكتاب كتابة وحدها؟ ومن ذا الذى فعل ذلك أو حاوله فى التاريخ الإسلامى كل على طول ما امتد وتساوق؟(٣)».

- «ثم ماهى اللغة؟ أفَرأَيت قط شعبا من الدفاتر قامت عليه حكومة من المجلدات وتملك فيها ملك من المعجمات الضخمة.. أم اللغة هى أنت وأنا ونحن وهو وهى وهم ونحن، فإذا أهملناها ولم نأخذها على حقها ولم نحسن القيام عليها (.....) فماذا عسى أن تكون لغتنا هذه بعد، وما عسى أن يبقى منها، وأين تكون نهايتها؟ ثم أى علم من العلوم يصلح على مثل هذا أو يستقيم عليه؟».

- وأخيرا يبين الرافعى الشباب الدائم الذى تحظى به العربية، على العكس من لغات العالم كله، فيقول: «إن هذه العربية بنيت على أصل سحرى يجعل شبابها خالدا عليها فلا تهرم ولا تموت، لأنها أعدت من الأزل فلكا دائرا للنيرين الأرضيين العظيمين: كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ(٤)»!!.

- وعلى طريقته التى تجمع بين الاستقصاء والعلمية - مع أسلوب قوى جزل يميل أحيانا إلى السخرية - يتابع الأستاذ الرافعى كل المقولات والأفكار التى يروج لها دعاة التجديد هؤلاء، وهى نفسها الأفكار التى تكشف خصائص جماعة «الخيانة الحضارية» التى تريد القضاء على اللغة والدين والتاريخ.

- يتساءل الرافعى: ماهو المذهب الجديد؟

- ويجيب هو - بطريقته التى تتجلى فيها الروح الإبداعية التى ألمعنا إليها - يقول:

- أنأخذ بالمقابلة فنقول: إذا كان الأبيض هو القديم، فالأسود هو الجديد، وإذا كانت الفصاحة، وإذا كان الحرص على ميراث التاريخ، وإذا كان القانون الطبيعى للفضيلة الاجتماعية، وإذا كنا نولد بجلود كجلود آبائنا - فالركاكة - وإهمال القومية التاريخية، والتحلل من قيود الواجبات والانسلاخ من الجلد لأنها ليست أوربية - كل هذا جديد لأن كل ذلك قديم(٥).

- إن أذواق الأمم وأمزجتها لا تتغير بقرارات أو شعارات.. إنها خلاصة تقاليدها النابعة من عقائدها الممتدة فى التاريخ.. وكذلك يقال فى الآداب والفنون.. إنهما محصلة تطور نفسى ووعى حضارى طويل ممتد فى التاريخ، وأنت تعلم أن الذوق الأدبى فى شىء إنما هو عن فهمه، وأن الحكم على شىء إنما هو أثر الذوق فيه، وأن النقد إنما هو الذوق والفهم جميعا، ومن هاهنا جاء ذلك الخطأ الذى يحسبونه صوابا، على أنك واجد فى القوم من لا تتهم فهمه، ولكنك لا تبرئ

إنصافه(٦)..

نعم: إن هؤلاء الذين يريدون تغيير عقل الأمة ووعيها وجلدها ونفسيتها يعرفون الحق (وهو أن للأمم خصائص ممتدة وأن خيانة اللغة والتراث خيانة للإسلام كله). إنهم يعرفون ذلك تماما كما كان اليهود يعرفون رسالة الرسول وخصائص الرسول - عليه الصلاة والسلام - أكثر مما يعرفون أبناءهم.. ولكنه النفاق والهوى والخيانة العقدية الحضارية.. ويجب أن تعالج الأمور مع هذه الطائفة من هذا المنطلق الواضح.

نعم إن وراء الأكمة ما وراءها، إن هناك دسائس خفية تظهر بعض أطرافها فى هذه الجملة، ولكن دعنى أقول لك: إنه ليس مرادهم العدول إلى الركاكة، ولا مناصبة القرآن العداوة لمجرد كونه فصيحا..

فإن هذه الفئة تحارب القرآن والحديث وجميع الآثار الإسلامية، وتريد أن تتبدل بها من كلام الجاهلية وكلام فصحاء العرب حتى من المخضرمين والمولدين، وكل كلام لا يكون عليه مسحة دينية، وهذه الفئة قد تعددت غاياتها فى هذا المنزع، ولكن قد اتفقت فى الوسائل، فمنها من لا يجهل بلاغة القرآن وجزالته، وكونه من العربية بمنزلة القطب من الرحى، ولكنه يدس الدسائس من طرف خفى لإقصائه عن دائرة الأدب العربى، وتزهيد النشء فيه، بحجة كونه قديما وأن كل قديم هو بال، حتى إذا تم لهم ما يبتغون من غض مكانة القرآن فى صدور الناس يكونون قد طعنوا الإسلام طعنة سياسية فى أحشائه(٧)..

إن هذا هو الهدف الواضح الذى انتهى إليه أمير البيان «شكيب أرسلان» فى مقالته التى وجهها إلى الرافعى يعضد فيها تشبثه «بالجملة القرآنية» فى مواجة من اقترحوا على الرافعى التخلى عن (طابعه القرآنى) حتى يسمحوا له أن يكون أديبا كبيرا مقبولا عالميا!! (وربما يرشح لجائزة نوبل!!).

وأيضا يقول أديب العربية الكبير شكيب أرسلان للرافعى:

وياليتك ترى هذه الفرقة على شىء من التحقق بالجديد فيما يلزم فيه الأخذ بالجديد من علم نافع أو فن مفيد أو صناعة دارة، فإن العلم لا يجب أن يكون فيه قديم وجديد، بل هو أصل يتفرع منه فروع كل يوم يتحتم على الإنسان أن يتتبعها كلها ناظرا إلى حقيقتها وصدق تجربتها وفائدتها للاجتماع.

كلا ياسيدى، قلما رأيت من هذه الفرقة إلا الادعاء الفارغ والنزوع إلى الثورة على ما يسمونه بالقديم، وهم ينسون أن هناك مبادئ ثابتة وبديهيات ليس فيها قديم وجديد، وأن الاثنين والاثنين أربعة من مائة ألف سنة فلا نقدر أن نعمل على ذلك ثورة، وأن المقولات العشر مما لا تتناوله الثورة، وأن الثورة إنما هى واجبة على الجهل والوهم لا على الحق والعلم، وأن العلم لا يكون قديما، وأن الأدب لابد أن يراعى فيه ذوق الأمة وتاريخها وعاداتها وعرفها، وأنه ليس بتجربة كيماوية(٨).

❖❖❖

وهكذا حرك الرافعى كل القوى بأسلوبه الجزل الرائع، وبأفكاره القوية القائمة على فكر سديد بسنن الله فى بقاء الأمم وازدهار الحضارات،

ووعى كامل بمقومات الأمم التى لا يمكن أن تبقى بدونها، وهى مقومات يُعد التفريط فيها أو المساومة عليها شر أنواع الخيانات العظمى!

ـ وقد وضع الرافعى هؤلاء المفرطين فى الدين واللغة والتاريخ فى موضعهم الصحيح، وكشفهم أمام الناس، فباتوا عراة يعرفهم كل الناس، ولم تستطيع الأسمال البالية أن تسترهم أو تخدع بهم جمهرة الأمة، فبقوا أقلية محاضرة حتى يومنا هذا، حتى لو تبوأوا أرفع المناصب الأدبية، وحتى لو اضطر الناس إلى مداراتهم وكف أذاهم بلحن من القول!!

ـ لقد وجد أصحاب هذه الدعوات الهدامة ـ ولايزالون يجدون ـ تشجيعا من الاستعمار، كما يقول أستاذنا الدكتور مصطفى الشكعة ـ من قريب تارة ومن بعيد تارة أخرى، ولكن أصوات المدافعين عن حرمة الفصحى كانت أعلى، بما تحمل من حجج، وبما تعتمد عليه من أسباب المنطق والعدل.

ـ ولم يكن كل المدافعين من المسلمين، بل كان هناك علماء أفاضل نصارى مثل الشيخ خليل اليازجى، والشيخ إبراهيم اليازجى، وجورجى زيدان.. غير أن الصوت الأعلى بينهم كان لمصطفى صادق الرافعى(٩)!!

❖❖❖

وما يقوله أستاذنا الدكتور الشكعة صحيح، فقد كان الرافعى هو أعلى الأصوات طيلة حياته؛ ذلك لأنه أبصر حقائق الغارة التى تشن على أمته، وعرف ما وراءها، ونذر حياته للدفاع عن مقومات هذه الأمة، ولم يقبل خيانة (الجملة القرآنية) أو (الكلمة المؤمنة) حتى ولو لوحوا له بأرفع الجوائز العالمية، أو بجعله (عميد الأدب العربى أو الإسلامى)!!

ـ لقد حدد الرافعى هدفهم بوضوح من هذه الغارة على القرآن الكريم ولغته العربية، وآثر ما عند الله، وقرر أن يكون أدبه «أدب دعوة» وبالتالى فهو ـ كما يقول الأستاذ محمد سعيد العريان ـ: «لاينظر لغير الهدف الذى جعله لنفسه منذ يومه الأول، وهو أن يكون من هذه الأمة لسانها العربى فى هذه العجمة المستعربة، وأن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه، يدفع عنه أسباب الزيغ والفتن والضلال.. وما كان ـ رحمه الله ـ يرى فى ذلك إلا أن الله وضعه فى هذا الموضع ليكون عليه وحده حياطة الدين والعربية، لا ينال منها نائل إلا انبرى له، ولا يتقحم عليها متقحم إلا وقف فى وجهه، كأن ذلك (فرض عين) عليه وحده، وهو على المسلمين (فرض كفاية)..

ـ ونشهد أن الرافعى ـ رحمه الله ـ قام بواجبه خير قيام.

ـ فجزاه الله عن الإسلام ولغة القرآن خير الجزاء.

الهوامش

١ ـ مصطفى صادق الرافعى ـ تحت راية القرآن ـ المعركة بين القديم والجديد ص٧ مطبعة الاستقامة ط٥ (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م) ـ القاهرة.

٢ ـ الرافعى ـ المعركة بين القديم والجديد (المكان السابق).

٣ ـ الرافعى: المرجع السابق ٢١ /٢٢.

٤ ـ الرافعى: المرجع السابق: ٢٩.

٥ ـ الرافعى: تحت راية القرآن: ١٠.

٦ ـ الرافعى: تحت راية القرآن: ١١.

٧ ـ الرافعى: تحت راية القرآن: ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣.

٨ ـ الرافعى: تحت راية القرآن ص٢٨ ، ٣٩ (المعركة بين القديم والجديد).

٩ ـ د. مصطفى الشكعة: مصطفى صادق الرافعى كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا ص٥١ ط٣ ـ الدار المصرية اللبنانية ١٩١٩م!!

من التراث الإسلامي

المثنوى لجلال الدين الرومى

جلال الدين محمد البلخى الرومى من أشهر شعراء الوجدان الروحى فى الآداب الشرقية عامة.

وجلال الدين (٦٠٤ ـ ٦٧٣ هـ = ١٢٠٨ ـ ١٢٧٥م) ولد فى بلخ فى السادس من ربيع الأول ٦٠٤ هـ، ونشأ فى بيت مشهور بالزهد والورع والتقوى، وكان أبوه بهاء الدين محمد بن حسين الخطيب عالما زاهدا، وصوفيا ورعا، وأمه ـ كما يقال ـ بنت علاء الدين محمد عم السلطان محمود خوارزم شاه، ويقال كذلك بأن نسبه ينتهى إلى إبراهيم بن أدهم الصوفى المشهور المتوفى عام ١٦١ هـ، ويرجع بعضهم بنسبه إلى أبى بكر الصديق(١).

د. محمد عبدالمنعم خفاجى

ونشأ جلال الدين فى بلخ، وكانت غارات المغول على العالم الإسلامى آنذاك متواصلة، لذلك أكثر أبوه من الرحلات، ويروى أنه التقى عام ٦٠٩ هـ فى بغداد أو فى نيسابور بالشاعر فريد الدين العطار، وهذا اللقاء أهدى العطار إلى جلال الدين محمد نجل بهاء الدين كتابة أسرار نامة» الذى كان فى الرابعة عشرة من عمره آنذاك وعلى هذه الرواية يكون ميلاد جلال الدين عام ٥٩٥ هـ = ١١٩٩م، لا عام ٦٠٤ هـ.

رحل جلال الدين مع والده إلى بغداد فمكة المكرمة وهو فى العام الرابع عشر من عمره، ومنها سافر إلى الشام حيث التقى فى دمشق بمحيى الدين بن عربى وبغيره من الزهاد والعلماء. ثم سافر إلى قونية بآسيا الصغرى فأقام فيها، وظل مقيما بها طيلة حياته، ومن ثم لقب بالرومى، إذ كانت قونية من بلاد الأناضول التى كانت تعرف ببلاد الروم. وفى عام ٦٣٨ هـ توفى والده بهاء الدين فى قونية، وكان بهاء الدين أحد أساتذة

ابنه، فى علوم الدين واللغة والتصوف، وكان من بين شيوخه: برهان الدين الترمذى، وفريد الدين العطار، وشمس الدين التبريزى (٦٤٤ هـ) الذى بكاه جلال الدين بقصائد حزينة فى ديوان أسماه «ديوان شمس تبريز»..

وفى قونية اشتهر جلال الدين بالورع والزهد والصلاح وقام مقام والده فى الوعظ والتدريس، وأصبح صاحب طريقة روحية كبيرة، وكانت وفاة جلال الدين فى قونية عام ٦٧٣ هـ فى الخامس من جمادى الثانية، وترك آثارا كثيرة، فى مقدمتها: المثنوى، وهو ديوان من الشعر الصوفى البليغ، ومنها: المجالس، والرسائل، والرباعيات (٣٣١٨ بيتا).

وديوان شمس تبريز (٣٥٠٠ قصيدة وعدد أبياتها ٤٣ ألف بيت).

نظم جلال الدين المثنوى فى قونية فى الفترة مابين عامى ٦٥٩ و ٦٦٩ هـ .. ويحتوى هذا الديوان على نحو ستة وعشرين ألف بيت من الشعر بالفارسية ، وقد قام الشاعر «عبد العزيز صاحب الجواهر» بترجمته إلى العربية شعرا فى ستة أجزاء، ويقول المترجم فى مقدمته لهذه الترجمة ما نصه: منذ عنفوانى فى العراق كنت مغرما بترجمة «المثنوى» كغرام الهزار بالجلنار، أدور حوله، وأرجِّع منه البيت والبيتين، ووصولا لضالتى المنشودة قرأت على أستاذ فارسى نبذة من شرح الحكيم «ملاهادى» على بعض غوامض أبياته، وترجمت أبياتا معدودة منه، ثم نزحت من العراق إلى إيران، وأنمَحَتْ من خاطرى الأبيات المترجمة، المعدودة برمتها، سوى ترجمة البيت الثالث لأول قافية فى الدفتر الأول منه وهو:

أبتغى صدرا تَشظَّى بالنوى

لأبث شرح آلام الهوى

ولكن ما زال حب الترجمة له كامنا فى روحى، زهاء عشرين سنة صادف فى انتهائها خروجى من طهران إلى كرمانشاه فمكثت فيها ست سنوات، فتحركت فىَّ فواعل الترجمة لا عن اختيار، بالأسلوب الحر من قيود القوافى، مقتفياً وزن «المثنوى» على البحر المتقارب.

وصدر المترجم هذه الترجمة بأبيات يأسف فيها على ما ضاع من عمره فى غير الحياة الروحية.

وفى مقدمة المثنوى يذكر أن هذا الديوان قد اشتمل على الغرائب والنوادر وغرر المقالات ودرر الدلالات، على طريقة الزهاد، قصيرة المبانى كثيرة المعانى.

والمترجم ذو بلاغة باهرة، وشاعرية نادرة وهو أخو الشاعر الجواهرى العراقى المشهور، محمد مهدى الجواهرى ، ويقع الجزء الأول فى ٨٤٢ صفحة،والثانى فى ٨١٦، والثالث فى ٨٧٠، والرابع فى ٨٧٨، والخامس في ٨٢١، والسادس فى ٦٧٨ صفحة.

وهذه الترجمة للمثنوى مملوءة بالشروح الكثيرة المفيدة، والتحقيقات الدقيقة ذات الأهمية فى فهم مرامى «المثنوى» ومضامينه ومعانيه الدقيقة، .. وقد التقيت بالمترجم قبل وفاته وسمعت منه قصيدته «مصر أم النجوم» التى صوَّر فيها عواطفه نحو أرض الكنانة.

وللمترجم أيضا ترجمة من الفارسية إلى العربية لديوان شاعر الفرس الأكبر شمس الدين محمد حافظ الشيرازى، فى جزءين.

وقد سمى المترجم ترجمته للمثنوى: «جواهر الآثار فى ترجمة مثنوى مولانا محمد جلال الدين البلخى الرومى شعرا».

و «المثنوى» له آثار كبيرة فى العقل العربى، وفى الفكر الإسلامى، ويعدُّ من روائع الآثار الإنسانية الخالدة، ومن أشهر كتب التراث الإسلامى الجليل.

ولقد ألف شعراء كبار فارسيون مثنويات، من مثل! العطار، وسنائى .. لكن مثنوى جلال الدين

نال شهرة واسعة، ويقول جلال الدين فيه:

كان العطار روحا، وسنائى له غيثا

ونحن من بعدهما قد جئنا

ثم يقول عن العطار :

بلغ العطار مدن العشق السبعة

ونحن لا نزال بعده فى منعطف جادة

ويمتلىء المثنوى بأفكار روحية لطيفة، يصل بها إلى الغرض بجودة عبارته، ولطافة معانيه، ودقة مضمونه، وصفاء فكرته، ونضوج ذهنه الروحى، حتى لقد بلغ بالشعر الصوفى قمَّة ازدهاره، وكان جلال الدين يحسن انتقاء معانيه، واختيار ألفاظه وأساليبه وصوره الشعرية، وإن كان أكبر همه موجها نحو المعانى.

وإذا كان الفردوسى إماما فى الشعر الملحمى، والخيام رائدا فى الرباعيات الفلسفية، والأنورى أستاذا فى القصائد الصوفية الطويلة، والسعدى إماما فى الغزل الإلّهى، وحافظ أستاذا فى الغزل الصوفى؛ فإن جلال الدين كان إماما لكل الشعراء الروحيين فى الأدب الإسلامى.

وقد بلغ أثره فى إيران والهند وآسيا الصغرى مبلغا كبيرا، ومنزلة عالية، على امتداد الأيام وألفت شروح كثيرة للمثنوى من مثل :

- جواهر الأسرار لكمال الدين حسين الخوارزمى.

- شرح اسماعيل بن أحمد (بالتركية).

وينقل شمس الدين أحمد الأفلاكى فى كتابه «مناقب العارفين» عن لسان جلال الدين الرومى أنه قال : «إن الله تعالى قد شمل أهل الروم بعناية عظيمة، لأن أهل هذه البلاد كانوا فى غفلة عن عالم الحب الإلهى، وعن التذوق الوجدانى، حتى كتب لنا مُسَبِّبُ الأسباب سببا نقلنا به من خراسان إلى بلاد الروم، وجعل هذه الديار مأوى لأعقابنا» .. وأهل قونية يعدون صاحب المثنوى ساحرا لشدة تأثيره فيهم.

ولجلال الدين الرومى فى جميع دواوينه نحو السبعين ألف بيت من الشعر، تمثل روحا أحرقها لهب الوجد، وضرام الحب، ونار العشق، مما كان له قوة التأثير، وروعة السحر؛ ومما جعل من «المثنوى» كتاب فكر، قبل أن يكون ديوان شعر.

وجلال الدين فى «المثنوى» يترك الأساليب القديمة فى نظم الشعر، مولعا بالأساليب الجديدة، والصور الخيالية المبتكرة. وقد نظم شعره على خمسة وخمسين بحرا من بحور الشعر المستعملة والمتروكة، وقد منحته موسيقاه الشعرية القدرة على أن يتفنن فى أوزانه أكثر من أى شاعر آخر.

والمثنوى(٢) كتاب حكمة وأخلاق وفلسفة وتربية ومعارف اجتماعية وقصص بليغة، وتبلغ حكاياته ٢٧٥ حكاية منها ٢٦٤ حكاية كان لها الأسبقية فى الأدب الفارسى، وتشعر وأنت تقرؤها بروح الحكيم والفيلسوف والعالم والزاهد والشاعر والمتيم الولهان.. وما فى «المثنوى» من حقائق حية، وموضوعات وفيرة ليس متخلفا عن معارف الإنسان المعاصر، بل لا يزال يسبقها فى الحقيقة الحية، فى الأخلاق وفى المعرفة، وفهم الإنسان، والتوحيد ، والمبادىء الإنسانية التى يجب أن تسود العالم المعاصر المتحضر.

وقد كان السبب فى نظم جلال الدين للمثنوى أن «حسام الدين الحلبى» طلب من جلال الدين أن ينظم على وزن «حديقة الحقيقة» للسنائى، أو «منطق الطير» للعطار النيسابورى كتابا يجمع أصول الطريقة، ويحوى أسرار المعرفة، فشرع جلال الدين - بناء على طلبه - فى نظم « المثنوى» .. وكان حسام الدين يجلس الليالى فى مجلس جلال الدين يكتب ما ينظم، ويقرأ عليه ما كتب،

وكان النظم والكتابة والإنشاد طوال الوقت إلى أن يظهر الفجر، ويطلع الصباح.

وما أصدق وأبدع ما يقول جلال الدين لتلميذه «حسام الدين الحلبى» فى «المثنوى» :

يا ضياء الحق، يا حسام الدين

أنت من بك جاور المثنوى القمر بنورك

وقد تأثر جلال الدين تأثرا عميقا بشمس الدين التبريزى، هذا الدرويش الجوَّال، الذى التقى به فجأة وهو يسير بخطى سريعة نحو الأربعين من حياته وهذا التأثر الشديد، قلب حياة جلال الدين رأسا على عقب مما صوَّره فى إحدى رباعيات «المثنوى» يقول :

عندما اشتعلت نيران الحب فى صدرى أحرق لهيبها كل ما كان فى قلبى فازدريت العقل الدقيق والمدرسة والكتاب وعملت على اكتساب صناعة الشعر وتعلمت النظم.

واختفى التبريزى من حياة جلال الدين فجأة فى دمشق ثم عاد، ثم اختفى مرة أخرى، ثم اختفى إلى الأبد، مما كسا شعر جلال الدين بمسحة حزن عميق، وقال مترنماً فى هذا الدرويش العجيب :

من ذا الذى قال إن شمس الروح الخالدة قد ماتت ومن ذا الذى تجرأ على القول بأن شمس الأمل قد تولت إن هذا ليس، إلا عدوا للشمس وقف تحت سقفى وعصب كلتا عينيه ثم صاح.

ها هى الشمس تموت

لقد كان جلال الدين الرومى يشعر من أعماق نفسه بأنه بأشواقه الروحية التى صورها فى «المثنوى» يسير بالإنسان إلى عصر جديد من الإبداع والتجديد الروحى.

هذا وقد ترجم المرحوم الدكتور محمد عبدالسلام كفافى مجلدين من «المثنوى» صدرا فى القاهرة، ويقوم أحد تلامذته وهو الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا بترجمة الأجزاء الأربعة التى لم يترجمها أستاذه الدكتور كفافى؛ ويعدُّ الدكتور شتا كتاب «المثنوى» جوهرة الآداب الفارسية العالمية وهو معروف على المستوى العالمى بعد ترجمة المستشرق نيكلسون له إلى الإنجليزية. كما قدمت المستشرقة الألمانية «أنا ماريا شميل هارى» كتابا عن فلسفة الرومى بعنوان «الشمس المنتصرة» وهى تقصد شمس الحقيقة الإلهية التى كان الرومى يتحدث عنها دائما؛ ويقول د. دسوقى شتا إن المثنوى نموذج عظيم للأدب الإنسانى، فهو يخاطب الإنسان فى كل العصور، وسعة أفق جلال الدين لفتت الأنظار إليه، وكان جلال الدين شاعرا دقيق النظرة يهتم بحياة الإنسان على الأرض (صحيفة الأخبار عدد ١٩٨٩/٧/٥).

والجوانب الإنسانية والبشرية فى المثنوى كثيرة وكبيرة وهو يقدم تفسيرا عن سقوط الحضارات سبق به توينبى المؤرخ الإنجليزى المعروف، كما سبق جلال الدين الكثيرين من المفكرين الغربيين فى أن يضع أصابعه على بعض الأمراض الإنسانية الخفية.

وقدم تفسيرات عن سلوك المجرم بعد الجريمة سبق بها ديستوفسكى فى الجريمة والعقاب .. ويكتسب النص القرآنى عند جلال الدين الرومى أبعادا جديدة لم يقترب منها المفسرون، كما يقدم التراث الإسلامى فى صورة شبه متكاملة، والمثنوى تعبير أدبى جديد شديد الرقى عن الثقافة الإسلامية كما يقول الدكتور شتا .. ولجلال الدين طريقته الصوفية التى تنتسب إليه وهى المولوية نسبة إلى لقبه «مولانا» والله الهادى إلى الخير.

الهوامش

(١) أسد الغابة ج١ / ٩٢.

٢- تطلق كلمة «مثنوى» عادة على الأشعار التى لشطرى كل بيت منها قافية واحدة، وهى فى مجموعها متماثلة الوزن مختلفة الروى. وقد كان هذا اللون من الشعر موجودا من أقدم العهود فى اللغة الفارسية، نظم عليه الشعراء الفرس قصائدهم.

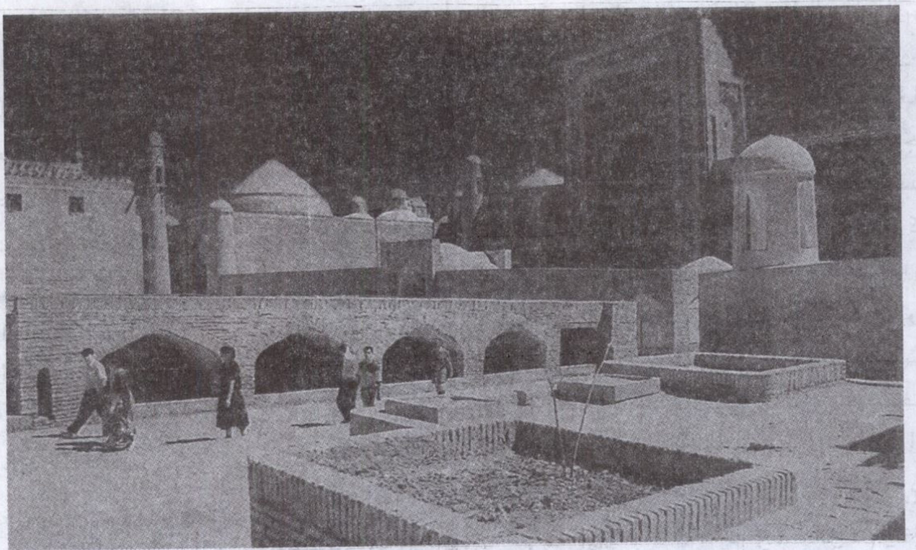

احدى المدارس الإسلامية فى أوزبكستان

أوزبكستان الدين والدولة

قبل الاستقلال

٨٠ مسجدا و٤ حجاج سنويا والمكتبات والندوات الدينية ممنوعة

أوزبكستان هى احدى الدول الخمس عشرة المستقلة عن جهوريات الاتحاد السوفييتى، وأكبر الجمهوريات الإسلامية الخمس فى آسيا الوسطى والتى استقلت بعد انهيار الاتحاد السوفييتى عام ١٩٩١ ومنذ ذلك الوقت ويرأس الدولة الرئيس إسلام كريموف.. وتعتبر أوزبكستان أكبر هذه الدول على الإطلاق مساحة.

وأوزبكستان ليست لها منافذ على البحار أو المحيطات.. ولابد أن تصلها إما عن طريق موسكو أو استانبول أو الصين.

إعداد : فتحى على

بعد الاستقلال

عدد المساجد يزيد على ١٥٠٠ مسجد و٣٥٠٠ حاج تساعدهم الدولة على أداء الفريضة

نهضة إسلامية تشهد انتشار المكتبات الإسلامية وإقامة الندوات الدينية

دخل الإسلام أوزبكستان فى القرن الثامن الميلادى عندما أرسل معاوية بن أبى سفيان قواته لفتح هذه المنطقة بقيادة سعيد بن عثمان لنشر الإسلام وتعليم القرآن الكريم.. ثم جاء بعد ذلك عبدالملك بن مروان فأرسل قتيبة بن مسلم قائدا ومعلما فنجح قتيبة بن مسلم فى أداء رسالته حتى وصل إلى حدود الصين.

أوزبكستان مهد العلماء والقادة

وتقع دولة أوزبكستان الإسلامية بين نهرى سيمون وجيجون وتمتاز أوزبكستان بما أنعم الله به عليها من نعم وفيرة وخير تملكه مدن إسلامية عريقة تاريخيا وحضاريا منذ آلاف السنين مثل طشقند وبخارى وسمرقند وخوارزم وفرغانة، وهذه الدول الإسلامية العظيمة قد أهدت للعالم الإسلامى كوكبة من العلماء الذين نفخر بهم حتى اليوم. وتضعهم إلى الآن الحضارة الإسلامية فى القمة فمن هؤلاء القمم الإمام البخارى والترمذى وبهاء الدين نقشبند وأحمد اليسوى وعبدالخالق الغجدوانى، ومن اللغويين الزمخشرى ومن الفلكيين الإمام أحمد الفرغانى مهندس مقياس النيل بالروضة، ومن الأبطال المحاربين الذين أنجبتهم أوزبكستان السلطان الظاهر بيبرس والسلطان قطز.

بوابة آسيا الوسطى

وعاصمة أوزبكستان طشقند ومعناها البرج العاجى وتقع طشقند على طريق التجارة العالمى القديم بين أوروبا وآسيا الذى عرف باسم (طريق الحرير) والذى كان يبدأ من اليابان أقصى الشرق ثم الصين ثم أوزبكستان ثم غربا إلى أن يصل إلى صيدا وصور بالبحر المتوسط، وكان أول من أطلق عبارة طشقند «بوابة» آسيا الوسطى هو المؤرخ أبوالريحان البيرونى.

ويقع فى مدينة طشقند أشهر معهد يضم الكثير من المخطوطات العربية والإسلامية القديمة فى آسيا الوسطى وتزيد على ٤٠ ألف مخطوط باللغة العربية والفارسية وتشتمل هذه المخطوطات على وسائل لم يتم نشرها بعد حتى الآن وبها أيضا مجموعة من الرسائل للفارابى وابن رشد وابن خلدون باللغة العربية، وبها أيضا مخطوطات صحيح البخارى ومخطوطات أخرى عن تاريخ فارس.

ومن المدن الشهيرة بأوزبكستان ذات المعالم الدينية والإسلامية العريقة.. وتبعد عن طشقند حوالى ٦٠٠ كيلو متر هى مدينة بخارى.

المدينة الفاضلة

وبخارى لها تاريخ عميق فى جمع وتصنيف الحديث وروايات كثيرة وذلك ما ذكره د. يوسف الكتانى أستاذ علم الحديث بجامعة القرويين بأن تفرد الإمام البخارى بمنهج علمى خاص ووضعه لنفسه وللعلم وللناس لم يسبقه فيه أحد فجاء منهجا علميا فريدا وأسلوبا مبتكرا فى علم الحديث.

والبيوت فى بخارى معظمها من دور واحد أو

الآثار الإسلامية فى أوزبكستان تعبر عن أصالة العمارة وفنونها

اثنين على نظام الفيلات، ومن أشهر مساجد بخارى على الإطلاق مسجد اسماعيل سمنى.. واشتهرت بخارى بمساجدها الكثيرة وسميت بخارى فى القرون الوسطى بين المدن الإسلامية بالمدينة الفاضلة.

ويعتبر أول مسجد بنى فى بخارى عام ٩٤هـ وبناه قتيبة بن مسلم.. وقد تطورت الأبنية فى القرنين السابع والثامن الميلاديين وأخذت بالطابع الإسلامى.

البخارى والجامع الصحيح

فى كتابه الجامع الصحيح صنف الإمام البخارى كتابه الجامع الصحيح فى ست عشرة سنة وشمل ستمائة ألف حديث.. ويقول الإمام البخارى: «ما وضعت فى الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين».

وقد صنف الجامع الصحيح فى المسجد الحرام ووضع تراجمه بين قبر الرسول ﷺ ومنبره، وقد ظهر فى طرابلس تقليد مملوكى وهو الاحتفال بختم البخارى.

ومن أشهر المدن بأوزبكستان مدينة سمرقند، فلقد اختلف المؤرخون حول بداية إنشائها فقيل إنها ترجع لأيام الإسكندر وكان الإغريق يسمونها «ميركندا» وضريح الإمام البخارى يقع فى مدينة سمرقند، وكذلك يوجد قبر تيمور لنك الذى حكم أضخم امبراطورية فى عهده وانتشرت فى عهده إقامة أفخم وأروع المساجد ومنها مسجد الأميرة بى بى حاتم الزوجة الصينية للأمير تيمور.

وتعتبر أوزبكستان الإسلامية من أشهر دول العالم فى إنتاج القطن والذهب.. ويبلغ عدد سكانها حوالى ٢٢,٥ مليون نسمة.

أوزبكستان المستقلة

ويعتبر الرئيس الحالى إسلام كريموف هو أول

جامعة إسلامية بطشقند تفتتح رسميا بحضور شيخ الأزهر

رئيس للجمهورية بعد استقلالها فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٩١م عن دول الاتحاد السوفييتى.. وهو من مواليد سمرقند سنة ١٩٣٨.. وحصل على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد من معهد طشقند.

ووضع الرئيس إسلام كريموف سياسة الدولة للحفاظ على حقوق المواطنين، ومن هذه المواد تنص المادة الثامنة عشرة من الدستور على أن يتمتع جميع المواطنين فى جمهورية أوزبكستان بالحقوق والحريات المتساوية بغض النظر عن انتسابهم الجنسى والقومى والدينى واللغوى.

وتنص أيضا المادة الحادية والثلاثون على مايلى:

- للجميع حرية العقيدة.
- للمنظمات الدينية الحق فى الحصول على الأراضى وذلك لبناء المساجد والمبانى الدينية وإصدار الكتب الدينية بعد أن كان ممنوعا أيام السيطرة السوفييتية والتى كانت تصدر حينئذ بعض المجلات تحت الرقابة الصارمة وكذلك إجراء الندوات الدينية وتنظيم وتوفير كافة المناسك الدينية للمسلمين من عمرة وحج إلى بيت الله.
- وأقر أيضا قانون حرية الوجدان والمنظمات الدينية ٢٠٪.
- إحياء ذكرى العلماء المشهورين فى العالم العربى كما حدث لإحياء ذكرى الإمام البخارى فى أكتوبر ١٩٩٨ بمناسبة مرور ١٢٢٥ عاما على ميلاده.

وذكرى العلامة أحمد الفرغانى المولود فى فرغانة بمناسبة مرور ١٢٠٠ عاما على ميلاده، وذكرى الإمام بهاء الدين نقشبند بمرور ٦٧٥ عاما على ميلاده، وذلك فى سبتمبر ١٩٩٣م، وإحياء ذكرى الزمخشرى بمرور ٩٢٠ عاما على ميلاده وذلك فى نوفمبر ١٩٩٥م

ويجرى الآن تدريس مؤلفات كبار العلماء الذين نالوا شهرة عالمية فى العالم بأسره وفى مقدمتهم الإمام البخارى صاحب كتاب الجامع الصحيح للأحاديث النبوية الشريفة.

- محمد موسى الخوارزمى مؤسس علم الجبر.
- أبو عيسى محمد الترمذى واحد من أئمة صحاح السنة.
- أبو بكر الزشخى.
- أبو منصور الماطوردى.
- أبو بكر الخوارزمى.
- أبو عبدالله الخوارزمى.
- أبو على بن سينا.
- أبو الريحان البيرونى أكبر باحث وناقد فى آسيا الوسطى.
- اسماعيل الجورجانى.
- برهان الدين المرغنانى.
- أحمد يسوى.
- مرزا الوغباك.

الأمير تيمور صاحب النهضة الثقافية فى مدينة سمرقند

ويوجد فى طشقند العاصمة أكبر ميادينها ويسمى ميدان «أمير تيمور».

ويوجد كذلك متحف باسم الأمير تيمور على أحدث وأضخم طراز يحوى مقتنيات الحاكم الإسلامى وتلفه الحدائق الواسعة وبجوار المتحف تمثال ضخم للأمير تيمور لكى يعيد إلى الأذهان مدى صلابته وشجاعته وفكره المتأجج نفوذا وبصيرة.

ويذكر سماحة المفتى عبدالرشيد قارى بهراموف رئيس إدارة مسلمى أوزبكستان بأن عدد مساجد أوزبكستان كان أيام النظام الشيوعى ما يقرب من ٨٠ مسجدا والآن أصبح عدد المساجد يزيد على ١٥٠٠ مسجد، وفى كل بلد تفتح المدارس الإسلامية.. بالإضافة إلى أن عدد الحجاج فى ظل حكم الاتحاد السوفييتى كان ما يقرب من ثلاثة إلى أربعة أشخاص فى العام ويزيد سنهم على الستين أو السبعين عاما، والآن أصبح عدد الحجاج يصل إلى الآلاف وبالتحديد يزيد على ٣٥٠٠ مواطن يؤدون فريضة الحج سنويا.

الشعب الأوزبكى عاش ٧٠ عاما تحت الستار الشيوعى رغم ذلك احتفظ الشعب الأوزبكى بثرائه الدينى وبدأ الأولاد يتلقون دروسهم الدينية فى ٩ مدارس دينية، وفى الجامعات والمعاهد الدينية الإسلامية، وفى البلدان العربية الإسلامية ومنها الأزهر الشريف فى مصر والمدينة المنورة وفى تركيا.

وفى ٧ من ابريل عام ١٩٩٩ أصدر فخامة الرئيس إسلام عبدالغنى كريموف رئيس جمهورية أوزبكستان قرارا بافتتاح أكبر جامعة إسلامية فى مدينة طشقند، وتهدف من إنشاءها إلى رفع المستوى العلمى للمواطنين وإحياء التراث المعنوى الغنى العائد للإسلام وجعله فى متناول جميع الأجيال القادمة.

وتتكون الجامعة من كليتين:

كلية تاريخ الإسلام وفلسفته.

كلية الفقه والاقتصاد والفنون الطبيعية.

٢٥ منحة دراسية من الأزهر لأبناء أوزبكستان

وأثناء زيارة فضيلة شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى إلى أوزبكستان التقى بفخامة الرئيس إسلام كريموف رئيس جمهورية أوزبكستان أثر دعوة من فخامته لفضيلة الشيخ طنطاوى بمناسبة افتتاح الجامعة الإسلامية الكبرى بطشقند فقال فضيلة الشيخ: إن الأزهر يخصص ٢٥ منحة دراسية كل عام لأبناء أوزبكستان للدراسة، وتلقى العلم فى المعاهد والكليات الأزهرية.

وأوضح فخامة الرئيس أن حكومته تبذل قصارى جهدها منذ إعلان استقلال أوزبكستان عن النظام الشيوعى بالاهتمام بإحياء التراث الإسلامى وتجديد وترميم أضرحة البخارى والترمذى، وكافة علماء البلاد العظام.

وأشار سيادته إلى النهضة الإسلامية فى بلاده. وأن الدولة لا تبخل بالمال على المساجد ودور العلم.

وأكد سيادته أن شعب أوزبكستان متمسك بالإسلام والقرآن الكريم والسنة النبوية والمذهب الحنفى.

وكل هذا يقع على عائق المؤسسات الدينية وعلماء الإسلام. وتقوم الدولة برعاية الأجيال الصاعدة وتنشئتهم نشأة صحيحة لأن شعار شعب أوزبكستان هو (الله فى قلوبنا).

نتيجة مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة

يسر أسرة تحرير منبر الإسلام أن تنشر أسماء الفائزين فى المسابقة الدينية السنوية التى بدأت من شهر رمضان ١٤١٩ هـ حتى شعبان ١٤٢٠هـ، وقد أسفرت القرعة التى أجريت على آلاف من خطابات القراء المشاركين بمقر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة عن فوز كل من :

أولا الفائز بالحج:

١ـ فوزى سيد محمود ـ قنا ـ نجع حمادى ـ بهجورة ـ نجع الشيخ.

ثانيا الفائزون بالعمرة :

١ ـ مصطفى عبد البارى عقل ـ المحلة الكبرى ـ شركة مصر للغزل والنسيج.

٢ ـ أحمد محمد عبد المجيد محمد ـ محافظة البحيرة ـ دمنهور بريد لقانة أبو درة.

٣ ـ أحمد محمود عبد الحق عزام ـ امباى ـ طوخ ـ قليوبية.

٤ ـ محمد محمد سيف الدين محمد ـ شابور ـ كوم حمادة محافظة البحيرة.

الفائزون بالمكتبة الإسلامية:

١ ـ محمد محمد عبد الله المغازى ـ أريمون ـ مركز ومحافظة كفر الشيخ ـ شارع ٢٣ يوليو.

٢ ـ حسان السيد احمد ـ سوهاج ـ البلينا ـ بنى حميل.

٣ ـ احمد محمد احمد خميس ـ اسوان ـ شركة كيما الهيدروجين.

٤ ـ سمير على أبوزيد ـ محافظة الشرقية ـ أبو كبير ـ هربيط.

٥ ـ كارم محمود عبد الباسط ـ الفيوم ـ مجلس مدينة الفيوم ـ مكتب التسويق.

٦ ـ رحاب عبد المنعم الحلبى ـ محافظة البحيرة ـ دمنهور شارع موصلى متفرع من سيدى عمر.

٧ ـ ياسر احمد عمر الدمهوجى ـ دمياط ـ كفر سعد ـ شارع الثورة بجوار البريد.

٨ ـ احمد جاب الله السعيد يوسف محافظة كفر الشيخ مركز ـ سيدى سالم ـ قرية الفقهاء.

٩ ـ لطفى عبد الحكيم خليفة ابراهيم ـ المنيا ـ أرض المولد ـ مساكن الموظفين البحرية.

١٠ـ حسن سامح مصطفى النوسانى ـ ٧ شارع صلاح الدين بكفر الزيات.

١١ ـ مى على ابراهيم على ـ المحلة الكبرى ـ المنشية الجديدة ـ ١٠ شارع عبد الحفيظ رزق.

١٢ ـ لطيفة محمود البياع ـ شابور ـ مركز كوم حمادة ـ البحيرة.

١٣ ـ كمال عبد العزيز أبو الحمد حسن سوهاج ـ البلينا ـ بنى حميل.

١٤ ـ حمدى محمد أحمد حسين ١٣ شارع أبو يوسف شقة ٢ شبين الكوم – محافظة المنوفية.

١٥ ـ أحمد ابراهيم احمد السيد سلامة ـ شارع الجيش بجوار مدرسة صلاح عيلى الابتدائية الصف ـ الجيزة.

وراء الأخبار

بيل كلينتون فى تهنئته للمسلمين بعيد الفطر

▪ المسلمون فى أمريكا يسهمون فى إثراء الحياة السياسية والثقافية.
▪ المسلمون مطالبون بالعمل على إزالة سوء الفهم لدى البعض عن الإسلام.

منير بيومى

رحب الرئيس بيل كلينتون بالمسلمين فى الاحتفال الذى أقيم بالبيت الأبيض الأمريكى بمناسبة عيد الفطر المبارك وقال سيادته فى بداية كلمته: إن صوم شهر رمضان ليس واجبا مقدسا فحسب بل إنه أيضا هدية الإسلام للعالم بأسره، إنه يُذكر جميع الشعوب بالواجب المشترك لمساعدة الذين يعانون من فقر أو حرمان، إنه يذكرنا جميعا بضرورة أن نعمل من أجل بناء عالم أكثر إنسانية وأكد الرئيس كلينتون أن المسلمين الأمريكيين البالغ عددهم ٦ ملايين هم حجر الزاوية فى المجتمع الأمريكى وهم يعملون على إثراء الحياة السياسية والثقافية مشيرا إلى أن الشعب الأمريكى بدأ يعلم أن جذور المسلمين تمتد إلى جميع أنحاء العالم ليس فى الشرق الأوسط فقط بل إلى افريقيا وآسيا والبلقان وأنحاء من أوربا وهم يتقاسمون مع جميع الأمريكيين أمانى مشتركة نحو مستقبل أفضل.

الذين يجهلون حقيقة الإسلام

وأشار الرئيس كلينتون إلى أن المسلمين فى أمريكا شأنهم شأن جماعات أخرى واجهت ومازالت تواجه بعض التفرقة أو التمايز وعدم التسامح وأحيانا بعض العنف من الذين يجهلون حقيقة الإسلام، حيث تملأ الصورة المشوهة الفراغ الناتج عن هذا الجهل.

وأوضح أن هذا النوع من التعصب الأعمى خاطئ ولا مكان له فى المجتمع الأمريكى، ولا مكان أيضا لعدم التسامح مع أصحاب الديانات الأخرى مهما كانت عقيدتها.

إزالة سوء الفهم

وقال الرئيس كلينتون إننا فى أمريكا إذا كنا نرغب فى عمل الخير فى شتى أنحاء العالم فينبغى علينا أن نكون صالحين هنا فى الداخل بشأن هذه القضايا. وطالب المسلمين أن يعملوا على إزالة سوء الفهم ويساعدوا الناس على أن يفهموا القيم الإنسانية والعقيدة الإسلامية وأن يعيدوا تكريس أنفسهم فى هذا العالم الجديد للتثبت من أن آخرين فى أمريكا يفهمون حقا ويقدرون عقيدة الإسلام وتعاليمه وإنسانيته الشاملة.

وأضاف الرئيس كلينتون: أن تعاليم القرآن تؤكد ضرورة أن نعامل الآخرين بالطريقة التى نرغب فى أن يعاملونا بها، وأن نرفض للآخرين ما نرفضه لأنفسنا وأن نلزم أنفسنا أن نعيش فى سلام، وهناك فجر جديد ظهر فى بداية الشهر بعد انتهاء شهر

■ لامكان للتعصب الأعمــــى ضد أصحاب الديانــات فى أمريكا.

رمضان مع بداية ألفية جديدة احتفل بها العالم.

الدعاء من أجل السلام

ووجه الرئيس كلينتون نداء للمسلمين طالبهم ضافة إلى صلواتهم وعملهم من أجل السلام التفاهم والمصالحة داخل الولايات المتحدة الأمريكية طالبهم بأدعيتهم من أجل إنجاح مهمة السلام الحالية فى الشرق الأوسط وأن يكون وجودهم معيشتهم فى أمريكا مصدر فخر عظيم لهم أن عيشوا فى بلد يحاول أن يعقد سلاما فى الأرض

سقوط الشيوعية الملحدة

وأعرب الرئيس كلينتون عن أسفه لما يحدث فى عض مناطق من العالم من اعتداءات وحشية وقال:

إنه لمن السخرية كما اعتقد أن أحدث بلاء لدينا كما يبدو فى نهاية الحرب الباردة عندما فشلت الشيوعية الملحدة والمهيمنة ورُفضت هذا البلاء القديم حيث الناس يقاتلون بعضهم بعضا لأنهم ينتمون إلى معتقدات دينية مختلفة أو سلالات عرقية أو عنصرية مختلفة إننا نعلم بأن ذلك ليس فى صميم أية تعاليم دينية ونحن نعلم بأن ذلك ليس من صميم الإسلام.

شهد الاحتفال عدد من قيادات العمل الإسلامى بأمريكا وعدد من المسئولين فى الحكومة الأمريكية منهم مستشار الأمن القومى «ساندى بيرغر» ومساعد وزيرة الخارجية الأمريكية «هارولدكوه» والدكتور اسلام صديقى كبير مستشارى وزير الزراعة.

مؤتمر بالقاهرة يناقش:

تعريب لغة العلــوم بين الحاضر والمستقبل

تقيم الجمعية المصرية لتعريب العلوم بالتعاون مع جامعة عين شمس المؤتمر السنوى السادس في الفترة من ١١ إلى ١٣ أبريل القادم بدار ضيافة جامعة عين شمس حيث يناقش المؤتمرتقويم عملية التعريب وتقديم خطوة تنفيذية لها على مستوى الأفراد والمؤسسات وأفضل الوسائل لتيسير استخدام تقنيات المعلومات فى التعريب.

كما تناقش محاور المؤتمر تقويم التعليم بالعربية فى الكليات غير المصرية، وأداء الشعب التى تدرس بغير العربية فى الكليات المصرية، وكذلك أداء خريجى المدارس العربية ومدارس اللغات الأجنبية فى الجامعات، إضافة إلى تقويم تدريس العلوم باللغة العربية وباللغات الأجنبية فى التعليم العام، وكفاءة استخدام كل من منظومتى الأرقام المشرقية والمغربية فى الكتابة العربية. وكفاءة استخدام الحروف العربية فى الرموز العلمية وأسلوب تدريس اللغات الأجنبية فى الجامعات لغير المتخصصين فيها وجدواهُ، وحصر واقع التعريب فى مختلف المعاهد والمؤسسات وإعداد برامج علمية تعليمية باللغة العربية.

كما يتضمن المؤتمر ثلاث حلقات نقاش تعالج قضايا اللغة والهوية ومعوقات التعريب واللغة العربية فى الحاسوب وتقويم استخدامها.

ربىَّ الشيخ أبو الحسن الندوى جيلا فى منطقة شرقى آسيا من العجم فجعلهم ينطقون العربية أحسن من أبنائها والأهم من ذلك أن طبعهم أخلاقيا بسلوك إسلامى رفيع يلحظه الزائر عن قرب أنهم أقرب ما يكونوا إلى صحابة رسول الله ﷺ

د. على صبح ود. عبدالمنعم خفاجى ود. عبدالمنعم يونس ود. عبدالحليم عويس فى حفل تأبين الشيخ الندوى

فى حفل تأبين داعية الإسلام العلامة أبو الحسن الندوى:

آمن الشيخ ببعث إسلامى جديد يضع المسلمين فى مكانتهم الصحيحة

لقد قدر الله سبحانه وتعالى على أمتنا فى هذا العام: أن تودع عدداً من كبار العلماء وخيارهم علما وعملا ودعوة إلى الله.

ففى العشر الأواخر من رمضان المبارك وفى يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع توضأ الشيخ أبو الحسن الندوى واستعد للصلاة وشرع يقرأ سورة الكهف من كتاب الله تعالى كما تعود كل جمعة، ففاضت روحه إلى الحق، وقدر الله أن ننعى إلى الأمة هذا العلامة الفقيه عالمى الوجهة والغاية، عالمى النشاط، وإن كان هندى المولد والنشأة، فقد اهتم بهموم المسلمين

وتصدر الصفوف فى ذلك كما فى قوانين الأحوال الشخصية التى أرادت الحكومة الهندية يوما أن تفرض على المسلمين فيها ما يحرمهم من خصوصيتهم، ولا يقتصر همه ولا نشاطه على القارة الهندية بل يمتد إلى العالم كله، لذلك نجد شهرته فى العالم العربى لا تقل عن شهرته فى الهند.

عراقة النشأة

فى حفل تأبين الشيخ الندوى الذى أقامته رابطة الأدب الإسلامى وجمعية الشبان المسلمين العالمية تحدث الدكتور عبدالحليم عويس فقال:

ولد الشيخ أبو الحسن الندوى فى الهند فى السادس من المحرم ١٣٣٣هـ الموافق عام ١٩١٤م فى أسرة عريقة حيث ينتهى نسبها إلى محمد النفس الزكية بن عبدالله، بن الحسن (المثّى) بن الإمام الحسن السبط الأكبر بن أمير المؤمنين سيدنا على ابن أبى طالب رضى الله عنهما لذلك اشتهرت الأسرة بالحسنية، والده عالم طبيب أديب مؤلف، وأمه سيدة فاضلة كاتبة وشاعرة.

أكمل الشيخ الندوى دراسته المنتظمة فى العشرين من عمره، وبدأت فترة المطالعة الذاتية والجهد الشخصى الذى لا يحد بحدود ومقررات، عين فى يوليو عام ١٩٣٤م مدرسا فى دار العلوم، كانت لغته الأصلية هى الأردية بطبيعة الحال لكن الشيخ بدأ مبكرا فى تعلم العربية والانجليزية وظل لمدة سنتين كاملتين يدرس الأدب العربى وحده وقرأ كثيرا من كتب الأدب، ثم التحق بجامعة لكهنئو بالهند حتى أتم دراسته على الشيخ الدكتور «تقى الدين الهلالى» وسافر إلى لاهور حيث درس التفسير على الشيخ «أحمد على»

ساهم الشيخ الندوى فى تحرير مجلة «الضياء» ورأس تحرير مجلة «الندوة العلمية» التى كانت تصدرها ندوة العلماء بالأوردية. وأسس جمعية للتبشير بالإسلام بين الهندوس.

ثروة علمية

ولما تولى الأستاذ النّدْوىُ رئاسة (جامعة دار العلوم ـ ندوة العلماء) أدرك أهمية البحث العلمى والفن الصحافى فأنشأ فى مايو سنة ١٩٥٩م المجمع الإسلامى (أكاديمية البحوث الإسلامية)، ومع أن هذه الأكاديمية نشأت برأسمال ضعيف جدا، قدره ألف روبية (٤٠٠ ريال سعودى) وبدون أى موظف إلا أنها استطاعت أن تتغلب على هذه العقبة، ونجحت فى عامها الأول فى نشر كتابين باللغة الأوردية، وإصدار نشرة باللغة العربية... وبعد خمسة عشر عاماً، وفى عام (١٩٧٤م) بالتحديد كان مانشرته هذه الأكاديمية ١٤٤ مؤلفا منها ٩٣ طبعة أولى، و٥١ طبعة ثانية، وفى عام ١٩٧٤م نفسه نشرت حوالى ٢٩ كتابا.

وتحتل مؤلفات الأستاذ الندوى الصدارة فى منشورات المجمع العلمى.

ونحن نحاول هنا تقديم حصر لمؤلفاته نرجو أن نوفق فيه، وهى: الإسلام والعالم، وحديث مع الغرب، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ومذكرات سائح فى الشرق العربى، ونحو التربية الإسلامية الحرّة فى بلاد المسلمين، والصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية، ومختارات من الأدب العربى، والدين والمدنية، والإيمان والمادية فى سورة الكهف، والمسلمون فى الهند، والسيرة النبوية، ورجال الفكر والدعوة فى الإسلام (خمسة مجلدات)، والأركان الأربعة، وربانية لا رهبانية، والقاديانية، والقراءة الراشدة (ثلاثة أجزاء)، وإذا هبت ريح الإيمان، وروائع إقبال، والطريق إلى المدنية، وقصص النبيين للأطفال (أربعة أجزاء)، والنبى الخاتم، وإلى الإسلام من جديد، والنبوة والأنبياء فى ضوء القرآن،

وأحاديث صريحة فى أمريكا، ومجموعة رسائل أخرى.

وجدير بالذكر أن كثيرا من كتب الأستاذ الندوى طبعت خارج الهند فى بيروت والكويت ومصر والسعودية وغيرها. وقد طبع كتابه (ماذا خسر العالم) أكثر من عشرين طبعة، كما أن معظم مؤلفاته قد ترجمت إلى أكثر اللغات الحية.

ويدعو أبو الحسن الندوى إلى أن يكون الإسلام هو الوسيلة والغاية، وإلى أن يتخلص المسلمون من الشعارات والأحزاب الأخرى التى تدفعهم لمحاربة بعضهم البعض وتجعل بأسهم بينهم.

ولعل كتابه الذائع الصيت (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) قد احتل مكانة رفيعة لم تدانيه فيها إلا كتابات قليلة.. وقد طبع أكثر من عشرين طبعة وترجم إلى اللغات الحية كلها تقريبا.

الشيخ المجاهد

ويؤكد الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى أن الشيخ الندوى عاش مكافحا فى سبيل خدمة الإسلام مجاهدا ومناضلا وإماما فى الفكر والأدب كما كان إماما فى الدين والحياة، ولم ينس الشرق الإسلامى تكريم الندوى من أجل كفاحه فى سبيل خدمة الإسلام فمنحته المملكة العربية السعودية جائزة الملك فيصل فى خدمة الإسلام اعترافا بفضله وبأثره على الحياة الإسلامية المعاصرة.

وأضاف: كان الندوى يرى أن الغرب يتعامل مع الإسلام والمسلمين بمنطق الصراع لا بمنطق الحوار، وكان يؤمن ببعث إسلامى جديد يضع المسلمين فى مكانتهم الصحيحة وفى منزلتهم التاريخية المأثورة.

كما حصل الشيخ الندوى على جائزة السلطان حسن البلقيه العالمية فى الدراسات الإسلامية لعام ١٩٩٨م في موضوعها «سير أعلام الفكر الإسلامى» والشيخ الندوى الرئيس المؤسس لمجلس أمناء مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية، ورئيس رابطة الأدب الإسلامى العالمية وعضو مجمع اللغة العربية فى دمشق، وعضو المجلس الاستشارى الأعلى للجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة، وعضو مؤسس لرابطة العالم الإسلامى فى مكة المكرمة.

الشيخ الندوى فى مصر

ومع بداية خروج الشيخ الندوى من الهند لزيارة دول العالم الإسلامى توجه إلى مصر عام ١٩٥١م وكان ومن معه يسكنون فى شقة متواضعة فى زقاق من أزقة شارع الموسكى بحى الأزهر، فالشيخ لا يقدر على سكنى الفنادق ولا يحبها وإن قدر عليها.

كان الشيخ حين زار مصر فى شرخ الشباب ذا لحية سوداء ووجه نضر وعزم فتى وروح وثابة كان يحمل حماس الشباب وحكمة الشيوخ وقلب المؤمن الغيور على دينه وكانت أيامه فى مصر أياما خصبة مباركة لا يكاد يخلو يوم منها عن محاضرة عامة أو درس أو لقاء خاص.

ألقى محاضرة تحت عنوان (المسلمون على مفترق الطرق) فى دار الشبان المسلمين ومحاضرة عن (محمد إقبال) شاعر الإسلام فى الهند وذلك فى كلية دار العلوم كان لها تأثيرها ودويها فقد كان الشيخ الندوى من المعجبين بشعر إقبال ويحفظ منه الكثير كما التقى الشيخ فى القاهرة بكثير من العلماء والدعاة والمفكرين وسجل عنهم ملاحظاته الدقيقة فى كتابه الذى أصدره بعد رجوعه «مذكرات سائح فى الشرق العربى»

عزاؤنا إلى المسلمين فى الهند فى شيخهم، وعزاؤنا إلى المسلمين فى أنحاء الأرض فى فقد هذا العالم الداعية الإمام الذى قلَّ أن يجود الزمان بمثله، نسأل الله أن يؤجر أمتنا فى مصابها وأن يخلفها خيرا وأن يغفر للشيخ الندوى ويرحمه وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فى مسابقة المولد النبوى الشريف

سماحة الرسول ﷺ .. والفتح الإسلامى لمصر.. وحرية الرأى ... والإنتاج ودوره فى خدمة المجتمع

تقرر إجراء المسابقة الكبرى التى تنظمها وزارة الأوقاف فى مناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف للعام القادم ١٤٢١هـ على مستوى الجمهورية بين الطلاب والشباب على مستوى الجمهورية على مستويين. وصرح الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن الوزارة رصدت لهذه المسابقة ٨٤٠ جائزة مالية جملتها ١٦٩,٥٠٠ جنيه حيث منها ٤٨٠ جائزة قيمتها ٨٦ ألف جنيه للفرع الأول من المسابقة و٤٢٠ جائزة قيمتها ٨٣,٥٠٠ جنيه.

الفرع الأول.

وتقرر إجراء المسابقة على المستوى الأول بين الشباب لمن هم فى سن ١٦ عاما فأكثر فى الموضوعات التالية :

- امتازت رسالته ﷺ بالدعوة إلى قيم التقدم والاستقرار والعلم واستخدام العقل، وسماحة إنكار الذات، وكان ﷺ صورة حية للإسلام وقدوة طيبة لأتباعه المؤمنين.
- كان للفتح الإسلامى لمصر أبعاد حضارية وإنسانية واستراتيجية.
- حرية الرأى فى الإسلام
- دور الإنتاج والتنمية فى بناء المجتمع.

ويشترط فى المتقدم لهذه المسابقة ألا يكون عضوا بهيئة التدريس بالجامعات وألا يكون من خريجى كليات جامعة الأزهر الدينية والشرعية أو من خريجى قسم اللغة العربية بكليات الجامعات المختلفة. وهذا ويقدم البحث إلى مديريات الأوقاف الإقليمية حتى أول أبريل ٢٠٠٠م.

الفرع الثانى :

وتقرر إجراء المسابقة للمستوى الثانى لمن هم فى سن ١٥ سنة فأقل فى حفظ وفهم ٨٤ حديثا من أبواب كتاب رياض الصالحين للإمام النووى ابتداء من باب (تحريم الربا) حتى باب (ما أعد الله للمؤمنين فى الجنة) ويتم تلقى طلبات المشاركين فى هذا الفرع حتى ٢٣ مارس ٢٠٠٠م

وأكد وزير الأوقاف أن هذه المسابقة تهدف إلى تعميق الوعى العلمى والثقافى والدينى والوطنى والحضارى لدى الشباب من الجنسين.

• ندوة بالجمعية الخيرية الإسلامية تناقش الوقف ودوره فى تنمية المجتمع

حول دور الوقف فى تنمية المجتمع الإسلامى وصياغة الحضارة الإسلامية تنظم الجمعية الخيرية الإسلامية بمقرها بالسيدة زينب ندوة يوم الإثنين ١٥ من ذى القعدة الموافق ٢١ فبراير تحت رعاية الدكتور محمد شوقى الفنجرى رئيس مجلس الإدارة ويديرها الدكتور محمد الشحات الجندى سكرتير عام الجمعية ورئيس اللجنة الثقافية تتناول الندوة عدة موضوعات حول قضايا الوقف وأهميته وقوانينه يتحدث فى الندوة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف حول دور وزارة الأوقاف فى مصر، والدكتور محمد شوقى الفنجرى حول قانون الوقف فى مصر والمستشار طارق البشرى نائب رئيس مجلس الدولة سابقا يتحدث حول حركة التشريع للوقف فى نصف القرن الأخير ويتحدث الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامى حول دور الوقف فى صياغة الحضارة الإسلامية، ويتحدث الدكتور جعفر عبد السلام نائب رئيس جامعة الأزهر سابقا عن بعض النتائج من دراسات مؤتمر الوقف لرابطة الجامعات الإسلامية فى مايو سنة ١٩٩٨ فى بورسعيد ويتحدث الدكتور محمد رأفت عثمان عميد كلية الشريعة وعضو مجمع البحوث الإسلامية عن قانون الوقف فى مصر ومدى التزامه بشرع الوقف، ويتحدث المستشار حامد عبد الدايم رئيس مجلس إدارة جمعية المساعى المشكورة بالمنوفية عن واقع الوقف فى مصر ويتحدث الأستاذ محمود مراد نائب رئيس تحرير جريدة الأهرام عن الوقف والتنمية الشاملة.

فى معرض الكتاب

حوار ساخن حول استنساخ الإنسان

د. عبد الحميد شاهين ود. أحمد مستجير ود. عبدالصبور مرزوق ود. أحمد شوقى فى ندوة الاستنساخ

إعداد: حسن أحمد خليل / تصوير: سيد الزفزاف

• د. عبدالصبور مرزوق: استنساخ الإنسان قضية عصيّة تؤثر على مسار البشرية.

• الإسلام لا يرفض تطور العلم ما دام نافعا ومفيداً للإنسان.

فى ندوة كاتب وكتاب التى عقدت ضمن فعاليات معرض القاهرة الدولى للكتاب فى دورته الثانية والثلاثين، دار حوار ساخن حول كتاب «من يخاف استنساخ الإنسان» تأليف «د. جريجورى بنس» وترجمة د/ أحمد مستجير، ود/ فاطمة نصر، شارك فى مناقشة الكتاب الأستاذ الدكتور/ عبدالصبور مرزوق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية والأستاذ الدكتور/ عبدالحميد شاهين أستاذ علم الأجنة بطب عين شمس والأستاذ الدكتور/ أحمد شوقى أستاذ الهندسة الوراثية.

وقد أدار الندوة الأستاذ الدكتور/ عبدالصبور مرزوق، وبدأت بعرض الدكتور مستجير للكتاب موضحا أن الكتاب يطلعنا عما لدى الآخرين، ومؤلف الكتاب شديد التحمس لقضية استنساخ الإنسان، ويلقى باللوم على كل من يعارضه فى اتجاه هذا، وسبب تحمسه لتأليف الكتاب هو رؤيته لإمرأة لا تنجب؛ فأشفق عليها، ووجد أن الاستنساخ هو الحل الأمثل لهذه المشكلة.

وأوضح سيادته أن اختلاف الآراء حول هذه القضية ينبع من اختلاف المجتمعات كل حسب معتقداته، ونحن تحكمنا أحكام ديننا الإسلامى وإن

● د/ أحمد مستجير:

هناك إجماع أو شبه إجماع على رفض استنساخ البشر

ناك إجماعا أو شبه إجماع على فض استنساخ البشر على كل ستويات، فقد أجرت الـ C.N.N ستطلاعا للرأى حول هذا الأمر جاءت النتيجة أن الغالبية العظمى ن الأمريكيين يرفضون استنساخ لإنسان؛ حتى أن الرئيس الأمريكى ل كلينتون أعلن رفضه لهذا الأمر.

ومؤلف الكتاب يرفض تماما بررات التى يسوقها رافضو ستنساخ البشر ويرى أنهم أنفسهم الذين رفضوا ن قبل قضية أطفال الأنابيب وقتها وناصبوها عداء رغم أن أطفال الأنابيب ساهموا فى حل شكلة عدم الإنجاب وأصبح فى أمريكا وحدها ذ عام ١٩٧٨ حتى الآن ٢٤ ألف طفل أنابيب.

● ثم تحدث الأستاذ الدكتور/ عبدالحميد شاهين موضحا أن خبر استنساخ «دوللى» أثار دلا ونقاشاً واسعاً فى كل مكان فى العالم حول ا المقصود بالاستنساخ؟ وكيف حدث؟ وهل ينتهى المطاف بالعلماء إلى استنساخ الإنسان؟ متى يتم ذلك؟ وما هو موقف رجال العلم والدين القانون والأخلاق ورجل الشارع من جميع الآثار ترتبة على الاستنساخ والمتوقعة من ورائه؟.

وأشار سيادته إلى المناقشات التى دارت حول ذه القضية واشترك فيها من الأطباء وعلماء وراثة وعلماء الدين وتباينت ردود الفعل واتسعت وة الخلاف.

ولقد اتضح بمالا يدع مجالا للشك من هذه ناقشات أن هناك رفضا للاستنساخ ليس فقط لدولة التى بها مؤسسات دينية ولكنه فى غيرها أيضا.

أما بالنسبة لمؤيدى الاستنساخ فإنهم يرون رفض يعكس بغضاً شديداً للعلم.

وأوضح سيادته أن أهمية الكتاب - رغم أنه حمل وجهة نظر أحادية - ترجع إلى أنه يمثل وجهة ظر مغايرة لكل وجهات النظر الأخرى فى هذه القضية ضلا عن عرض لوجهة نظر القلة المؤيدة للاستنساخ.

● ثم تحدث الأستاذ الدكتور/ أحمد شوقي موضحا ضرورة احترام الرأى المخالف أياً كان وأتعامل معه على أنه من حق كل إنسان أن يعبر عن وجهة نظره.

وبالنسبة لقضية استنساخ الإنسان يجب ألا نأخذ بالرأى المخالف أوالرأى المؤيد بل بالرأى المتفحص، وأن نفكر ماذا لو حدث الاستنساخ حتى لا يفاجئنا هذا الأمر.

فنحن جميعا نوافق على الاستنساخ فى مجال الحيوان والنبات من أجل تحسين السلالات وإنتاج لحوم وفواكه جيدة، فمن خلال الهندسة الوراثية يمكن إنتاج مواد صيدلانية تفيد البشرية أوفى الهندسة النسيجية يمكن أن تعطينا قطعا تعويضية للبشر سواء كانت أنسجة أوأعضاء.

أما استنساخ الإنسان فهناك البعد الأخلاقى والبعد الدينى والمجتمعى، وأنا من المعتقدين أن استنساخ الإنسان سيحدث فيجب التفكير فيه من أجل تنظيمه.

فعلينا أن نفكر فيما يجب فعله تجاه التكنولوجيات المتقدمة من حيث كيفية التعامل معها ومنها قضية الاستنساخ.

فنحن لسنا أمام قضية علمية فحسب بل قضية مجتمعية أيضا ستؤثر على حياتنا، فيجب أن يشارك فيها الجميع من باب الديمقراطية العلمية التى تقبل الرأى والرأى الآخر.

ثم تحدث الأستاذ الدكتور/ عبدالصبور مرزوق قائلاً: بداية لا نرفض على الإطلاق أى تقدم أوتطور للعلم، فليذهب العلم إلى أبعد مدى فى مجال البحث ما دام هذا العلم سينتهى للوصول إلى حقائق ونتائج يستفيد منها الإنسان.

يجب أن تكون معطيات العلم مفيدة ونافعة للإنسانية، فالإسلام أعطى العلم أعلى وأعز مكانة، والحق تبارك وتعالى ميز الإنسان على الملائكة بالعلم **﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾**، أسجد الله الملائكة لآدم، لأن الإنسان هو

● د/ عبد الحميد شاهين:

لا ينبغى الانفعال أوالتسرع فى معالجة قضية الاستنساخ

خليفة الله فى الأرض ومكن له الحياة فى الأرض والسيطرة عليها.

فالإسلام يفسح المجال للعلم لأن يرتقى كل مرتقى والإنسان مأمور بالبحث فى عالم الشهادة لا فى عالم الغيب **(وفى انفسكم أفلا تبصرون)**.

فالاستنساخ قد يكون مفيداً إذا ما قصد به تنمية الثروات الحيوانية والزراعية لما فيه خدمة البشرية، ولكن عندما يتعلق الأمر بالإنسان خليفة الله فى الأرض فيجب أن تكون هناك ضوابط أخلاقية وعلمية تجعل التحرك مأموناً محسوباً.

● د/ أحمد شوقى:

الاستنساخ ليس قضية علمية فحسب بل قضية مجتمعية شاملة

والمؤلف فى كتابه تعامل مع مخالفيه فى الرأى ورافضى الاستنساخ بأسلوب مستفز فضلا عن سخريته منهم بما يتنافى مع سلوك العلماء فى الحوار.

وأثناء كتابتى لمقدمة ترجمة الكتاب طرحت بعض التساؤلات منها:

- هل نحن فى حاجة إلى استنساخ الإنسان؟ الإجابة لا حاجة لنا فى ذلك فهناك معاناة من الإنفجار السكانى.

وفيما يتعلق بقضية عدم الإنجاب فهى من سنن الله الكونية وحكمته تعالى أن يجعل هناك من ينجب وهناك من لا ينجب، من ينجب الذكور فقط أوالإناث فقط أوالاثنين معاً **(يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أويزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما)**.

- السؤال الثانى الذى طرحته هو النعجة «دوللى» التى تم استنساخها كم تكلفت؟ فقد علمت أنها أكثر من أربعمائة تجربة قبل استنساخها كل
فشلت فماذا لو طبقنا الطريقة نفسها على الإنس
فقد يستغرق تجارب أكثر، فماذا نفعل تج
التجارب الفاشلة فى حق الإنسان.

- لو افترضنا أننا استنسخنا إنسانا ثم ف
جريمة كيف نحاكمه هل هو أم المنسوخ منه ه
الأول أم الثانى أم الثالث إلخ، مما يوقعنا ف
محاذير لا يمكن التغلب عليها؟

- علمنا أن من يفكرون فى استنساخ الإنس
هو من أجل جعله مخزناً لقطع الغيار الآدمي
وهى روح استثمارية بغيضة ورهيبة.

لقد شن المؤل
هجوما عنيفا ع
الأخلاقيين الرافض
للاستنساخ فكل الديان
تعتقد قيما ومباد
يجب الحفاظ عليها ف
ثوابت، فاتهام
للأخلاقيين بمعاداة ال
خطأ منه ولا شك.

- أتساءل لقد حد
رفض عام فى كل دول العالم ومن كل الطوائ
الدينية للاستنساخ البشرى فهل كل هؤلاء الرافض
الذين اجمعوا على الرفض جهلة؟ الأمر غير ذلك ف
رفضهم ذلك نابع من الفطرة التى أودعها ال
تبارك وتعالى فى الإنسان.

فمن ثم يجب ألا نترك العلم للعلماء وحده
فقد حدث من جراء ترك العلماء يعملون وحد
حدثت كوارث وانتجت القنابل والأسلحة ال
دمرت الإنسان، فيجب على العالم التجريبى أن يع
من خلال كيان يضع له المعايير التى يعمل من خلال

فيقينا لو كان مؤلف الكتاب فى بيئة دين
مؤمنة تتقى الله لما فعل ذلك ودعا إليه فى كتا
فهو نشأ فى أمريكا فى حضارة غربية ماد
الغاية فيها تبرر الوسيلة.

على هامش اجتماعات هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

دعا فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ورئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة إلى دعم وإغاثة شعب الشيشان المسلم ومد يد العون لمقاتليه بكل الوسائل الممكنة المادية منها والمعنوية. جاء ذلك فى نهاية اجتماعات هيئة رئاسة المجلس السنوية التى انعقدت فى القاهرة يومى ٢٦ و٢٧ من يناير الماضى وبحضور ممثلى الروابط والهيئات والمنظمات الإسلامية من مختلف دول العالم الإسلامى والمنضوية تحت لواء المجلس الإسلامى العالمى.

شعب الشيشان والضمير الإنسانى !!

لاجئون من شعب الشيشان يهربون من مذابح القوات الروسية

القوات الروسية تستخدم الأسلحة المحرمة من أجل القضاء على المقاومة الإسلامية الشيشانية

متابعة
محسن عبدالفتاح

الدول الأوروبية وأمريكا تقفان مترددتان فى اتخاذ موقف لمنع هذه الجريمة التى تناقض ميثاق حقوق الإنسان

أكد التقرير المقدم من لجنة الإغاثة العامة أن من أبرز الأحداث والكوارث التى حلت ببعض مناطق العالم الإسلامى مؤخرا غزو القوات المسلحة الروسية جمهورية الشيشان وتشريد شعبها المسلم الذى لا يتعدى تعداد سكانه ١,٥ مليون نسمة واستشهاد آلاف المدنيين من أبنائه من جراء الاعتداءات الوحشية من قبل القوات الروسية التى استخدمت كافة أنواع الأسلحة - ومنها المحرمة دوليا - من أجل القضاء على المقاومة الإسلامية لمقاتلى الشيشان وإبادة بقية السكان العزل أو ترحيلهم واقتلاع جذورهم من وطنهم وتشريدهم فى دول أخرى مجاورة.

وقد أوضح التقرير الذى تم توزيع نسخ منه على الحضور فى اجتماعات هيئة رئاسة المجلس الإسلامى إلى تردى أوضاع لاجئى الشيشان سواء المتواجدون فى جمهورية «أنغوشيا» والبالغ عددهم حوالى ٢٤٥,٠٠٠ لاجئ، أو المقيمون فى معسكرات وخيام بجمهورية جورجيا المجاورة للشيشان والتى لجأ إليها أكثر من ٣٠,٠٠٠ شيشانى، أو من استطاع الفرار عبر الحدود إلى داغستان أو جمهورية أوستتيا حيث يعيش الجميع فى ظروف صحية سيئة وفى وضع غير إنسانى، إضافة لسوء الأحوال الجوية وتساقط الثلوج مع نقص حاد فى كافة أنواع المواد الغذائية ومستلزمات المعيشة، الأمر الذى أدى إلى انتشار حالات الوفاة خاصة بين الأطفال وكبار السن مع تفشى الأمراض والأوبئة الخطيرة.

وقد حاولت لجنة الإغاثة - كما أشار التقرير ومنذ اللحظة الأولى - مخاطبة مسئولى السفارة الروسية فى كل دولة من دول الجوار لجمهورية الشيشان والتى يقيم بها لاجئون مدنيون من أجل السماح بمنح تأشيرات دخول لممثلى هيئة الإغاثة من أجل مد يد المساعدة إلا أن السفارة الروسية رفضت ذلك!

المدير العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة الأستاذ توفيق الشريف أكد أن تصاعد الهجمة الشرسة الروسية ضد شعب ومقاتلى الشيشان لا ينبئ إلا عن إصرار روسيا على مواصلة حملتها العسكرية الرامية إلى تشريد الشعب الشيشانى وتدمير مدنه وقراه فى الوقت نفسه.

يواصل الأستاذ توفيق الشريف حديثه: تقف الدول الأوروبية وأمريكا موقف المتردد من أخذ رد فعل يساوى هذا الجرم، الأمر الذى يتناقض وميثاق حقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة، وكذلك ميثاق الأمن الأوروبى الذى يقضى بحق منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا فى مراقبة الأوضاع الداخلية فى أية دولة يتفجر داخلها نزاع تنتهك فيه حقوق الإنسان!

ويضيف المدير العام للمجلس الإسلامى قائلا: «إن الحملة العسكرية الروسية ضد شعب الشيشان - والتى تفتقر إلى الأسباب المشروعة - جاءت وروسيا فى أمس الحاجة إلى ترتيب شئونها الداخلية ومواصلة اصلاحاتها السياسية والاقتصادية، وتوثيق علاقاتها مع جيرانها ودول العالم الثالث خاصة الدول الإسلامية والتى أبدت استنكارها وإدانتها للهجمة العدوانية الظالمة على شعب الشيشان، والتى لا يعلم مداها إلا الله، وقد تمتد إلى مناطق أخرى، الأمر الذى يؤدى بالتأكيد إلى مزيد من الصعوبات الاقتصادية وانخفاض مستوى المعيشة للشعب الروسى الذى لابد أن يعلم ساسته أن هيبة الدول ورقيها لا تقوم على قهر الشعوب وإبادتها، ولكن تقوم على التمسك بالحق والعدل وحق الجميع فى حياة حرة مطمئنة..».

وعن دور الدول الإسلامية فى هذه القضية يقول: سيادة المدير العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة : «لاشك أن الدول الإسلامية قادرة على الإسهام فى تحقيق السلام فى الشيشان باتخاذ موقف موحد يعبر عن الرغبة الجماعية فى عدم الإضرار بالعلاقات والمصالح الروسية فى العالم ودعوة روسيا لوقف الأعمال العسكرية والجلوس إلى مائدة المفاوضات مع دول الجوار لحل مشكلاتها بالوسائل السلمية، وتهيئة مناخ يكفل التعايش والتعاون معها، ويرسى بذلك قواعد الاستقرار والسلام».

الجدير بالذكر أن معالى الدكتور عبدالله بن صالح العبيد الأمين العام لرابطةالعالم الإسلامى - نائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة - كان قد اقترح عقد دورة استثنائية للهيئة التأسيسية أو هيئة الرئاسة حول قضية الشيشان لعمل ما يلزم تحقيقا لأهداف المجلس فى النصرة والتضامن مع الشعوب الإسلامية المغلوبة. كما ناشد معاليه منظمة المؤتمر الإسلامى أن تتولى بحث قضية الشيشان وتشكيل لجنة إسلامية لمتابعة تطور الأحداث ورصد نتائجها.

الدول الإسلامية قادرة على الإسهام فى تحقيق السلام فى الشيشان باتخاذ موقف موحد ضد العدوان

ومن جانبه أكد الدكتور نصر فريد واصل - مفتى الديار المصرية - فى تصريح له عند احتدام المعارك بين القوات الروسية وشعب الشيشان أن التعامل التجارى والاقتصادى مع روسيا فى الوقت الحالى حرام شرعا، حتى يحصل مسلمو الشيشان على حقوقهم، وطالب فضيلته الدول والشعوب الإسلامية بقطع جميع العلاقات السياسية والاقتصادية مع موسكو حتى ترفع يدها عن إخواننا المسلمين فى الشيشان مؤكدا أن قضية الشيشان ليست شأنا داخليا كما تدعى روسيا، لأن الشيشان دولة مستقلة ذات سيادة منذ العام ١٩٩٤م.

قطوف دانية

من هدى القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ البقرة: ١٢٥ ـ ١٢٩

الدكتور/ مسعد محمد الديب

من الهدى النبوى

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن لله ملائكة سيارة يطوفون فى الأرض، فإذا صعدوا إلى السماء سألهم الله تعالى ـ وهو أعلم بهم ـ: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك ويستغفرونك، فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، فيقولون: رب، فيهم فلان عبد خطاء، إنما مرَّ فجلس معهم، فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» رواه مسلم.

قصدت العشب وما قصدتنى

حكى أن موسى عليه السلام شكا إلى الله تعالى من ألم فى ضرسه، فأوحى الله تعالى إليه: خذ من العشب الفلانى وضعه على ضرسك، فأخذه ووضعه على ضرسه، فسكن الألم فى الحال، ثم عاوده الوجع بعد مدة فأخذ العشب ووضعه على ضرسه فازداد الألم، فقال: ياإلهى، ألست أمرتنى بهذا ودللتنى عليه؟ فأوحى الله إليه: ياموسى، أنا الشافى، وأنا المعافى، وأنا الضار، وأنا النافع، قصدتنى المرة الأولى فأزلت مرضك، والآن قصدت العشب. وما قصدتنى.

عبدالمقصود محمد سالم ـ فى ملكوت الله مع أسماء الله ص١١٤ ط: ١١

دعاء:

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان النبى ﷺ يدعو ويقول: «رب أعنِّى ولا تُعن علىّ، وانصرنى ولا تنصر علىَّ، وامكرلى ولا تمكر علىَّ، واهدنى ويسر الهدى لى، وانصرنى على من بغى

عليَّ، رب اجعلني لك شكَّارا، لك ذكَّارا، لك رهَّابا، لك مطواعا، لك مُخبتا، إليك أوَّاها منيبا، رب تقبل توبتى، واغسل حوبتى، وأجب دعوتى، وثبت حجتى، وسدِّد لسانى، واهد قلبى، واسلل سخيمة من صدرى».

رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح

أفضل من الحج

قال ابن كثير: إن ابن المبارك خرج مرة للحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم، فلما مرَّ بالمزبلة إذ جارية قد خرجت من دار قريبة منها، فأخذت ذلك الطائر الميت، ثم لفته، ثم أسرعت به إلى الدار، فجاء يسألها عن أمرها وأخذها الميتة، فقالت: أنا وأخى هنا ليس لنا شىء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال، فظلم وأخذ ماله وقتل. فأمر ابن المبارك برد الأحمال، وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار، فقال: عُدُّوا منها عشرين دينارا تكفينا، واعطها الباقى، فهذا أفضل من حجنا هذا العام، ثم رجع.

تزكية النفس لأبى البراء سعد بن محمد ص٨٩.

اللهم لك الحمد

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -: ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجها إلى دمشق ليجتمع بالوليد وقعت الأكلة فى رجله فى وادٍ قرب المدينة كان مبدؤها هناك، فظن أنها لا يكون منها ما كان، فذهب فى وجهه ذلك فما وصل إلى دمشق إلا وهى قد أكلت نصف ساقه، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك، فاجتمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلاأكلت رجله كلها إلى وركه، وربما ترقَّت إلى الجسد فأكلته، فطابت نفسه بنشرها، وقالوا له: ألا نسقيك مرقِّدا حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر؟ فقال: لا والله، ما كنت أظن أن أحدا يشرب شرابا، أو يأكل شيئا يذهب عقله، ولكن إذا كنتم لابد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا فى الصلاة فإنى لا أحس بذلك ولا أشعر به. قال: فنشروا رجله من فوق الأكلة من المكان الحى، احتياطا أنه لا يبقى منها شىء، وهو قائم يصلى، فما تصور ولا اختلج، فلما انصرف من الصلاة عزَّاه الوليد فى رجله، فقال: اللهم لك الحمد، كان لى أطراف أربعة فأخذت واحدا، فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت، وإن كنت قد أبليت فلطالما عافيت، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت.

البداية والنهاية لابن كثير جـ٩ ص١٠٨

لا يمكَّن حتى يبُتلى

سأل رجل الإمام الشافعى رضي الله عنه قال: ياأبا عبدالله، أيما أفضل للرجل، أن يمكن أو يبتلى؟ فقال الشافعى: لا يُمكَّن حتى يُبتلى، فإن الله ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فلما صبروا مكَّنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة.

ابن القيم: مدارج السالكين جـ٢ ص٢٥٣

أنت تسأل و الفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

الجماع فى الحج

ما حكم من جامع زوجته فى أثناء تأدية فريضة الحج؟

الجواب- يقول جمهور الفقهاء: هناك فى الحج تحللان معروفان أحدهما يسمى التحلل الأصغر أو الأول، ويكون بفعل اثنين من ثلاثة: رمى جمرة العقبة، وطواف الإفاضة، وحلق الشعر أو تقصيره، وبهذا يحل للمحرم ما كان محظور عليه ما عدا الجماع، فإن فعل الأمور الثلاثة حل له الجماع أيضا وهذا هو التحلل الأكبر أو الثانى.

ومن جامع زوجته قبل التحلل الأول فسد حجه سواء أكان ذلك قبل الوقوف بعرفة أم بعده، ويجب عليه أن يمضى فى أداء بقية المناسك مع أن حجه فاسد، وعليه أن يذبح بدنة - جملا أو ناقة - كما يجب عليه أن يقضى الحج فى العام المقبل، فإذا عجز عن البدنة وجبت بقرة، فإذا عجز عنها وجبت سبع شياه، فإن عجز قوّم البدنة وتصدق بثمنها.

وإن وقع الجماع بعد التحلل الأول لا يفسد الحج ولا يجب القضاء ولكن تجب الفدية وهى بدنة عند بعضهم أو شاة عند بعضهم الآخر، وهذا مذهب الإمام مالك.

الإنابة فى الرمى

لم أتمكن من رمى الجمار لشدة الزحام فأنبت عنى من يقوم بالرمى فهل يجوز ذلك؟

الجواب: رمى الجمار فى منى من الواجبات التى إن تركت كان الحج صحيحا ولكن يجب تقديم الهدى. ويجوز للإنسان أن ينيب عنه غيره لرمى الجمرات إن كان عنده عذر يمنعه من ذلك كشدة الزحام وهو لا يتحمل.. ويدل عليه حديث رواه ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه قال: حججنا مع رسول الله ﷺ ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم.

الإنابة فى الحج

ما الحكم لو أناب مسلم غيره عنه فى أداء فريضة الحج علما بأنه قادر على أدائها عن نفسه، وإذا كان قد أداها عنه غيره فهل تقبل أم لابد أن يؤديها هو عن نفسه؟

الجواب: قال الله ـ تعالى ـ: **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾** آل عمران: آية ٩٧.

الحج واجب على المستطيع، ومن الاستطاعة وجود النفقة الكافية والقدرة الصحية على ممارسة شعائر الحج، فإن عجز الإنسان عن النفقة فلا حج عليه، وإن عجزت صحته ولا يوجد عنده مال فلا حج عليه، أما إذا كان عنده مال فيجب عليه أن ينيب غيره ليحج عنه ـ بشرط أن يكون النائب قد حج عن نفسه ـ **روى الترمذى بسند صحيح أن امرأة من خثعم قالت: يارسول الله إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: «نعم».**

وقال العلماء: من وجد الاستطاعة بالمال والنفس لا يجوز له أن ينيب عنه غيره فى الحج بل لابد من قيامه بنفسه بأداء الفريضة. فإن مات ولم يحج وجب أن يحج عنه غيره، بدليل حديث البخارى **أن امرأة من جهينة قالت للنبى ﷺ: إن أمى نذرت أن تحج ولم تحج أفأحج عنها؟ قال «نعم حجى عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ أقضوا، الله أحق بالوفاء».**

والحى القادر على الحج مالا وصحة لو أناب غيره ليحج عنه فالإنابة باطلة، والنائب إذا أحرم بالحج عن القادر بطلت نيته وبطل حجه، وإن لم يكن سبق له حج فلا تصح هذه النيابة، فالنائب يشترط فيه أن يكون قد سبق له حجة عن نفسه، بدليل حديث أبى داود والبيهقى وابن ماجه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: لبيك عن شبرمة، فقال له «من شبرمة؟» فقال: أخ أو قريب لى، قال: «أحججت عن نفسك»؟ قال: لا، قال: «حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة» فإذا نوى هذا النائب الذى لم يحج أن يكون الحج له صحت النية وصح له الحج، ولا ينال من حج عنه شيئا، وإذا كان قد أخذ منه نفقة ليحج عنه فالنفقة ليست من حقه، فقد حج بمال حرام لا يقبل الله منه حجه، أما إذا كان متبرعا فحجه صحيح وله ثوابه.

التوكيل فى الذبح

دفعت ثمن الهدى لمؤسسة بالسعودية، فهل يجوز ذلك علما بأننى لم أشاهد ذبحه أو الأكل منه؟

الجواب: من كان عليه ذبح هدى أو فدية سواء كانت واجبة أو مندوبة يُسَنُّ له أن يباشر ذبحها بنفسه، ويجوز أن ينيب عنه غيره فى ذلك، والذى يدفع ثمن الهدى ليشتريه إنسان ويذبحه أو يدفعه لمؤسسة لشرائه وذبحه نيابة عنه فلا مانع منه ووقع الهدى محله إن شاء الله، وإن كان هناك تقصير فالمسئولية على النائب أو المؤسسة، ولا يشترط أن يأكل الإنسان من الهدى الذى يذبحه أو الذى يوكل عنه غيره فيه، وقول الله تعالى: **﴿فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾** هو فى الهدى المندوب، وقيل فى الواجب أيضا. والأمر للإباحة عند الكثيرين لا على الندب أو الوجوب.

الحج بالركوب أو المشى

هل ثواب من يحج ويؤدى المناسك وهو قادم من وطنه على قدميه سائرا أفضل ممن يحج بالطائرة أو بالسيارة أو الباخرة؟

الجواب: قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى. قال ابن المنذر: اختلف فى الركوب والمشى للحجاج أيهما أفضل. قال الجمهور الركوب أفضل لفعل النبى ﷺ ولكونه أعون على الدعاء والابتهال ولما فيه من المنفعة، وقال اسحق بن راهويه: المشى أفضل لما فيه من التعب. ويحتمل أن يقال يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، روى البخارى عن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ رأى شيخا يهادى بين ابنيه - يعتمد عليهما فى المشى - فقال «ما بال هذا»؟ قالوا: نذر أن يمشى، فقال: «إن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه» وأمره أن يركب.

يؤخذ من هذا أن الأفضلية تختلف باختلاف الأحوال، ومن دفع مالا كثيرا للركوب فى الطائرة أو الباخرة أو السيارة قد تحمل مشقة مالية كما يتحمل الماشى مشقة بدنية، والأجر على قدر النصب والمشقة. كما قال النبى ﷺ للسيدة عائشة - رضى الله عنها - والنصب كما يكون بالجسد يكون بالمال، والمدار فى القبول على الإخلاص والتواضع.

الازدحام فى رمى الجمرات

يكثر الزحام الشديد فى رمى الجمرات، فهل يمكن الرمى بعد الفجر تلافيا للزحام؟

الجواب: رمى الجمرات نوعان، الأول رمى جمرة العقبة يوم النحر، ويدخل وقته بطلوع الفجر، ولذوى الأعذار أن يرموا بعد منتصف ليلة العيد وقبل الفجر. والثانى رمى الجمرات بعد يوم العيد أى فى أيام التشريق الثلاثة، ويدخل وقت الرمى بالزوال كما فعله النبى ﷺ. وفى اليوم الثالث يجوز الرمى قبل الزوال. أما فى اليومين الأولين فلا يجوز الرمى قبل الزوال، وهناك قول لعطاء بن أبى رباح وطاووس بن كيسان بجواز الرمى فى كل الأيام قبل الزوال، ولا مانع من الأخذ بهذا الرأى لظروف الزحام. على أن يكون ذلك بعد طلوع الفجر الذى هو أول هذا اليوم، ولا يجوز قبله.

رمى الجمار

رميت ست جمرات بدلا من سبعة فكيف أجبر هذا النقص؟

الجواب: رمى الجمار يكون بسبع حصيات كما قال جمهور الفقهاء، اتباعا لفعل النبى ﷺ لكن قال الإمام أحمد: لو رمى الحاج بخمس حصيات أجزأ، كما قال عطاء بن أبى رباح من أعلام التابعين، وقال مجاهد: من رمى بست حصيات فلا شىء عليه، فقد روى عن سعيد بن مالك أنه قال: رمينا فى الحجة مع رسول الله ﷺ وبعضنا يقول: رميت ست حصيات وبعضنا يقول: رميت بسبع حصيات فلم يعب بعضنا على بعض.

ولكن رأى الجمهور أقوى. فمن ترك حصاة كان كمن ترك رمى الجمرات وعليه أن يذبح هديا، ونقول لصاحب السؤال: عليك الفدية بالذبح عند الجمهور، فإن لم تكن مستطيعا فلا شىء عليك.

بيت الله الحرام

هل كان بيت الله الحرام موجودا قبل سيدنا إبراهيم، وما دلالة قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾؟

الجواب: إن بيت الله الحرام فى مكة المكرمة والذى عرف بالكعبة المشرفة التى يتجه إليها المسلمون فى صلاتهم كان موجودا قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام، بل تفيد الآثار بأنه وجد قبل أن يهبط آدم إلى الأرض، فقد طلبت الملائكة الذين كانوا يعيشون فى الأرض قبل آدم من الله أن يجعل لهم بيتا يطوفون به كما تطوف ملائكة السماء بالبيت المعمور فأقامته الملائكة فى «قبالة» البيت المعمور، ويروى فى الآثار بأن الملائكة قالت لآدم عليه السلام: طف بهذا البيت فقد طفنا به قبلك بألفى عام.

ويروى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - لما أراد الله أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا ثم قال: اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى، وتعلم مافى نفسى فاغفر لى ذنبى فإنك أنت الغفور القدير. فأوحى الله إلى آدم أنه تاب عليه، وما يأتينى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل ما دعوتنى إلا غفرت ذنبه. فعلى ذلك يكون وجود البيت سابقا لإبراهيم ولآدم - عليهما السلام -.

ثم توالت عليه عوامل الزمن - من طوفان نوح وغيره - فاندثرت معالم البيت ولم تعد ظاهرة للعيان، إلى أن أراد الله سبحانه وتعالى أن يعاد ظهور بيته فأظهر لإبراهيم عليه السلام مكان البيت. وذلك يستفاد من قوله **﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾** ثم أمره الله تعالى برفع قواعده حيث يقول تعالى **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾** فأقام إبراهيم عليه السلام قواعد البيت وعاونه ابنه اسماعيل - عليهما السلام - ولما أتم البناء أمره الله تعالى أن يؤذن فى الناس بالحج.. وذلك كما يقول ربنا جلت قدرته: **﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله﴾**.

هذا بعض ما وجد فى الكتب ولكن ينقصه الدليل الصحيح، والذى يهمنا من ذلك امتثال أوامر الله الواردة فى القرآن وإلزام أوامر رسوله الذى لا ينطق عن الهوى، وما وراء ذلك ترف ذهنى قد يكون صوابا وقد يكون خطأ.

فوات طواف الإفاضة

ما حكم من فاته طواف الإفاضة لعذر من الأعذار؟

الجواب: ليكن معلوما أن هناك أنواعا من الطواف، منها طواف الإفاضة أو الزيارة، وطواف الوداع عند السفر من مكة، وطواف القدوم عند دخول الحرم، وطواف النفل، وطواف العمرة.

وطواف الإفاضة الذى يكون بعد الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لا يصح إلا به، ولا يقبل أى عذر من الأعذار لتركه، فمن لم يستطع الطواف ماشيا طاف راكبا وذلك أمر ميسور، وقد طاف النبى ﷺ راكبا ناقة فى حجة الوداع، وسعى كذلك ليراه الناس ويقتدوا به، وقد شكت إليه أم سلمة - رضى الله عنها - أنها مريضة لا تقوى على الطواف، فلم يحطه عنها بل أمرها أن تطوف راكبة خلف الناس أى بعيدا عنهم فى حواشى المطاف، بل يجوز للمتعب أن يستريح بين الأشواط ثم يكمل الطواف حتى لو كان وقت الاستراحة طويلا، فقد روى سعيد بن منصور أن عبدالله ابن عمر - رضى الله عنهما - طاف بالبيت ثلاثة أشواط أو أربعة ثم جلس يستريح فبنى على ما مضى من طوافه.

وإذا كان رأى جمهور الفقهاء أنه لا تجوز الإنابة فى الطواف فإن هناك رأيا لعطاء بجواز الإجارة لمن عجز عنه، قياسا على جواز الإجارة والإنابة فى الحج كله.

ومن هنا نقول: من فاته الطواف لعذر أو لغير عذر لا يصح حجه، بل قال الشافعية: لا يحل من إحرامه وعليه أن يعيد الحج مستوفيا أركانه وشروطه، مع العلم بأن طواف الإفاضة لا يتحتم فعله عقب الوقوف بعرفة مباشرة، فإن وقته ممتد عند الشافعى وأحمد حتى بعد شهر ذى الحجة. ولا يجب دم مع تأخيره. جاء فى الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع» للخطيب الشافعى: ومن ترك ركنا من أركان الحج غير الوقوف سواء تركه مع إمكان فعله أو لا - كالحائض - لم يحل من إحرامه حتى يأتى به ولو بعد سنين، لأن الطواف والسعى والحلق لا آخر لوقتها.

حكم الغناء

السؤال من القارىء/ أ.ح.ح ـ منيا القمح.

ـ ما حكم الدين فى الغناء، وفى غناء المرأة؟؟

الجواب: الغناء سبق الحديث عنه كثيرا، وخلاصة حكمه من واقع ما ذكره بالتفصيل الإمام الغزالى فى كتابه **«إحياء علوم الدين»** أن الغناء إذا كانت كلماته ممنوعة شرعا كمدح الخمر مثلا أو كان إلقاؤه مثيرا للفتنة كما لوغنته امرأة بصوت أو بلحن فيه إثارة للغريزة، أو كان سماعه يلهى عن واجب. كان حراما، فإذا انتفت هذه الأمور فلا حرمة ولا كراهة، مع عدم الإسراف فيه وعدم مصاحبة محرم كشرب خمر أو نظر محرم، وقد سمع الرسول الغناء من الجوارى فى بيته يوم العيد لادخال السرور على عائشة، وسمع الغناء عند تهنئته للربيع بنت معوذ بالزواج، منبها إلى كلمة جاءت فيه، وهى أن النبى يعلم ما فى غد بأنها غير صحيحة.

هذا، وصوت المرأة فى حد ذاته ليس عورة محرمة، وإنما عورته فى لينه وخضوعه، كما جاء فى قوله تعالى لنساء النبى صلى الله عليه وسلم **«فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا»** الأحزاب (٣٢) فنهاهن عن الخضوع به، وأباح لهن القول المعروف الذى يقره الشرع والعرف.

حكم الاحتفال بالمولد

السؤال من القارىء/ أحمد عبد الجواد عبد الرحمن ـ كفر الترعة الجديد ـ شربين.

ـ هل الاحتفال بالموالد حلال أم حرام؟؟

الجواب: الاحتفال بذكرى مولد أى ولى من الأولياء، أو عظيم من العظماء. من أجل الحب لهم والاقتداء بسيرهم جائز بشرط البعد عن كل المحرمات فى مظاهر الاحتفال كالاختلاط المريب بين الرجال والنساء، ومزاولة أعمال غير مشروعة فى الأكل والشرب، والمسابقة واللهو، وتقبيل الأضرحة والطواف حولها.

فإذا غلبت هذه المخالفات كان الخير فى عدم الاحتفالات، وإذا غلبت الايجابيات والمنافع المشروعة فلا مانع من إقامتها مع المراقبة لمنع السلبيات أو الحد منها بقدر المستطاع.

صيام عرفة يوم الجمعة

السؤال من القارىء/ عبد الباسط منصور ـ حوش عيسى ـ البحيرة.

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صيام يوم عرفة يكفر الله به ذنوب سنتين سنة ماضية وسنة آتية» وجاء فى السنة أنه لا يجوز صيام يوم الجمعة منفرداً إما يوم قبله ويوم بعده، فما الحكم لو جاء يوم عرفة يوم الجمعة؟؟

الجواب: قرر العلماء أن المناسبات التى يسن صيام يومها كعرفة وعاشوراء ينبغى الحرص عليها حتى لو صادفت يوم الجمعة. فإن إفراد يوم الجمعة بالصيام مكروه، إلا إذا سبقه أو لحقه يوم، أو وافق عادة له، أو كان يوم عرفة أو عاشوراء، حتى لا تفوت الفرصة.

حكم من فاتته صلاة العيد وأداؤها فى المسجد أو الخلاء

السؤال من القارىء/ محفوظ محمد عليمى - أبوريشة - كفر الشيخ.

- ما حكم الدين فيمن فاتته صلاة العيد فى جماعة، هل يجوز له أداؤها منفردا؟ وأيهما أفضل صلاتها فى المسجد أم الخلاء؟

الجواب: صلاة العيد سنة مؤكدة وليست واجبة، وهى تؤدى على انفراد أو فى جماعة، وكونها فى جماعة أفضل، فلو فاتت صلاتها جماعة مع الإمام يجوز للإنسان أن يصليها وحده.

وصلاة العيد تصح فى أى مكان، فى المسجد وفى غيره إذا كان يصليها الإنسان وحده، أما صلاتها فى جماعة فالإمام الشافعى يقول: الأفضل أن تكون فى المسجد لأنه خير بقاع الأرض، وقال غيره الأفضل أن تكون فى ساحة واسعة غير المسجد.

والرسول عليه الصلاة والسلام كان يصليها فى غير المسجد إلا لعذر كمطر ونحوه، ولعل اختياره لفعلها فى غير المسجد كان لضيق المسجد عن استيعاب المصلين والحاضرين لشهود هذه الصلاة من النساء والصبيان وغيرهم، ولإظهار هذه الشعيرة التى هى من شعائر الإسلام، مع الفرح والسرور بهذه المناسبة، والتلاقى مع أكبر عدد ممكن من المسلمين وبعيدا عن اختلاف الفقهاء فى اختيار المكان لصلاة العيد أرى أن الأفضلية تدور مع النتيجة والأثر، فإن كان هناك مسجد كبير فى محلة يسع كل الناس كانت صلاتها فيه أفضل، لأفضلية المسجد على غيره ولحصول التجمع وفرصة التلاقى بين أهل البلدة، فإذا تعددت المساجد وضاق مسجد واحد عن استيعاب أهل البلد كان فعلها فى الخلاء أفضل.

تكبيرات العيدين

السؤال من القارىء/ محمود محمد اليمانى - مدينة القنطرة غرب - شارع ١٠ رمضان

- هل تكبيرات العيدين قاصرة على أول يوم أم تستمر مع أيام العيد؟؟

الجواب: تكبيرات العيدين تختلف بين عيد الفطر وعيد الأضحى، فهى فى عيد الفطر كما قال بعض العلماء يدخل وقتها بغروب الشمس آخر يوم من رمضان وينتهى بدخول الإمام فى صلاة العيد، فوقتها قصير هو ليلة واحدة مع بعض قليل من نهار العيد، وهى فى عيد الأضحى يبدأ وقتها من صبح يوم عرفة، وينتهى بالعصر من آخر أيام التشريق، وهى الثلاثة بعد يوم العيد.

الاقتداء بإمام يخالف مذهبى

السؤال من القارىء/ عبد المنعم فتحى عبدالله - أسيوط - البدارى.

- ما حكم الدين فى الصلاة وراء إمام يخالف المذهب الذى أتبعه، فأنا أتبع مذهب الإمام مالك، والإمام يتبع مذهب أبى حنيفة؟

الجواب: الرأى الصحيح أن صلاة المأموم خلف إمام يخالفه فى مذهبه صحيحة. فمادامت صلاة الإمام صحيحة فى مذهبه صح الاقتداء به، فقد كان الصحابة والسلف الصالح يصلى بعضهم خلف بعض مع اختلاف آرائهم فى بعض المسائل. وللعلماء عبارة مشهورة هى «العامى لا مذهب له» والمراد بالعامى من لم يتفقه على أصول مذهب إمامه ولم يدرس كتبه دراسة وافية. وأكثر الناس بهذا المفهوم ينطبق عليهم هذا الوصف - بصرف النظر عن ألقابهم العلمية الأخرى - وعليه فلا يجب على مثل هؤلاء أن يتمسكوا بمذهب فقهى معين، وإذا سأل أحدهم عن حكم شرعى فأجابه عالم به عليه أن يلتزمه دون سؤاله عن مذهبه «انظر عدد ذى القعدة ١٤٠٥هـ».

مع القراء

يحرره
حسين السكرى

وخالق الناس بخلق حسن

للقارئ / محفوظ محمد عليمى ـ معهد دعاة كفر الشيخ ـ أبو ديشة ـ كفر الشيخ

يقول ـ الله تبارك وتعالى ـ: **﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾** سورة: آية، ويقول رسول الله ﷺ: **«أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا»**، وعن الحسن البصرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إن من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت طليق الوجه»**، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، الا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحابيتم؟ أفشوا السلام بينكم»**، ولقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا وألينهم عريكة وأسددهم رأيا ولنا فيه الأسوة الحسنة، وعن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يمشى بيننا إذ جاء أعرابى فجذب رداءه جذبة شديدة اهتزت رقبته وهو يقول: يامحمد: أعطنى من مال الله الذى أعطاك، فالتفت إليه باسما وقال: «أعطوه» فأعطاه بالإساءة إحسانا، وبالجهالة غفرانا، ولقد كان السلف الصالح ينهجون نهجه ويقتدون به.

❖ ❖ ❖

حسن الخلق من تمام الإيمان، فلا يعقل أن يكون المؤمن فجا غليظ القلب سليط اللسان، لأن الكلمة الطيبة صدقة وتبسمك فى وجه أخيك صدقة، وهذه الأشياء لا تكلف المسلم كثيرا بل على العكس تجعله هينا لينا حلو المعاشرة سمح النفس والقلب قريبا من الناس يحبهم ويحبونه ويألفهم

السلبية.. مرض نفسى

للقارئة/ صباح السيد عبدالله ـ المنوفية ـ بركة السبع ـ كفر عليم

لقد أصبحت السلبية ـ للأسف ـ ظاهرة شعبية جماعية أصابت الكثير من الناس وهى بمعنى أدق وأصح: اللامبالاة، وهى تتنافى مع أبسط قيم الإسلام ومبادئه ومنهاجه؛ فالإسلام دين الجماعة، ويحثنا دائما على التعاون والتآلف والتآخى والتراحم، قال ـ تعالى ـ: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾** ويقول ـ الله سبحانه ـ أيضا: **﴿وكونوا عباد الله إخوانا﴾** والآيات كثيرة فى ذلك المعنى، ويقول ﷺ: **«المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا»** فأوصانا رسول الله ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ بالنفس أولا وبين لنا حقوقها علينا لاستقامة الشخصية المسلمة الحقة الموطنة على قيم ومبادئ خالدة لا تتزعزع مهما قابلت من عواصف وزوابع ومن هنا تنشأ شخصية سوية لنفسها وللآخرين ملؤها الرحمة والتعاون والرأفة والتكاتف والتسامح فتصبح كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تألم له الآخر فليتنا ننبذ هذه الظاهرة لصاحبها أولا ثم للآخرين ونعود لمنهج الله عساه أن يرفع عنا ما نحن فيه، آمين.

❖ ❖ ❖

السلبية حقا مرض وبائى يصيب البعض ويؤثر على الآخرين بالصداقة والمجاورة والزمالة، وهى قطعا مرض مدمر لحياة الأفراد والجماعات.

نعمة الرضا

للقارئ / حامد أحمد حامد المغربى ـ غياضة الغربية ـ بيا ـ بنى سويف

يتفاوت مفهوم السعادة عند الناس تفاوتا بينا، فمنهم من يرى السعادة فى جمع المال ومنهم من يرى السعادة فى الجاه أو السلطان، ولقد غاب عن وعى هؤلاء أن هناك من يملك المال ولا يحس بالسعادة، ومن ينال الجاه والسلطان ومع ذلك لا يكون سعيدا، وذلك لأنهم لم يتجملوا بالنعمة الكبرى.. نعمة الرضا، ولو أنهم عرفوا الرضا وألفوه لذاقوا حلاوة السعادة وطعم الهناء، والرسول ﷺ يصور لنا طعم الإيمان فيقول: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا»، ولقد كتب الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنهما ـ يقول له: «أما بعد فإن الخير كله فى الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر»، وكم من أشياء يكرهها الإنسان ويحسبها شرا فإذا هى تفضى إلى نفع وخير، **﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾** البقرة: آية ٢١٦، **﴿فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾** النساء: آية ١٩، والرضا بالله يستلزم محبته والخوف منه والالتجاء إليه والاعتماد عليه والرضا بالرسول يستلزم محبته والاهتداء بهديه والاقتداء بسنته وأعماله، والرضا بالدين يستلزم الخضوع لأحكامه والاستجابة لتعاليمه، إن الرضا فى الإسلام هو أن تكون بما عند الله أوثق منك بما فى يدك وأن تكون بالإسلام مؤمنا قبل إيمانك بكل هدى سواه وأن تكون بالرسول مؤمنا إيمان المقتدى بالمثل الأعلى للناس، وقيل ليحيى ابن معاذ: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ فقال: إذا أقام نفسه على أربعة فصول فيما يعامل به ربه فيقول: إن أعطيتنى قبلت، وإن منعتنى رضيت، وإن تركتنى عبدت، وإن دعوتنى أجبت.

❖❖❖

الرضا يستلزم التسليم والامتثال وعدم الضجر والتذمر والاقتناع الكامل بأن هذا نصيبه الذى قسمه الله له، وهذه نعمة كبرى لا ينالها إلا العارفون والمؤمنون القانتون الذين ملأ اليقين قلوبهم فعرفوا الله ـ سبحانه ـ حق المعرفة وتخلوا عن هموم الدنيا ونفضوا أيديهم مما يصيبهم وفوضوا الأمر لله فى كل ما ينالهم، فهو نعم المولى ونعم النصير، ورحم الله الإمام الشافعى الذى يقول:

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا
وعند الله للأتقى مزيد

نداء للشباب

للقارئ الشيخ خيرى محمد إبراهيم أبو الروس ـ إمام وخطيب مسجد كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ

إنما تنجح الفكرة أيها الشباب إذا قوى الإيمان بها وتوافر الإخلاص فى سبيلها وازدادت الحماسة من أجلها ووجد الاستعداد الذى يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها، وتكاد تكون الأركان الأربعة: الإيمان، الاخلاص، الحماسة، العمل، من خصائص الشباب، لأن أساس الإيمان القلب الزكى وأساس العمل العزم الفتى، وهذه الأركان لا تكون إلا للشباب ومن هنا كان الشباب قديما وحديثا فى كل أمة عماد نهضتها وسر قوتها، وفى كل فكرة حامل رايتها، ولقد قال الله تعالى عنهم فى القرآن الكريم: **﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾** الكهف: آية ١٣.

❖❖❖

وماذا يصنع الشباب إذا كان مكبلا بالقيود وأعباؤه ثقيلة وأيامه باهتة فهو يقف حائرا فى منتصف الطريق؟ هل يقدم بلا سلاح، أم يتراجع ويتقهقر أم يقف متفرجا متنصلا من كل شىء؟.

صاحب القلب السليم

للقارئ / محمد عباس محمد عرابى ـ باحث اجتماعى

إن الذى ينجو يوم القيامة هو صاحب القلب السليم، قال الله تعالى: **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون* إلا من أتى الله بقلب سليم﴾** الشعراء: الآيتان ٨٨، ٨٩

والقلب السليم هو الذى قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه وخلصت عبوديته لله إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة وإخباتا وخشية ورجاء، وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة راضيا عن الله وعن الحياة مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى، عن عبدالله بن عمرو: قيل: يارسول الله؛ أى الناس أفضل؟ قال" «كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: هو التقى النقى، لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد» رواه ابن ماجه، فكثيرا من أولئك الذين يحتبس الغل فى أفئدتهم يتلمسون متنفسا لهم فى وجوه من يقع معهم، فلا يستريحون إلا إذا أرغوا وأزبدوا وآذوا وأفسدوا، روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى إن شئت يارسول الله، قال: إن شراركم الذى ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده، أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا بلى إن شئت يارسول الله، قال: الذين لا يقبلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنبا، قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: «من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره» رواه الطبرانى، إن صاحب القلب السليم يأسى لآلام العباد ويتمنى لهم العافية، أما التلهى بسرد الفضائح وكشف المستور وإبداء العورات فليس مسلك المسلم الحق، قال رسول الله ﷺ: **«من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة»** رواه الطبرى، وكثيرا ما يكون متتبعو العورات لفضحها أشد إجراما وأبعد عن الله قلوبا من أصحاب السيئات، لأن التربص بالجريمة لنشرها أقبح من الجريمة نفسها.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة ـ ذو القعدة ١٤٢٠هـ (٣)

السؤال : ليست الخيرية بالعرق والجنس كما تزعم أسطورة بنى إسرائيل فى أنهم شعب الله المختار.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... **اسم الكاتب :** ....

العنـــــوان : ....

العمـــل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفـــون :** ....

رقم البطاقـــة: .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٠هـ حتى شعبان ١٤٢١هـ

بريد التعارف

أهـــــلاً

الاسم : عبده عبدربه أبوزيد
الهواية : الاطلاع الدينى والخطابة
العنوان : حى شمال الجيزة

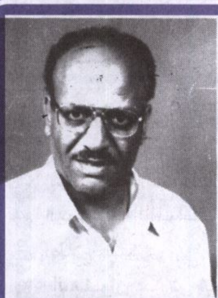

الاسم : محمد جابر إبراهيم الغواوى
الهواية : الاطلاع الدينى ـ والقرآن
العنوان : البحيرة ـ إيتاى البارود ـ رمسيس

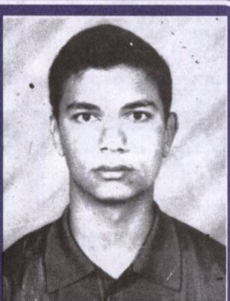

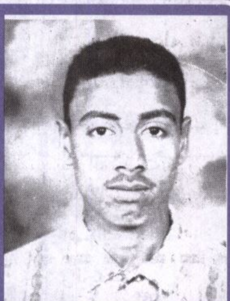

الاسم : أشرف طه محمود النحاس
الهواية : قراءة القرآن ـ الاطلاع الدينى
العنوان : مركز ناصر ـ بنى سويف

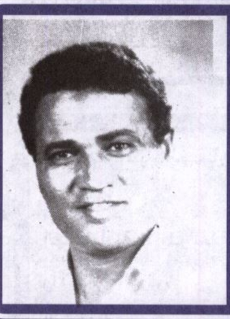

الاسم : السيد محمد الزعبلاوى
الهواية : الاطلاع الدينى ـ المراسلة
العنوان : محلة البرج ـ ش الزعبلاوى ـ المحلة الكبرى

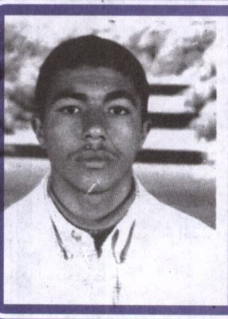

الاسم : على حسينى زيدان محمد
الهواية : تبادل الآراء ـ كرة القدم
العنوان : قرية العصايد ـ ديرب نجم ـ شرقية

الاسم : عبدالعظيم محمود عبدالعظيم
الهواية : الاطلاع الدينى والثقافى وسماع القرآن
العنوان : دملو ـ مركز بنها ـ قليوبية

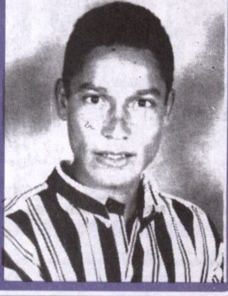

الاسم : على محمود حسن محمد
الهواية : القراءة ـ المراسلة
العنوان : غيليس ـ جهينا ـ سوهاج

الاسم : عبدالرحمن سلطان محمد
الهواية : قراءة الكتب الدينية ـ المراسلة
العنوان : المنيا ـ سمالوط ـ كوم الراهب ـ (الروبي)

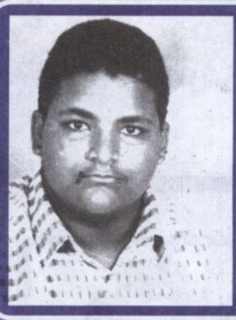

الاسم : ورداني شاذلي وردانى

الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى

العنوان : زرب ـ السويس محافظة السويس

الاسم : محمد عبدالرحمن عبدالسلام

الهواية : حفظ القرآن والخطابة والشعر

العنوان : شابور ـ كوم حمادة ـ بحيرة

الاسم : ممدوح عايش عزتلى

الهواية : المراسلة ـ الاطلاع ـ كرم القدم

العنوان : ديروط ـ المستقبل ـ أسيوط

الاسم : محمد إبراهيم عبدالحليم

الهواية : المراسلة ـ اطلاع عسكرى

العنوان : ٢ ش ابن سلطان ـ غبريال ـ اسكندرية

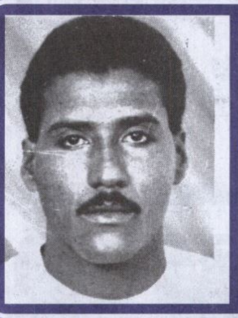

الاسم : عبدالغفار السجيرى

الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى

العنوان : حمرة دوم ـ إسنا ـ قنا

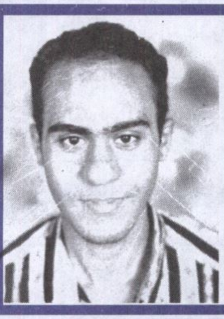

الاسم : حسن عبدالرشيد محمد

الهواية : حفظ القرآن والحديث

العنوان : أخميم ـ ش الشيخ طه

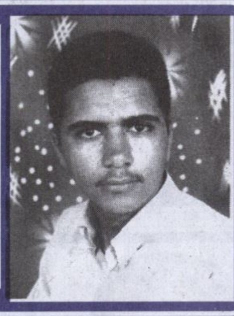

الاسم : أمجد محمد البحيرى

الهواية : الاطلاع الدينى ـ كرة القدم

العنوان : كفر البطيخ كفر سعد ـ دمياط

الاسم : أحمد أبوالفتوح عجاج

الهواية : قراءة القرآن وتحفيظه

العنوان : سمنود ـ محافظة الغربية

تعارف منبر الإسلام

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

الاسم : ....

الهواية:

العنوان:

محتويات العدد

☐ كلمة التحرير		١
☐ حديث الشهر ـ ضرورات لا حقوق	بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق	٢
☐ صلة الرحم (شعر)	عمر موسى البرعى	٦
☐ **القرآن الكريم وعلومه**		٧
● وأتموا الحج والعمرة لله	الدكتور محمد سيد طنطاوى	٨
● الأقليات الإسلامية وتحديات الحوار بين الحضارات	د. عبدالله الأشعل	١٤
☐ **دراسات فى السنة المطهرة**		١٧
● إصلاح ذات البين	فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى	١٨
● ابن خزيمة	الدكتور أحمد عمر هاشم	٢٨
● رجال بلا نسب يبلغون بالإيمان أعلى الرتب	د. محمود محمد عمارة	٣٠
● المسجد الأقصى بين الماضى والحاضر	صلاح عبدالرحيم محمد	٣٦
☐ **«ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا»**		٤١
● مكة بلد البيت الحرام	السيد أحمد أبو الفضل عوض الله	٤٢
● الحج عبر التاريخ	أ.د محمد عبدالفتاح عليان	٥٠
● الحج أشواق وصحة	د. حسين عباس الأنصارى	٥٤
● أول دليل صحى للحجاج	عرض/ مصطفى إبراهيم خيان	٥٧
● الحج والتاريخ (شعر)	د. عبدالغفار حامد هلال	٦٤
● حفنى ناصف الكاتب والشاعر	د. محمد رجب البيومى	٦٦
● فتوح مصر وأخبارها	د. محمد بهى الدين سالم	٧٥
☐ **الحضارة والعلوم**		٧٩
● فى محراب العربية لغة القرآن الكريم	د. محمد أبو الأنوار	٨٠
● ابن الرزاز الجزرى أحد أبرع التقنيين العرب	أ. د. محمد يونس الحملاوى	٨٣
● الذوق الإسلامى	د. إبراهيم على أبو الخشب	٨٨
☐ **الدعوة والدعاة**		٩١
● سفر الأزواج بين الإذن والمنع	المستشار حسن حسن منصور	٩٢
● التربية عند الصحابة	د. مصطفى رجب	٩٦
● بين ألفيتين	الشيخ منصور الرفاعى عبيد	١٠٠
● مصطفى صادق الرافعى يواجه الغارة على الإسلام	د. عبدالحليم عويس	١٠٤
● المثنوى لجلال الدين الرومى	د. محمد عبدالمنعم خفاجى	١١٠
● أوزبكستان الدين والدولة	إعداد فتحى على	١١٤
● وراء الأخبار	منير بيومى	١١٩
● قطوف دانية	د. مسعد الديب	١٣٢
☐ **أنت تسأل والفقيه يجيب**	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٣٤
☐ **مع القراء**	يحرره حسين السكرى	١٤٠
☐ **بريد التعارف**		١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد ـ مصطفى إسماعيل محمود على البنا ـ محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارئ المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى

٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير

مكتبة مسجد النور بالعباسية

٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)

الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر